

ماريمو

ماريهو
رواية
ندي طلال
الطبعة الأولى .. ٢٠١٣

الغلاف : أسامة علام
مراجعة لغوية : محمد عبد الغفار
اخراج داخلي : **الحلم** للدعاية والاعلان

رقم الإيداع : ٢٠١٣/٢٠٣٠٨
الترقيم الدولي : 978-977-6412-37-8



الحلم للنشر والتوزيع
٤ شارع الأشراف من شارع مؤسسة الزكاة - المرح
محمول : 01141824562
dar_el7elm@hotmail.com

ماريمو

رواية

ندي طلال

لا أخفيكم سرا عن توتري..
وربما إحساسي بأنني أنظر إلى امرأة
سوداء اللون أردت أن أرتمي إليها، لكنني
فوجئت بأنها قبري..

§ لحظة ما قبل الموت §

تك .. تك

مهما اختلفت الشخصيات والطبائع ستظل تلك اللحظة مربعة وبها هالة
من اليأس والرغبة، وربما البكاء..
لكن لماذا أبكي إن كنت قد أدت مهمتي في هذه الحياة كاملة وانتهى
عملي هنا؟!

وداعا.. سأموت وأنا أرى وجوهكم التي رسمت عليها ابتسامة يوما ما..
لكن هناك شيئا آخر.. من المحزن أن تموت دون أن تكمل أكل حلوى العصا
باللونين الأحمر والأبيض..
ليس هذا حديثي أنا وإنما حديثه هو.. والقط أيضا!
تك.. تك.. تك..

إيقاع منتظم لصوت قطرات ماء على دلو صدي..
تساعد البخار من بين أنياب قط أسود قد استلقى على سلة قمامة معدنية..
انتفض ليتطاير رذاذ المطر عن شعره الناعم.. ثم استرخى وهو يراقب
الشارع المظلم الذي خلا من أي كائن آخر..

انسدلت أجفانه ليغلق عينيه ببطء محاولا النوم وسط تلك الألوان
الصاخبة التي ضجّت بها الجدران القديمة..
تحركت أذناه لسماع صوت مكابح سيارة.. رفع رأسه بسرعة فلمع ضوءها
في عينيه الصفراوين..
ترجّل منها رجل ذو معطف أسود يضع على عينيه نظّارة سوداء وبيده
حقيبة صفراء اللون..
نظر الرجل حوله للحظات ثم حوّل عينيه إلى ساعته وأخذ يتنهد بارتباك
واضح ويتمتم بتذمر..
ظل القط الأسود ينظر إليه ببرود.. تحرك أنفه الصغير؛ فقد شم رائحة
شهية.. نظر إلى سيارة زرقاء توقفت أمام السيارة السابقة..
ابتعد الرجل بضع خطوات عن سيارته باتجاه الشخص الذي نزل للتو..
مدّ القط جسده لينزل عن سلة القمامة ثم هرول ناحية السيارة الأولى..
وضع يديه بداخل السيارة وهو يحرق إلى تلك الشطيرة المغلفة التي
تربعت على الكرسي الآخر..
حوّل عينيه إلى الرجلين اللذين تبادلا الحقائق فيما بينهما، وكانا يتحدثان
بلغة غير مفهومة للقطط!
وعندما وجد الوضع آمنا وهادئا قفز إلى الداخل وأمسك بالشطيرة بين
أنيابه.. وأدار جسده بسرعة إلى الخارج، إلا أن وقوف الرجل فجأة أمام
باب السيارة دفعه لأن يختبئ تحت الكرسي على عجل برفقة شطيرته..
ركب الرجل وأغلق الباب وأدار محرك السيارة..
أخرج من جيبه هاتفه المحمول وضغط على رقم واحد ثم قال بصوت
مسموع:

- تمّت المهمة سيدي..

تحركت السيارة بسرعة متوسطة، وظل الرجل يهز رأسه بانسجام مع صوت

الموسيقى الصاخب المنبعث من مسجل السيارة..
بينما استمتع القط بجو دافئ ووجبة غذائية مشبعة من تحت ذلك
الكرسي..

انعكست أنوار مدينة لوس أنجلوس الملونة على عيني القط الذي تأملها
بهدهوء.. ثم نظر إلى الرجل الذي أوقف الموسيقى بسرعة وأخرج هاتفه من
جيبه على عجل قائلاً:

- اللعنة.. لقد أخبرته وانتهى الأمر.

ثم أجاب على المتصل، قائلاً بجدية شابها الخوف:

- أنا قريب جداً.. بقي المنعطف الأخير فقط..

أغلق الهاتف بعصبية ورماه على الكرسي المجاور.. ثم شد قبضتيه على
المقود قائلاً بغضب:

يريدنا على وجه السرعة.. لِمَ لا يعطينا طائرات إدا؟!!

توقفت السيارة أخيراً وترجل الرجل وهو يرمي مفاتيحه إلى أحد موظفي
الاستقبال قائلاً بانفعال: اركن السيارة.. وإياك أن ألمح بها خدشاً.. فهمت؟!
نزل القط بسرعة، بينما أوماً الموظف برأسه للرجل بارتباك وهو يضم
المفاتيح بين كفيه..

تمدد القط على الرصيف المقابل وهو يتثاءب.. ثم انتبه واتسعت عيناه
فجأة لرؤية ذلك البناء الضخم الذي أمامه..

والأهم من ذلك وجود هذا العدد الكبير من الرجال الذين يحملون حقائب
صفراء.. ما يعني الكثير من الشطائر اللذيذة..

كانوا يدخلون ويخرجون من ذلك المكان الذي شُيّد بطريقة هندسية
مميزة..

هرول القط بسرعة قبل إغلاق ذلك الباب الزجاجي وقد أخفى وجوده
انحناء موظف الاستقبال واختفاؤه بين قدمي أحد الموظفين الذين يدخلون

إلى ذلك المبنى العجيب..
مشى على تلك الأرضية الرخامية الباردة التي انعكس عليها وجهه الأسود
وعيناه اللامعتان..
لم ينتبه إلى السلم الكهربائي الموجود أمامه فسقط على وجهه ليرتفع به
نحو طوابق أخرى..
نظر إلى تلك السلالم المعقدة التي تحمله والغرف المتشابهة والمتعددة من
حوله والقباب المزخرفة بالأعلى..
سقط على أنفه حين وصل أخيراً.. فهرول مسرعاً ناحية عربة للتنظيف
ليندس بين أدواتها..
وضع عامل النظافة بعض المناشف داخل العربة ثم دفعها ناحية المصعد؛
حيث دخل وضغط زر الطابق الأخير..
سمع صوت جرس، لينفتح المصعد ويخرج العامل وهو يجر العربة من
خلفه..
حمل القط إلى شخصين يقفان أمام إحدى الغرف.. وكان أحدهما يقضم
شطيرة لحم بتلذذ..
قطَّب الآخر حاجبيه معاتباً له وقال:
- هذه الغرفة مهمة جداً، وأي خطأ قد يتسبب في قتلِك.. فألقِ بها قبل
قدوم أحد من ذوي الشأن..
عبس الرجل وقال بضيق:
- أنا جائع؛ فنحن لم نأخذ استراحة منذ الأمس.. سحقا.. أي مهمة هذه؟!
ثم ألقى بالشطيرة بعنف في سلة المهملات بجانبه.. فغر القط فاه ليسيل
لعبه، ونزل من العربة بسرعة نحوها..
اختبأ داخل سلة المهملات خفية.. ظهرت أصوات الرجلين وهما يقولان
باحترام: تم توصيل المعدات..

أطل القط برأسه وهو يعرض على الشطيرة بأسنانه فرأى ثمانية من الرجال والنساء يرتدون ملابس بيضاء غريبة.. يبدو أنهم حفنة من العلماء..

كان يتوسطهم رجل كبير السن بلحية بيضاء ونظارة سميكة أشار بيده إلى الرجلين ليرحلا، ثم وضع يده على مربع أحمر مضيء بالحائط، فتحول إلى اللون الأخضر، وفتح الباب عن آخره محدثا صوتا ثقيلا..

نزل القط ودخل برفقتهم وهو ينظر حوله بفضول كبير، أغلق الباب من خلفهم وتحول المربع إلى الأحمر..

كانت الغرفة دافئة جدا مُصممة على شكل قبة وبها الكثير من الأجهزة المعقدة والغريبة..

كان كل واحد منهم منهمكا في جهاز ما.. أما ذلك العجوز فكان ينظر إلى زجاجة طويلة بها شيء غير واضح..

اقرب القط منه فلمح مخلوقا غريبا أخضر اللون لم يكن له هيئة أو ملامح.. كان شيئا هلاميا كالجيلي!

التفت ذلك العجوز فجأة وقال بصوت جاد:

- لنغلق الطاقة الكهربائية ونعتمد على طاقته هو فقط..

اندس القط بسرعة تحت فراش أبيض وجلس فوق شيء لين ودافئ يتوسط تلك الغرفة المربكة..

انطفأت الأنوار وخفتت أصوات الأجهزة وعم الهدوء المكان، لم تمض سوى لحظات حتى انبعث نور أخضر قوي.. انعكس على نظارات أولئك العلماء بشكل ساطع..

ظلت عينا ذلك العالم العجوز على ذلك الكائن الأخضر حتى بدأ يتلاشى تماما ويدخل بخاره في أنابيب متعددة..

أظلمت الغرفة في عيني ذلك القط وهو يلوح بشكل ضبابي ذلك البخار من حوله.. حتي فقد وعيه تماما..

رفع العالم العجوز يده وقال بحزم:
- لِيُخَلَّ المكان حالا.. ويبعد عنه أي إشارة كهربائية أو طاقة إنسان كامنة..
وملءة ثلاثين دقيقة..
خرج الجميع فوراً من الغرفة التي كان بابها مغلقاً بصفائح حديدية عازلة
ويضيئها ضوء أحمر اللون..

* * *

صالة فسيحة، كُسيّت جدرانها بستائر مخملية قائمة وزخارف تعلوها
لوحات ضخمة ذات إطارات بارزة رُسمت فيها وجوه كئيبة حملت ملامح
البؤس والحيرة..

الإضاءة ذهبية هادئة انعكست على ذلك البيانو البني القائم بشكل ساحر..
كان أمامه شاب يعزف بانسجام تام لحناً تنفطر له القلوب تأثراً.. وقد
غطى ملامح وجهه قناع أبيض بفتحة لعين واحدة، رُسم عليه باللون
الأسود نقوش متداخلة.. حفّته خصلات شعره الشقراء المنسدلة..

وقد وقفت من خلفه امرأة بدت في العشرينات من عمرها، ذات جمال
فائق زاده تبرجها المبالغ فيه.. ضمت كفيها وقالت بسرور:

- سيد «ون»، مهارتك في عزف سيمفونية «بيتهوفن» لنصف القمر لا مثيل
لها.. حقاً من أعذب ما سمعت..

ثم مسحت دمعته بطرف منديلها الحريري.. عليها توصل مشاعرها الرقيقة
لذلك السيد المحترم.

توقف عن العزف وسأل بصوت هادئ رخيم:

- هل انتهوا من صنع سلاحى الخاص؟!

انحنى رجل قدم للتو قائلاً باحترام شديد:

- لقد تم الأمر.. ويجب أن نُمكث نصف ساعة لحين... قاطعه السيد «ون»

قائلاً بتنهيده:

- جيد.. قُـم بالتخلص من كل من علم بهذه المهمة.. حتى الحرس منهم..
ثم نهض من على كرسي البيانو ليظهر طوله الفارع.. ارتدى فردة قفازه
بهدوء.. وهو ممسك بالأخرى..

نظر إليه الرجل بقلق شابه الخوف ثم قال بتردد وصوت منكسر:
- سيدي.. لقد تخلصنا منهم فور انتهاء المهمة.. ولقد جئت لإخبارك
بالأمريـن.. لم يبقَ سواي أنا فقط..

أدخل السيد «ون» يده في دفة جيب معطفه الأبيض، وأخرج مسدسا
ذهبي اللون برأس كاتم للصوت وقال بهدوء: كنت مخلصا لي فكن فخورا..
ثم رفع عينه من خلف القناع ونظر إلى الفتاة التي كانت ترتجف خوفا
وتحرك رأسها يميناً ويساراً وقال بحدة:

- اهدي.. ما كان عليك أن تسمعي لعزفي.. فهو قاتل..

* * *

فتح «القط» عينيه أخيراً ببطء، وهو يعلو وينخفض وفقاً لتنفس ذلك
الشيء اللين والدافئ من تحته..
انزاح الفراش عنهما ليسقط أرضاً.. ويكشف عن شاب مستلقٍ وهو يغطي
عينيه براحة كفيه..

شاب أبيض وزخارف لوشم غريب قد غطت نصف جسده ووجهه.. وله
شعر أخضر منكوش وملامح دقيقة..

اتسعت عينا القط عن آخرهما.. ورفع الشاب رأسه باستغراب إلى القط،
واتسعت عيناه الخضراوان أيضاً..

أطلق الاثنان صرخة مدوية ليضرب صداها أرجاء الغرفة.. ثم سكنت في
لحظة واحدة..

وضع القط يديه على فمه وقال برهبة:
- ماذا حدث لي؟ أنا.. أصرخ..
أمسك الشاب بالقط المندهش من أعلى ظهره ووضعه فوق رأسه بحركة
تلقائية ليختفي بين شعره المنكوش وقال بملل:
أحتاج الذهاب إلى دورة المياه..
نظر الشاب حوله ببرود وهو يحك خده الموشوم ليستقر بصره على باب
الغرفة المصفتح.. ثم فرقع أصابعه قائلاً:
- هذا هو.. دائماً أنسى مكانه..
نزل من الفراش ليشده صوت اهتزاز السلاسل في قدميه ويديه.. فحرق
إليها باستغراب.. ثم نظر إلى زيه السماوي القصير..
سمع صوت «القط» من فوق رأسه قائلاً بقلق كبير:
- ما الذي يحدث هنا؟! أنا أأقلد تصرفات البشر.. وأتكلم.. قل لي إنه حلم..
أرجوك..
ثم شد شواربه البيضاء حتى كادت تتقطع وقال بخوف وفزع:
- لا.. أنا إنسان.. ربما تحولت لقط.. أم أنني مجرد قط أصبح يتكلم.. أم أن
الأمر مختلف تماماً؟ لا أعرف ماذا حدث لي..
قاطع صراخه المنفعل صوت ذلك الشاب قائلاً ببرود:
- أتعرف ما هذا الشيء البارد المتشبث بقدمي؟!
أخفض «القط» عينيه قائلاً بخيبة ولهجة ساخرة:
- حسناً.. أجل.. أعلم..
ثم تنهد قائلاً: إنها أصفاد لمنحك من الحركة..
انتبه «القط» لما قاله أخيراً.. فاتسعت عيناه وهو يصرخ قائلاً:
- لماذا أنت مقيد؟! هل نحن في مصيبة ما.. أرجوك لا أستطيع أن أحتمل
أكثر لأعرف..

مد الشاب يده بين رجليه وفرّق بين إصبعيه السبابة والوسطى ثم قطع الأصفاد كما تقطع ورقة بمقص..

ورفع كلتا يديه لتتدلى السلسلة بينهما ثم لعقها لتتقطع وتختفي وكأهما أُذيت في سائل حارق..

حرك ذراعيه وكتفيه وفرقع عنقه.. ثم قال بهدوء:

- حسنا.. هكذا أفضل..

ظل «القط» فاغرا فاه بدهشة ثم مسح على وجهه قائلاً بتعب:

- حسنا.. كل شيء محتمل اليوم.. عليّ أن أهدأ..

ثم نظر إلى الشاب باهتمام وقال بجدية:

- هل تتذكر أي شيء يخصك: اسمك، عنوان منزلك مثلاً؟!

صمت الشاب قليلاً وكأنه يرتب أفكاره ثم قال مبتسماً:

- لا.. وأنا مستعد لاستقبال ما لديك..

ضحك «القط» وأشاح بوجهه قائلاً بسخرية:

- لا بأس، ما رأيك؟ سأعطيك اسماً.. وهو «ماريمو».. ومعناه الأعشاب

الخضراء باللغة اليابانية.. أليس مناسباً لك؟

ثم أكمل ضحكته الساخرة..

ظل الشاب في شroud متأملاً اسمه الجديد ثم قال بابتسامة بريئة:

- إنه جميل.. هل تود أن أعطيك اسماً لتكون سعيداً مثلي؟!

عقد القط حاجبيه قائلاً بغضب:

- أعطني اسماً بعد أن نخرج من هذا المكان.. فلقد كنت مقيداً، وهذا

يعني أن هناك مشكلة..

ثم نظر حوله بوجه حائر نحو أنابيب الاختبار والمعدات والأجهزة وهو يقول:

- وجودنا في مختبر وعلى فراش واحد يدل على أننا تعرضنا معا لتجربة ما؛

لذا فهناك من سيأتي ليتفقدنا..
علينا أن نخرج من هنا حالا.. هذا ما يخبرني به حدسي.. فلا أدري لِمَ أنا
متشائم هكذا..
نظر «ماريمو» إلى فتحة التهوية بالأعلى وقال:
- هيا، سوف نخرج من هنا؟!

* * *

نظر إلى ساعته الذهبية التي تدلت من سلسلة تعلقت بسترته البيضاء ثم
همس قائلاً:
- يبدو أن الوقت قد حان لكي يرى كلانا الآخر.
انحنى كبير الخدم قائلاً بلهجة رسمية:
- تم تنظيف المكان سيدي وتبديل البيانو لأنه تلطخ بالدماء، واكتمل
تجهيز المكان لكما..
ظل السيد «ون» صامتا وقد زاده وجود قناعه على وجهه غموضا.. بينما
هب هواء من الشرفة ليحرك خصلات شعره الشقراء، وقال بصوت عميق:
- هل تعتقد أنه سيكون سلاحا جيدا.. أم أنه سيكون مثل سابقه؟ فأنا..
اعتدل الخادم واقفا وهو ينظر إليه بحزن.. ثم ابتسم بدفء قائلاً:
- سيد «ون»، اسمح لي أن أقول لك إنك تمتلكه بين يديك؛ لذا..
قاطععه السيد «ون» قائلاً بهدوء:
لا أحتاج لتلك الابتسامة الزائفة.. فقد رأيتها مرارا وهي تصيني بالاشمئزاز..
انحنى الخادم بسرعة وبقلق وقطب حاجبيه قائلاً برجاء:
- آسف سيدي .. أرجو أن تسامحني لحماقتي..
قام السيد «ون» من كرسيه باتجاه الباب ثم توقف أمامه قائلاً:
- قم بإلغاء مواعيدي للأيام الخمسة المقبلة.. أرجو ألا يتدخل أحد بيني

وبينه في تلك الفترة.. فالأمر شخصي..
رفع الخادم رأسه قائلاً بقلق شديد:
- ولكن.. سيدي.. قد تتأذى؛ لذا تجب حمايتك..
أطلق السيد «ون» ضحكة قصيرة، شابتها السخرية، ثم أمسك بقناعه وشد
بأصابعه عليه قائلاً بهدوء:
- إن الأمر مثير للشفقة.. فأنا وحش أيضاً.. هل من المقدر أن تلتقي أرواح
الوحوش؟!

* * *

سقط وسط حاوية قذرة فتناثرت القمامة وقشور الفواكه منها واستقرت
على ذلك الرصيف المظلم..
صرخ القط الأسود من وسط الحاوية بضيق:
- أبعد قدمك عني.. لقد انتهى بنا الأمر داخل حاوية قمامة..
ثم أردف قائلاً بسخرية:
- وكأنني لا بد أن أعود إليها..
نهض «ماريمو» ووضع القط المنزعج على رأسه وقال باستغراب وهو يطل
من الحاوية:
- لم أكن أتوقع أن تلك الفتحة ستقودنا إلى هنا.. من الجيد أنني سلكت
الطريق الآخر لتلك الفتحة الضيقة..
صمت القط لوهلة ثم قطب حاجبيه قائلاً بتردد:
- أجل.. تفكيرك جيد بعض الشيء.. من الغريب أنك تمثّل لأوامري..
ثم انتبه لشرود «ماريمو» وهو يحدق إلى القمر بذهول تام، ثم مد يده
الموشومة وكأنه يتلمسه.. وقال بهمس:
- ذلك الكوكب الدائري المنير.. أشعر بأنني لم أره منذ زمن..

التمتع القمر في عيني القط وهو ينظر إليه بتأمل ثم قال بسخرية:
- ما هذا الجو العاطفي فجأة؟ ثم.. ألم تكن بحاجة إلى دورة المياه؟!
ابتسم «ماريمو» ببلاهة قائلاً:
- لم أعد بحاجة إليها..

* * *

توقف صدى صوت خطواته عند ذلك الباب الفولاذي، وحرك بصره في
أنحاء المختبر الخالي من أي كائن..
تقدم ناحية جهاز به أنبوب نابض يضخ سائلاً أخضر اللون ولمسه برفق ثم
قال بهمس:
- لقد ذهب ونسي قلبه، هل التقى بمن ساعده على ذلك؟!
ثم أخفض رأسه وقال بصوت حانق:
- اللعنة.. أين ذهب؟!

* * *

استدار القط الأسود فوجد «ماريمو» يمسك بقلبه ويلهث بتعب، فقال
باستغراب:
- هل أنت بخير؟! تبدو مريضاً..
انعكست صورة «ماريمو» على واجهة محل لبيع الحلوى وهو يمد يده
ليمسح البخار عن زجاجه.. ثم قال بهدوء: شعرت بوخز خفيف لا أكثر..
لكنه مؤلم..
تساقطت نترات الثلج البيضاء في أرجاء الطريق الخالي لتغطي وريقات
الشجر التي غرست على الأرصفة..
نظر القط نحو السماء المظلمة المتلبدة بالغيوم ثم قال باستياء:

- اكتمل وضعنا البائس.. فالجو يزداد برودة..
حرك ناظريه إلى «ماريمو» الذي كان يرتدي قميصا سماويا يصل إلى نصف
ساقيه وقد احمرت قدماه الحافيتان وهما بين الثلوج اللامعة.. وما زالت
القيود المقطوعة في معصميه النحيلين.. ثم نحى وجهه قائلاً بتردد:
- ألا تشعر.. بالبرد؟!
هز «ماريمو» رأسه نافيا ليتصاعد البخار من بين شفثيه.. ثم قال مشيراً إلى
الداخل:
- هناك حلوى؛ لذا سأذهب لآخذها.. ثم اتجه نحو باب المحل بينما صرخ
القط قائلاً بانزعاج:
- أيها الغبي.. ما الذي تظنه بذهابك بهذه الملابس.. ومن أجل حلوى؟
وهل تمتلك نقوداً لشرائها؟!
اهتز جرس باب المحل فرفع طفل بصره ناحية «ماريمو» الذي أخذ ينظر
إليه.. وتحديداً إلى الحلوى التي في يده.. تشبث القط بشعر «ماريمو»
وأخفض رأسه بسرعة وهو يقول:
- أرجوك لا تضعني في موقف محرج، هل ستأخذ حلوى الطفل؟! من
الأفضل أن نخرج قبل أن يلاحظنا صاحب المحل.
مشى «ماريمو» ليتعدى الطفل المندهش ناحية رفوف الحلوى وأخذ
يتفحصها بتمعن.. ثم قال بصوت مرتفع:
- هل لديك حلوى العصا باللونين الأحمر والأبيض؟
أجاب صاحب المحل دون أن يزيح بصره عن صحيفته:
أجل.. إنها في الرف الثاني يميناً.. العلبة الصفراء..
مد «ماريمو» يده إليها فأوقفه صوت الطفل قائلاً بحماسة:
أنت «جورمين».. لقد رأيتك في مجلة «المانجا».. فلديك شعر أخضر ولديك
قط آلي، لكنه كان أجمل كثيراً.. أما هذا القط الأسود فهو بشع..

اهتزت شوارب القط قائلاً بانفعال في نفسه:
 - ياله من يوم كتيب، إنه أشبه بالجحيم..
 بينما ظل «ماريمو» ينظر إليه بهدوء وبهلامح صافية ثم قال:
 - أنا أريد هذه الحلوى التي تشبه العصا..
 التمتعت الدموع في عيني الطفل وقال بحزن:
 - أنت فقير ولا تستطيع شراءها بعد أن قام الوحش بنفيك، أليس كذلك
 «جورمين»؟ لذا سأعطيك هذه.. ومد يده بالحلوى إلى «ماريمو» الذي
 انحنى وأخذها من الطفل قائلاً بلهفة:
 - أنت شخص لطيف..
 عبس القط قائلاً بسخرية:
 - إنها مجرد حلوى مغطاة باللعب.. لِمَ هذه السعادة كلها؟!
 بتر حوارهما صوت امرأة وهي تقول بصوت مرتفع قلق:
 - ما الذي تفعله.. «جيمي»؟!
 ثم سحبت يد الطفل بقوة وأدارت ظهرها وهي ترمق بقايا القيد في يد
 «ماريمو» ووشمه المبالغ فيه بخوف قائلة لطفلها:
 - لا بد من أنه مجرم هارب.. لا تتحدث مع أمثاله!
 ثم سحبت صحيفة صاحب المحل بقوة وانحنت عليه وهي تقول بقلق
 وبصوت منخفض:
 - ذلك الشخص هناك، ألا يبدو مريباً؟ اتصل بالشرطة أرجوك..
 نظر صاحب المحل حوله باستغراب، قائلاً بصوت مرتبك:
 - عن أي شخص تتحدثين سيدة «جونز»؟
 اعتدلت المرأة واقفة وهي تراقب المكان ثم قالت بجدية:
 - أكاد أقسم إنه كان هنا.. كيف خرج إذًا دون أن نلاحظه؟!
 ثم أمسكت بكتف ابنها قائلة بحزم:

- «جيمي».. لقد رأيته.. قل له ذلك!
- ظل الطفل ينظر إليها بذهول ثم هز رأسه نافيا قائلاً ببراءة:
- لم يدخل أحد غيرنا..
- ردت السيدة بانفعال وقلق كبيرين:
- لا تحاول إخفاء الحقيقة.. لقد كنت تحادثه..
- ظل الطفل صامتا وعلى وجهه الحيرة، بينما تنهد صاحب المحل قائلاً:
- سيدة «جونز»، لا بد من أنك متعبة.. لم يدخل أحد غيركما المكان؛ فالوقت متأخر، ومن النادر قدوم أحد في وقت كهذا.
- ظل «القط» يراقب ما يحدث أمامه بدهشة كبيرة ثم قال بصوت متقطع:
- إنهم لا يروننا.. وذلك الطفل نسي ما حدث، وكذلك صاحب المحل.. ما الذي قمت بفعله؟!
- ارتسمت نظرة غريبة على وجه «ماريمو» وحرك عصا الحلوى للأعلى ثم قال بصوت واثق:
- تلك المرأة ستموت.. وذلك الطفل سيبيكي دما..
- صُدم «القط» مما قاله، ثم أردف قائلاً:
- هل ستقتلها لأنها فقط نعتتك بالمجرم؟!
- تحرك جرس المحل ببطء وهو يرن إثر خروج السيدة وطفلها منه..
- ظل «ماريمو» يراقبهما وقد تساقطت عليهما الثلوج ثم تحركت شفتاه قائلاً:
- إنها تذكر ما حدث بيننا، وهذا دليل على أنها ستموت في مكان ما..
- رد «القط» بانفعال:
- عن ماذا تتحدث؟ وكيف تجزم بشيء كهذا؟!
- أغمض «ماريمو» عينيه ليرتب تلك الصور المبعثرة في عقله وقال بهمس:
- لعاب الطفل.. فقد عرفت منه ماذا سيحل بذلك الطفل من أحداث..

وخلاياه موصولة بأمه.. فعرفت أنها سوف تُقتل بيد زوجها في وقت ما..
وتتذكرني على الرغم من أنني مسحت من ذهنيهما ما حدث خلال الخمس
دقائق الماضية إلا وجود الحلوى المفضلة لديّ.

ثم فتح عينيه الحادثين وقال بصوت عميق:

لن تفيدني تقنية المسح في حالة شخص سيموت بعد خمس دقائق..

ارتجف القط قائلاً بصوت متقطع:

- انتظر.. بما أن تقنيته لن تفيد في حالة شخص سيموت.. لِمَ لَمْ تترك
عندما اختفيت إذًا؟!

خرج «ماريمو» من الباب الزجاجي دون أن يقوم بفتحه واستقرت قدمه
على الثلوج لتُغرس فيها، ثم قال بجديّة:

- هذه هي التقنية الثانية.. ولا علاقة لها بما فعلت للتو..

صمت «القط» وقد أحاط به الذهول والحيرة ثم قال:

- من أنت؟!

أجاب بابتسامة لطيفة:

- أدعى «ماريمو».

رفع «القط» حاجبيه بانفعال وقال بصوت ساخر:

- معلومة جديدة.

مشى «ماريمو» على الرصيف المغطى بالثلج وهو يحرك الحلوى بين شفتيه..

أوقفه صوت القط قائلاً:

- انتظر.. إلى أين تريد الذهاب؟ ثم إنني أريد أن أرى ما سيحل بتلك

المرأة وطفلها!

توقف «ماريمو» عن المشي ثم قال بصوت جاد:

- إنهما لا يحملان معلومات قيمة.. فهل أنت مهتم بالاطلاع على مدى

فعاليتي فحسب؟!

رد «القط» بتردد:

- نوعا ما.. وربما نتمكن من إنقاذهما.

أخفض «ماريمو» رأسه وابتسم قائلاً بصوت عميق:

- إنقاذهما؟! وما الذي سنجنيه من شيء كهذا؟!

قطب «القط» حاجبيه وقال بضيق:

- لا أدري.. لكن ألا يجب أن يساعد البشر بعضهم بعضاً؟

تنهد «ماريمو» وأزاح شعره عن عينيه ثم شد عليه قائلاً:

- بشر.. مساعدة.. ما هذه الكلمات؟ على كل حال لقد فات الأوان، لكنني

سألبي رغبتك..

اهتز القط فوق رأس «ماريمو» الذي مشى بخطوات سريعة فتشبت

بشعره.. وقال في نفسه بقلق:

- هذا الشخص يتحدث وكأنه إنسان آلي.. لكن لا أدري ما الذي يجعلني

مهتم به.. أشعر وكأنني أعرفه منذ زمن بعيد.

* * *

زقاق ضيق ومظلم بجانب مبنى قديم متهاالك وبه الكثير من القطع

المعدنية القديمة الصدئة التي تسربت من بينها المياه..

تردد في أرجائه صوت طفل يبكي.. وصوت عدة ضربات بجسم معدني..

تسللت خيوط الشمس التي أشرقت ببطء بين شقوق المبنى لينعكس

ضوؤها على حلوى لامعة..

التفت رجل في العقد الرابع من عمره وقد تصبب عرقاً وهو يلهث بشدة

محدقاً بـ«ماريمو» بدهشة وخوف كبيرين.. نظر «القط» برهبة إلى المرأة

التي غرقت في دمائها أمامه والقضيب المعدني الذي بيد الرجل..

وأخيراً الطفل وقد فُقت عيناه فاختلطت دموعه بدمه.. فبدأ وكأنه يبكي

دما..

شئت ذلك الصمت صراخ الرجل قائلاً بصوت أجش مبحوح:

- ما الذي تفعله هنا؟! ستموت..

رد «ماريمو» بهدوء:

- «القط».. طلب «القط» مني أن يرى ذلك.. وليس لديَّ أي مهمة ضدك.

صمت الرجل وهو يحدق بعينين متسعيتين إلى «القط» الذي لوَّح له بلطف مصطنع.. ثم صرخ ليتناثر اللعاب من فمه وهو يقول بحنق:

- لا تدعي أنك مجنون، فهذا لن يغفر لك.. سأقتلك..

ثم أقبل راكضاً إلى «ماريمو» بجنون.. فصرخ «القط» بفزع:

- لم أكن أتوقع وجود قاتل مجنون.. لنهرب..

فجأة تناثر الدم على تلك الكتل المعدنية الصدئة وتطايرت أشلاء صغيرة من خلفها ذراع الرجل ممسكة بالقضيب..

اتسعت عينا «القط» عن آخرهما وهو يراقب الرجل وهو يصرخ متألماً ممسكاً بذراعه.. ثم رفع عينيه الصفراوين ليرى يده المبتورة معلقة بواسطة القضيب على السور الحديدي بالأعلى وهي تتقاطر دماً.. حوَّل ناظره إلى «ماريمو» الذي ما زال يداعب الحلوى بين شفتيه ولم تتحرك يداه قط..

لهث الرجل بصعوبة وهو يزفر بألم كبير ثم قال بصوت متقطع:

- ما الذي فعلته؟!

نظر إليه «ماريمو» بوجه بارد وقد تحرك الوشم ليعود إلى مكانه ثم قال:

- مهما حاولت القفز فلن تستطيع الوصول إلى يدك المعلقة.. محو أدلة جريمتك مشروع قد باء بالفشل..

احتدت عينا الرجل ورد بحقد كبير مُزج بالألم:

- ما الذي تريده؟! لا تقل لي إنك عميل سري أو محقق حقير..

ابتسم «ماريمو» بلطف ثم قال:
- أردت أن أري «القط» ما أراد أن يراه.. ولست مهتما بجريمته.. وعذرا
فقد انتهت مهمتي هنا..
ثم أدار ظهره مغادرا وسط حيرة الرجل الذي جثا على ركبتيه وقد أحاط به
صراخ الطفل الصغير وقطرات دمه النازفة من ذراعه المعلقة..

* * *

مرر أصابعه على قناعه وهو يراقب باهتمام تام قلب «ماريمو» الذي تغير
ليخفق بشدة من داخل تلك الأنابيب..
همس السيد «ون» في نفسه بجديّة:
- لا بد أنه تعرض لموقف ما، احتاج بسببه إلى الطاقة.. وهذا سيئ.. سيمحو
جميع ما أريده منه إن قابل المزيد من الناس..
ثم احتدت نظرتة من خلف فتحة القناع وقال بغموض:
- تجربة فاشلة.. لا يستحق سوى أن يُحى من الوجود..

* * *

ارتفع نور الشمس على المباني وارتفعت معها مياه النافورات لتنتثر قطرات
الماء اللامعة من تلك التماثيل الحجرية..
وبدأ الطلبة بالاندفاع خارج بيوتهم وهم يرتدون ملابس المدرسة..
وقامت بقية المحلات بفتح أبوابها.. وعمّت الطرق حركة السيارات
الصاخبة..
جلس «ماريمو» تحت ظل شجرة في حديقة صغيرة معزولة وهو يراقب
تلك الأجواء المضطربة الغريبة..
ظل «القط» صامتا وقد علت وجهه علامات الحزن والحيرة..

تحركت الحلوى في فمه وهو يقول:

- ما بك؟! تبدو هادئاً..

أجابه «القط» بهدوء:

لقد شاهدت ما يكفي ليجعلني أخرس: الطفل.. وأنت...

قاطععه صوت «ماريمو» وهو يشير إلى أحد الطلبة قائلاً بحماسة:

- انظر.. إنه يمثل عمري تماماً.. أتساءل: إلى أين يذهب؟!

نظر «القط» لمثل ذلك الشاب الذي بدا في السابعة عشرة وهو يعبر

الطريق بحذر مرتدياً زياً مدرسياً، ثم أجاب:

- بالتأكيد سيذهب إلى المدرسة.. أنعلم؟ بدأت تثير أשמئزازي..

رفع رأسه قائلاً ببراءة:

- وما السبب «مونتي»؟!

أجاب «القط» بعصبية مكبوتة:

- أراك متحمساً لمواقف سخيفة وبارداً كالثلج في مواقف عصبية.. ثم ماذا

تقصد بـ«مونتي»؟! ضحك «ماريمو» قائلاً:

- إنه اسمك.. آسف لأنني لم أعطك اسماً إلا الآن..

صمت «القط» وارتسمت على فمه ابتسامة هادئة قائلاً في نفسه: مهما

ارتكبت من أمور غريبة تظل شخصاً أحبه.. فمهما فعلت أجد نفسي أتعجب

حماقاتك مرغماً.. ولا أعلم السبب.. فما عمر معرفتي بك حقيقة؟ لا أعرف.

قطع تفكيره نهوض «ماريمو» وهو يشد قبضتيه قائلاً بحماسة كبيرة:

- لنذهب حيث يذهب.. سنرى ذلك الشيء المسمى مدرسة.. فهي كلمة

جديدة على قاموسي..

رد «مونتي» بسخرية:

- لا بأس.. فقد سرقت منها الشطائر المشنومة دوماً.. وهذه المرة لن

أحذرك.. فأنت السيد هنا..

مشى «ماريمو» بخطوات سريعة على الأعشاب الباردة..

* * *

تلمس ذلك الأنبوب اللين النابض حتى استقرت يده في منتصفه ثم قال بصوت بارد:

- من المؤسف محوك؛ فقد عوّلت عليك كثيرا..

ثم صرخ وسحق الأنبوب بين أصابعه لتتناثر منه كتل خضراء لامعة..
اتسعت عينا «ماريمو» بألم، ثم أمسك ب صدره، ونزف سائلا أخضر من فمه
وتقوست ساقاه النحيلتان.. ثم مد يده المرتجفة إلى ذلك الطالب الذي
كان يركب السيارة وكأنه غريق يحتاج أن يتمسك بقشة..

صرخ «موثي» في ذهن «ماريمو» بصوت مكتوم تداخل مع الألم:
- أجبني.. ماذا بك؟!

اهتز جفناه وهو يلتقط أنفاسه التائهة ثم رد قائلاً بصوت متقطع:
- لم تنتهِ الحلوى بعد..

سقطت الحلوى على تلك الأعشاب الطرية وانهار جسده إلى جوارها جثة
هامدة عانقت ذلك العشب الملتوي البارد..
قرعت قطرات المطر الغزيرة زجاج السيارة الحمراء.. وبرق الرعد بصوت
صارخ..

أضاءت الإشارة باللون الأحمر الوهاج.. إلا أن السائقة أطلقت تنهيدة غير
مبالية وهي تدوس بقدمها بقوة لتطلق ذلك الغضب من داخلها.. وتحصل
لنفسها على الحرية.. مخلقة موجة من الماء الهادر..

بعد دقائق.. مدت يدها المليئة بالأساور لتعدّل من وضع المرأة الأمامية؛
فقد صدق ظنها بوجود شرطي على دراجة نارية يتبعها..

وضعت يدها على قلبها.. ورسمت على شفيتها ابتسامة صفراء.. لتتناثر

خصلات شعر أسود على كتفها..
داست على المكايح فجأة.. لتتوقف..
ترجل الشرطي عن دراجته النارية، وقد تصاعد البخار من بين شفثيه
بسبب البرودة الشديدة.. تقدم نحو السيارة الحمراء..
انحنى وحقق بالفتاة لثوانٍ ثم قال بهدوء:
- أتعلمين أي مخالفة ارتكبتِ للتو؟!
ابتسمت الفتاة بلطف وهزت كتفها ثم عقدت حاجبها القصيرين قائلة:
- آسفة..
رد الشرطي وهو ينظر إلى سيارتها الفارحة بتأمل قائلاً:
- ألسأ أصغر من أن تقودي سيارة كهذه؟
ثم استدرك قائلاً: بالمناسبة.. أألك رخصة قيادة؟!
فوجئ بدموع الفتاة على وجنتيها المحمرتين وهي تمسك بالمقود الجلدي
بيدين مرتجفتين وتقول بصوت متقطع:
- أمي مريضة.. يجب أن تذهب إلى المستشفى، ولم أملك حلاً سوى أخذها
بنفسي..
ثم التفتت نحو المقعد الخلفي وهي تنظر بحزن إلى ذلك الشخص المغطى
بالكامل..
ارتبك الشرطي ثم قال باهتمام:
- هل تحتاجين إلى مساعدة؟! فهي لا تتحرك، يجب نقلها بسرعة..
مسحت دموعها بظاهر كفها وهي تقول بصوت دافئ:
- شكراً.. سأتكفل بالأمر، فوسيلتي أسرع.. والمستشفى قريب..
نظر الشرطي إلى عينيها الزرقاوين البريئتين بجدية ثم قال بصوت عميق:
- هيا اذهبي بسرعة.. وخذي حذرك..
انطلقت بسيارتها وهي تحديق إلى المرأة الجانبية؛ حيث ابتعدت، ثم قالت

بصوت حاد:

- من الجيد أنك كنت لطيفاً..

ألقت بسلاح متوسط الحجم من نوع «بازوكا» من يدها.. ثم دسّته بقدمها
بالأسفل..

لمست موضع قلبها بأطراف أصابعها لتعود ملامحها الجادة ويرتفع شعرها
الوردي الفاقع المبعثر.. وتوهجت عيناها بلون أصفر..
انعطفت نحو زقاق ضيق وتوقفت أمام بناية مهجورة مظلمة قد انهار
أغلب أجزائها..

ترجلت من السيارة.. ثم قامت بفتح الباب الخلفي.. ظلت تتكئ عليه
وهي تنظر بتأمل لمن بالداخل..

ثم أزاحت الفراش الأسود بقوة.. قائلة بصوت حاد ومرتفع:
- ألم تكتفِ من النوم أيها السلاح الأخضر؟!

* * *

الأنوار مطفأة، وصوت لحن عذب يعزف عزفاً يتناغم مع ذلك السكون..
تسللت أشعة الشمس من بين الستائر السوداء لتلتمع على مفاتيح البيانو..
وتظهر شعره بلون ذهبي براق..

توقفت أصابعه عن الحركة وأخفض رأسه قائلاً بهمس:

- ما الذي تريده؟ ألم أقل إني لن أقابل أحداً خلال خمسة أيام؟!

ظل الخادم صامتا وهو يحرق إلى السيد بنظرات حزينة ثم زم شفثيه
وعزم على الكلام قائلاً:

- سيدي.. لقد كنت خادماً لك منذ صغرك.. وعاهدت والدتك أن أراك..
أرجوك أخبرني بما يضايقك..

ضرب السيد «ون» مفاتيح البيانو بقبضته بقوة لتصدر صوتاً مزعجاً ثم

قال بغضب:

- اخرس.. أنت لا تعلم شيئاً.. ذلك الشيء.. لقد هرب.. والأدهى من ذلك أنه لم يمت.. والآن أنا لا أعلم أين هو..

فوجئ الخادم مما قاله؛ فهذه هي المرة الأولى التي يرى فيها السيد بهذا الانفعال.. ثم رد بارتباك:

- لم أكن أظن أن يستطيع أحد أسلحتك البشرية الذهاب بعيداً بنفسه.. الأمر غريب..

تنهد السيد «ون» وحنى رأسه باستياء ثم قال بهدوء:

- وهذا ما يثير حنقي.. فمن الذي قابله وأوحى له بالذهاب؟! هل هو خصم لي.. أم أن ذلك بسبب فشل التجربة؟

ثم أمسك بقناعه واتكأ بيده على البيانو وسرح في تفكير عميق..

ارتسمت ابتسامة حانية على شفطي الخادم «باركر»، قائلاً في نفسه:

- هذه المرة هناك رابط بينهما.. لن يترك ذلك الشيء يفارقه أبداً.. أرجو أن يكون نافعا.. له..

نهض السيد «ون» ثم قال بصوت هادئ:

- قطعة نادرة كهذه لا يجب أن تلقى في أيدي السفلة من عصابات الشوارع.. لا بد من إيجاده..

* * *

وضعت علب المشروبات الغازية في البراد.. ثم انتصبت واقفة وهي تراقب ذلك الشاب المستلقي على الأريكة..

أغلقت البراد ليختفي الضوء بداخله.. ثم همست قائلة:

- لا بأس.. ستشعر بالخمول قليلاً.. لا تنس أنك كنت ميتاً..

فتح عينيه ببطء لتلتمع بين أهدابه الخضراء.. ثم رد قائلاً بهدوء:

- ما الذي حدث لـ«مونتي»؟!
ألقت بنفسها على الأريكة المقابلة وهي تمسك بالقط بين يديها وتمسح عليه قائلة:
- تقصد «القط»؟ إن تأثير الألم عليك أقوى منه، إلا أن جسده أضعف منك.. سيصحو بعد ثوانٍ..
اتسعت عينا «ماريمو» ونهض بسرعة قائلاً بانفعال:
- إنه رأسي.. كيف تجعلينه بين يديك؟!
مكثت الفتاة تحديق إليه بدهشة لثوانٍ.. ثم قطبت حاجبيها قائلة بحدة:
- أنت غبي أم ماذا؟! إنه مجرد «قط».. من الواضح أنك سلاح بشري لمنظمة ما، من العادة أن تكون الأسلحة البشرية نظيفة وذكية.
وضعت أطراف أصابعها على أنفها قائلة بتقزز:
- أنت مثير للاشمئزاز.. انظر لنفسك فملابسك قذرة.. أخشى أنه قد تم التخلص منك..
ابتسم وأطلق تنهيدة خرجت من أعماقه، ثم ألقى بنفسه ليغوص في تلك الأريكة اللينة قائلاً:
- المهم أنني فهمت من ذلك أن الذي بين يديك ليس رأسي.. معلومة جديدة..
مكثت تراقبه بريبة ثم أخفضت رأسها لتمسح على شعر «القط» بأصابعها قائلة:
يجب ألا تتحرك كثيراً؛ فحرك لم يلتئم بعد.. لم أكن أصدق ما رأيت.. فلم يكن لديك قلب.. لماذا؟!
أنت مجرد سلاح، لكنك لم تكتمل، فما زال الجانب البشري بك قويا.. لكن اختفاء القلب يشكل لي لغزا غير مفهوم.. فمن أنت؟ وما حكايتك؟!
نظر إلى ذلك السقف المتشقق وقد كسته شباك العنكبوت ثم قال بهمس:

- أَدْعَى «ماريمو»، وهذا كل ما أعرفه عن نفسي..
ثم حوّل ناظرِيه إلى الفتاة وقال بابتسامة تقطر براءة:
- أنا صديق «مونتي»، فهل ستصبحين صديقتنا؟ أنتِ تقاربيني في العمر.
أغمضت عينيها ومكثت على تلك الهيئة من الجمود، واهتز حاجباها بقلق
وكأنها تحاول كبح شعورٍ ما، ثم قالت بصوت حائق:
- لقد.. أعطيتك أحد قلوبِي لأعرف من تكون.. علمت أنك لست عاديا..
وقد تفيدنا بشكل ما.. لا تجعلني أندم على ذلك.
ارتسمت ابتسامة واثقة على شفتي «ماريمو» زادت ملامحه دقة، ثم قال
بلهجة جادة:
- أنتِ أيضا لستِ عادية.. لقد تحولت لإنسانة أخرى أمام ذلك الشرطي..
أستطيع القول إن لديك أربعة قلوب ولكل قلب شكل ووظيفة معينين..
كما أن لكل قلب منها شخصية متفردة لا تمت للأخرى بصلة..
عقد الذهول لسان تلك الفتاة وكأنه صفعها بحقيقة تكره الاعتراف بها،
فارتجفت شفاتها قائلة بتردد:
- كيف عرفت هذا كله؟!
مسح بكفه على جرحه الذي كان مخيطا بعناية فوق موضع قلبه النابض،
وقد توهجت من حوله عروق خضراء نبضت بتناغم منتظم.. ثم أجاب
بهدوء:
- لديّ قلب قد عاش معكِ يوما.. من عادة القلوب أن تختزن أكثر من
العقول..
هدأت ملامح الفتاة وأطرقت برأسها لتتناثر خصلات شعرها الوردي على
عينيها.. وضمت «القط» إلى صدرها دون أن تشعر.. وكأنها تريد إطفاء
ذلك اللهب الحارق الذي اختلج في صدرها..
استيقظ «مونتي» في تلك الأثناء وأحس بشيء دافئ أدرك أخيرا أنه بحضن

فتاة.. فصرخ بأعلى صوته قائلاً:

- ما الذي يحدث هنا؟!

صُدمت الفتاة بذهول ورمت «القط» بقوة وهي تصرخ برعب..

هو «مونتي» على الطاولة التي ارتطم بها ليستقر على الأرض متألماً وهو يتمتم بتذمر قائلاً:

- اللعنة.. لِمَ أَلْقَتَنِي هكذا؟

حملة «ماريمو» من ذيله ورفعته إلى الأعلى وهو مستلقٍ وظل ينظر إلى وجهه العابس ثم قال بهدوء:

- أنت.. لقد حسبت أنني أتحدث مع نفسي طوال الوقت.. لقد جعلت مني أحقق..

فغر «مونتي» فاه قائلاً بسخرية:

- لا تنكر أنك دعوتني بـ«القط»، فعن أي نفس تتحدث؟! ثم لا تحملني هكذا.. فأنا «قط» محترم..

ظلت الفتاة تقف مشدوهة وهي تراقب ذلك الحوار العجيب، وقد أحاطت بها دوامة من التفكير وهي تردد في نفسها:

- «قط» يتحدث! هل من الممكن أن يكونا قد مرّا بتجربة واحدة؟

عضت على شفتها السفلى وعقدت حاجبيها لتبرز عروق جبينها وفكرت بانفعال:

- من المؤكد أنهما من ابتكار منظمة ما.. إنه سلاح خطير جداً.. كيف لم أنتبه إلى وشمه الغريب هذا؟!

استرخت، وخفضت كتفيها وهي تبعثر شعرها بيدها قائلة بضيق:

- كيف لسلاح كهذا أن يجوب الشوارع؟! يجب أن يصل الأمر إلى «كلاود».. أخشى أن يكون فخا كسابقه..

كان «ماريمو» يدلك ظهر «مونتي» الذي ظل منسجماً بشكل عجيب وهو

مسترخٍ على بطنه وهو يقول:

- حسناً أنت أنقذتنا وأصبح «ماريمو» بخير.. بالمناسبة ما اسم...

قاطعته الفتاة مشيرة إلى نفسها بيدها قائلةً بجدية:

- أَدعى «كريمسون»، بمعنى اللون القرمزي، وبالطبع الاسم مستعار..

أشاح «مونتي» بعينه بلا مبالاة ثم قال بحدة:

- لن أكون متملقاً وسأقولها وبكل وضوح: لماذا قمتِ بإنقاذنا؟!

توجهت إلى البراد وفتحته ثم انحنت ليكسوها نوره وهي تقول بثقة:

- نحن في عصر لا يقبل بالأغبياء.. بالأمس احتفلنا بالعام «٢١٠٩»، إلا

أن الشوارع ظلت خالية، والسبب واضح؛ فهذا العصر تحكمه المنظمات

الضخمة.. والقوي في هذا العصر ينهش لحم الضعيف بلا رحمة..

نهضت وهي تمسك بعلبة تونة مفتوحة وأخذت تنظر إليها باستياء قائلة:

- لا بأس أن تكون طعام «القط».. سأذهب لشراء شيء لنأكله..

اهتز حاجبا «مونتي» لشعوره بالإهانة مجدداً وقال بضيق:

- بالطبع أنا «القط» هنا..

أحس «ماريمو» أنه يجب أن يقول شيئاً، فنهض عن الأريكة وقال باهتمام:

- أنا سأذهب لشراء ما تريدين..

ارتدت معطفاً طويلاً أزرق وصل إلى منتصف ساقها واعتمرت قبعتهـا

الصوفية وهي تقول بهدوء:

- إنك سلاح بشري مهم.. يجب أن تبقى هنا.. فهناك خطورة عليك.

صمت «ماريمو» لوهلة وكأنه يلتقط كلمات مبعثرة وصعبة.. ثم قال

بحماسة:

- الخروج.. في وقت خطير كهذا! لكنني رجل.. ويجب على الرجل أن يحمي

الفتاة..

توقفت يداها عن تعديل قبعتهـا ثم أنزلتهما ببطء.. والتفتت إليه بابتسامة

وهي تقول بصوت ذكوري:

- أنا رجل الآن..

فوجئ «مونتي» برؤيتها؛ فقد تحولت فجأة إلى رجل في الخمسين من عمره
قد تفرقت على وجهه خصلات شعر بيضاء.. ملامحه حادة وقاسية وعينه
بلون السماء ضيقتان شكلا وواسعتان معنى.

جلست على العتبة الخشبية وهي ترتدي حذاءها الأسود ذا العنق الطويل
قائلة:

- الحمام في الممر الأيمن فاغتسل وبدّل ثيابك.. وإن تحدث إليك شخص ما
فلا تُعِرّه اهتماما.

أغلقت الباب من خلفها ولم يلبث حتى طمس وجوده الجدار!

دس «مونتي» فمه في التونة وظل يعضها قائلاً بتعجب:

- حقا العالم غريب.. كيف استطاعت أن تتحول بهذا الشكل؟! عموما
بوجودي مع شخص مثلك يمكنني توقع أي شيء..

نظر حوله باهتمام؛ فقد كانت الغرفة قديمة قد كُسيّت جدرانها بجرائد
ومقالات ممزقة.. ثم قال بتنهيده:

- يبدو أننا لسنا وحدنا هنا.. فمن الشخص الذي طلبت منا تجاهله؟!
وذلك الـ«كلاود» من يكون؟

على كل حال لن نستطيع الخروج من مكان كهذا؛ فهي لم تكلف نفسها أن
تأمرنا بعدم التحرك..

تحركت شفتا «ماريمو» قائلاً بصوت هادئ:

- إنها تثق بقدراتها وقدرة هذا المكان أيضا.. ما زال تحليلي للمجريات
السابقة ناقصا..

أجاب «مونتي» بفم ممتلئ:

- أكرهك حين تتحدث هكذا..

مشى «ماريمو» باتجاه الحائط الممتشق وأخذ يحرك عينيه بين صور الجرائد المعلقة فقد كان محتواها صوراً للمشاهير والسياسيين وأصحاب السلطة والنفوذ، ثم قال بصوت جاد:

- ناقصة جداً..

لَوْح «القط» بذيله مناديا بصوت مرتفع:

- هاي «ماريمو».. إلى أين أنت ذاهب؟!

أجاب وهو يخرج من باب الغرفة متجهاً نحو الممر:

- أنا ذاهب لأغتسل.. ثيائي.. أشعر بأن ثيائي قذرة جداً..

ضحك «مونتي» ساخراً وأكمل طعامه وهو يقول:

- الفتيات.. تبا لهن.. لقد خُلِقن لإظهار عيوبنا..

أدخل مخلبه الصغير بين أسنانه لينكشها وهو يعقد حاجبيه بقلق مفاجئ، قائلاً في نفسه:

- لماذا أشعر بالبرد هكذا؟ ولماذا لا أعلم من أكون؟! ربما لأن «ماريمو» يشاركني هذا الشعور..

احمرت وجنتاه وهو يتذكر وجوده بين يدي «كريمسون» الحانيتين..

هز رأسه بعنف محاولاً تشتيت تلك الأفكار قائلاً بتوتر:

- هذا ما يحيرني أكثر.. فكيف لقط أن يشعر كالإنسان؟ فهل أنا بشري أم ماذا؟!

تهدد على تلك السجادة المهترئة التي مُحي لونها بفعل الزمن، ثم قال باسترخاء:

- لا أعلم ما الذي يحدث من حولي.. لا بد أن أتوقف عن التفكير..

مشت على تلك الثلوج البيضاء وسط شوارع لوس أنجلوس الخالية والتمتعت أغصان الأشجار الشائكة التي كانت تطل على بحيرة ذات جمال أسر.. وتردد حولها صدى ضحكات المشردين في الشوارع الجانبية.

التفتت إلى الخلف لترى أثر خطواتها، ثم أشاحت بوجهها الذي بدا عليه الحزن والوجوم..

قاطع سكونها صوت رجل يحدثها بصوت مرتفع قائلاً:

- إذا طلبك هو بيتزا من الحجم الكبير وأربع فطائر ولتران من العصير..
أليس كذلك سيد «روبرت»؟

أومأت برأسها ثم انتبهت لوجود علبة من الحلوى بجانب البائع.. فقالت:
- أريد تلك الحلوى التي بشكل عصا..

ابتسم الرجل وضحك قائلاً بمزاح:

- ماذا؟! هل كوّنت عائلتك من جديد؟!

قطبت حاجبيها العريضين اللذين تخللهما الشيب.. وانقبض قلبها وتمدد بأم.. ودت لو صرخت قائلة: اخرس.

مدّ الطلب من نافذة صغيرة فتسلمته.. ثم ودعها الرجل وأغلق النافذة..
وسمع بعدها صوت الأقفال؛ فمن النادر وجود مكان، لشراء الطعام،
مفتوح دوماً.. وسط تلك الحانات القديمة المليئة بالمشردين والمجانين..
وربما الأفخاخ..

* * *

فُتح الباب الزجاجي ليندفع البخار مكوناً سحباً معتمة.. ثم ملأ رئتيه
بالهواء تعبيراً عن شعوره بالانتعاش..

اقترب من المرأة ومسح عنها البخار بيديه ثم نظر إلى وجهه الذي تفرقت
عليه خصلات شعره الأخضر المبلل..

بسط يديه على المرأة وحدق إلى وجهه بشرود تام ثم قال بهدوء:

- هل أعرف هذا الوجه؟! لقد أصبح في قاموسي..

لمح من خلفه بالمرأة ملابس متعددة معلقة بأحد الجدران..

فابتسم بحماسة..

أخذ يجربها الواحد تلو الآخر: أحمر بلا أكمام.. أزرق بقبعة.. وآخر بأحزمة معقدة..

أخيراً.. ابتسم برضا لشعره المنكوش وقميص أسود عادي رُسم عليه هيكل عظمي أصفر وسروال جينز يصل إلى منتصف ساقيه..

فجأة.. قاطعه صوت أنين يتصاعد شيئاً فشيئاً مكوناً صدى مريعاً..
أطل ناحية الممر الذي بدا لا نهاية له سوى الظلام.. وما زال ذلك الأنين مستمراً..

مر في ذهنه حديث «كريمسون» وهي تقول: «وإن تحدث إليك شخص ما فلا تُعره اهتماماً».

فهدأت ملامحه وعزم على تجاهل الأمر.. ومشى نحو الممر المعاكس للصوت قائلاً بهمس:
- آسف يا صديقي.. إنها الأوامر..

* * *

استقرت شطيرة مقضومة على كومة الثلج.. الذي تلون بلون الدم القاني..
تعالى البخار من بين شفتيها ليلاصق دفته ملامحها الرجولية الحادة، ثم همست قائلة:

- حمقى.. لقد اخترتم نهايتكم بأنفسكم..
انتفض جسده بعنف ولم تقوَ ساقاه على حمله من هول المنظر فسقط وهو يزحف على تلك الثلوج التي تلونت بلون الدماء هارباً.. وهو يصرخ بجنون..

انخفضت لتجمع ما سلم من الطعام المبعثر وتعيده إلى الكيس الذي بيدها..

ثم قامت لتمشي بمحاذاة أكوام من الأشلاء والأجساد المحروقة التي تعالى منها الدخان والأخرى التي تدلت من أعمدة الإنارة..
مشت على الرصيف ثم رفعت بصرها إلى واجهة أحد المحلات المحطمة لينعكس وجهها الذي ليس ملكها وقد حفرت به تجاعيد الزمن أخاديد وشقوقاً.. وظلت تلك العينان السماويتان ترمقانها بحنان.. وتردد صوت «ماريمو» في ذهنها قائلاً: أنا رجل.
انخفضت بسرعة وانكمشت على نفسها وهي تضغط بكفيها المجدعتين على وجهها بقوة.. ثم أجهشت بالبكاء..
أنزلت يديها من على وجهها المبلل بالدموع ونظرت إليهما متفاجئة، وهزت رأسها نافية وهي تقول:
- ما الذي أفعله؟! -

* * *

فتح الباب من ذلك الحائط فجأة وهب هواء شديد وقارس تسلفت معه نتفات الثلج إلى داخل الغرفة..
رفع «مونتي» رأسه عن السجادة ونظر باهتمام نحو الباب، فقد كان هنالك شخص ضبايى فارع الطول يقف أمامه ثم بدأ يترنح في مشيته حتى اتكأ على الجدار وانغلق الباب من خلفه..
أخفض «مونتي» رأسه ونظر إليه بحدة من أسفل الأريكة قائلاً في نفسه:
- لقد استجاب له ذلك الحائط، لا بد من أنه واحد منهم.. ربما يكون ذلك الـ«كلاود» الذي تحدثت عنه الفتاة..
تقدم الشخص بخطواته المتداخلة ثم هوى على وجهه ليسقط على الأريكة وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة..
تحرك أنف «القط» ثم قال بسخرية في نفسه:

- لقد شرب كثيراً.. لا أظن أنه «كلاود»..

ثم دقق النظر إلى ملامحه الهادئة؛ فقد كان شديد الوسامة وله شعر بلون النحاس تخللته خصلات ذهبية طويلة ويرتدي زيا أنيقا بني اللون كأنها حيك ليناسبه تماما.. وقد ثنى أطراف أكمامه بطريقة مرتبة لا تدل على ما هو فيه.. فتح عينيه ذواقي اللون الفيروزي اللتين أحاطت بهما رموش ذهبية كثيفة لينظر إلى «القط» نظرات ناعسة..

ارتبك «القط» لنظرته الغريبة ونحى رأسه بحركة آلية وقال في نفسه بتوتر: - يمتلك نظرة قاتلة.. ماذا عليّ أن أفعل؟! يجب أن أتصرف كـ«قط» لا أكثر..

أصدر «مونتي» صوت مواء غريب وطمنى حينها لو يقتل نفسه السخيفة.. لكن الشاب أغمض عينيه متجاهلا إياه.. فتميز «مونتي» غيظا وطمنى لو يملأ وجهه الوسيم خدوشا..

جاء صوت «ماريمو» من نهاية الغرفة وهو مقبل قائلاً:

- المكان أوسع مما تصورت.. لكن لا شيء مثير للاهتمام.. غشيت الرهبة لسماع ذلك الصوت فنهض متكئا على الأريكة وهو يحدق إلى «ماريمو» باستنكار ودهشة..

ظل «ماريمو» ينظر إليه بلامح هادئة وهو يدخل يديه في جيبي بنطاله الأماميين..

اعتدل الشاب واقفا وقد مُزجت ملامحه بالحيرة.. واقترب منه بخطوات ثابتة.. حتى توقف أمامه مباشرة..

مد إصبعه السبابة ليلصقها وسط جبين «ماريمو» الرطب ونزل بها حتى وصلت بين عينيه..

ثم حوّل ناظره إلى «القط» بسرعة غطت على أثرها خصلات شعره الكثيفة ملامحه..

استنكر «مونتي» تصرفه هذا، لكن لم يلبث حتى انهار السؤال على ذهنه كالصاعقة.. حين تحركت شفتا ذلك الشاب قائلاً بصوت هادئ:

- هل تستطيع الكلام أيها «القط»؟!

قاطع ذلك الجو المريع دخول «كريمسون» وهي تحتضن أكياس الطعام بين يديها.. نظرت إليهم ثم قالت بهدوء:

- أهلا «كلاود».. لم تأت منذ شهرين.. المهم.. ما رأيك به؟! ألا يبدو مريباً؟! أنزل «كلاود» يده من على جبين «ماريمو»، إلا أن نظراته القاتلة ظلت متعلقة به.. ثم قال بجدية:

- كيف عثرت على شيء كهذا؟!

خلعت قبعاتها الصوفية ونفضت شعرها الوردى ثم عدلت ياقبتها وهي تقول:

- لقد عثرت عليه في الحديقة العامة.. فجلبته إلى هنا.. من النادر وجود سلاح بشري مهمل هكذا..

ألقت بالكيس على تلك الطاولة القديمة لتصدر أنينا مزعجاً.. ثم قالت بتهيدة:

- آسفة.. فهو ممزق تقريباً.. إلا أنه ما زال صالحاً للأكل..

التفت «كلاود» إلى «القط» مجدداً وهو يشير إلى «ماريمو»، ثم ابتسم بطريقة مرعبة مريبة ونطق بصوت اخترق قلبه:

- أنت.. هيا تحدث! ألم تكن سبب مشاكل ذلك السلاح الأخضر؟!

نظرت إليه «كريمسون» باستغراب وقالت بصوت اختفى تدريجياً:

- هل تحدث معك؟ لقد فقد وعيه مع ماريمو..

ظل «مونتي» مشدوها لما يدور من حوله واختفت الأصوات ببطء من مخيلته وظل يحرق في «ماريمو» الذي كانت ملامحه هادئة بين خصلات شعره المبللة، وتذكر صورة شاب يحمل ملامح «ماريمو» ذي شعر أسود..

قطع تفكيره أن حملة «كلاود» بعنف وهو يصيح قائلاً:

- أجب..

أمسكت «كريمسون» بذراع «كلاود» محاولة منعه قائلة بصوت مرتفع:

- توقف عن ذلك.. إنه مجرد «قط»، لكن الأمر كله ربما يكون خطراً.. هل

نسيت ما حدث لنا من تلك المنظمة السابقة؛ فالوشم متشابه؟!

دفع يدها عن ذراعه وهو يقول بصوت مبحوح: ابتعدي.

فصرخت قائلة: ماذا بك؟! لم تكن...

بترت كلماتها دهشتها لرؤية «كلاود» بهذا الحال؛ فقد أحاطت بعينيه

هالات سوداء وبدا شاحباً ومخموراً.. قطبت حاجبيها لما تكهنت به في

نفسها.. هزت رأسها ببطء قائلة بتساؤل:

- ما الذي حدث؟! لأول مرة أراك بهذا الحال.. كما أنك لم تشرب من قبل!

هدأ غضبه وانخفض رأسه بين كتفيه ثم ألقى بـ«مونتي» إليها لتتلقفه..

جلس أرضاً واتكأ بظهره ورأسه على الجدار وخلل شعره بأصابعه وظل

يحدثق إلى «ماريمو» ثم قال بهدوء:

- يجب أن نتخلص منه..

أخفضت «كريمسون» عينيها ونظرت إلى «مونتي» وكأنها تحاول إخفاء

دهشتها قائلة:

- لكن يبدو عليه أنه مختلف عن السلاح البشري السابق، فقد نشر السابق

وباءه وقتل منا الكثيرين فور وصوله إلى هنا.. أما هذا فقد كان مُلقى في

الحديقة منذ الأمس؛ لذا...

قاطعها «كلاود» قائلاً بجدية:

- إنه أذكى منا بكثير.. ويختلف عن السابق؛ لأن له فكراً مستقلاً كبشري،

وربما أرسل لي دمر من تبقى منا.

ارتسمت ابتسامة واثقة على شفتي «ماريمو» جعلت «كلاود» يفاجأ بأمر

غير متوقع كهذا..

ورفع عينية الحادثين لتلتقي عيني «كلاود» مباشرة، ثم قال بصوت أشد وثوقاً:

- لا بأس.. قم باختباري فإن أخفقت ستكون سيدي المطاع وسأقتل نفسي نزولاً على رغبتك، وإن نجحت في عمل ما ستطلبه مني سأكون أنا سيدك.. ارتبكت «كريمسون» لسماعها هذا الكلام.. فلا أحد سبق أن تجرأ بمثله على «كلاود».

ضحك «كلاود» ضحكة خفيفة حملت الكثير من الثقة، وأنزل يده من على وجهه قائلاً بصوت مثير:

- تبدو ممتعاً.. لا بأس.. التحدي المقبل سيكون مع «منظمة أنجلوس الصغرى».. سنقبل بكل شروطها.. وستكون زيارتنا لهم غداً.

تنهدت «كريمسون» بضيق مما قاله ثم قالت بخيبة:

- لا أسلحة وذخيرة لدينا ولا مال.. وقد فشلت مهمتنا الأخيرة ومات عشرون شخصاً منا وبقي أربعة..

كيف نقيم تحدياً مع منظمة أكبر منا بكثير ونحن بحال كهذا؟!

رد «كلاود» ببرود وهو يضم كفيه:

- لا بأس، سنقايضهم بسيارتنا حتى يقبلوا بهذا التحدي فنحن...

قاطعته «ماريمو» قائلاً بصوت حازم:

- لقد عاملتني كسلاح قبل قليل؛ لذا سأكون كافياً لهم إن خسرنا..

وضع «كلاود» يده تحت ذقنه ومسح بظاهر إصبعه على شفته السفلى وكأنه قد سرح في تفكير عميق..

لمحت «كريمسون» ملامح الرضا على وجهه.. فقالت على مضض:

- جيد.. فلقد اشتريت سيارتي للتو..

ظل «مونتي» بين يديها صامتاً بتعجب شديد وقد جال فكره بعيداً وهو

يقول في نفسه:

- كيف يحدث هذا؟! أنا أعرف «ماريهو» منذ زمن، وقد كان لون شعره أسود.. لقد تأكدت للتو؛ فصوته وأسلوبه وثقته العالية بنفسه على الرغم من انكساره..

* * *

عقد حاجبيه بحزن قائلاً: هل أفسدت حياته حقاً؟! كيف حدث ذلك؟! رفع «كلاود» إصبعيه السبابة والوسطى متكئا بذراعه على ركبته قائلاً بجدية:

- أنا وأنت ستنبع حرفيا القوانين.. ستكون تحت تصرف تلك المنظمة بالكامل.. لا أريد أن ألمح منك اعتراضاً أمامهم.. تصرف بعقلك بالكامل وانسَ أنك سلاح لفترة.. وتذكر دوماً أن مصيرك بين أيديهم.. فإن خسرت فإنك لهم.. وإن ربحت فإنك ستكون سيدي.. ولا مانع لذلك عندي؛ فتلك المنظمة تحوي رجالاً أشداء كالكلاب المسعورة؛ لذا فالأمر مصري.. وهو متعلق بين يديك..

أوماً «ماريهو» برأسه موافقاً، وقد كان يفعل ذلك طوال حديث «كلاود» وكأنه يستعجله الانتهاء.. ثم قال بحماسة:

- هل ستصبح صديقاً لي ولـ«مونتي» و«كريمسون».. فأنت بمثل عمري؟ لم يستطع «كلاود» كتم ضحكته.. فاهتز كتفاه وهو يومئ برأسه ضاحكاً بعذوبة وصفاء ذهن ثم قال بابتسامة:

- إما أن تكون سيدي وإما أن تكون ملكاً لغيري.. أين الصداقة من هذا؟! لذا انسَ الأمر..

فغرت «كريمسون» فاهها بذهول ودهشة، قائلة في نفسها بصدى غريب:

- أي تأثير هذا؟! هذه أول مرة أسمع ضحكة نقية كهذه من «كلاود»..

مر في ذهنها صدى كلماته السطحية العميقة في آن واحد حين قال: «فأنا

رجل».

قسّمت الشطائر على أطباق من ورق فوق تلك الطاولة الخشبية.. ثم توقفت للحظة..

ارتسمت على وجهها علامات الارتياح وتنهدت لتتحرك شفتاها قائلة بهمس:

- لقد أعاد إليّ إحساسا كنتُ قد فقدته.. حماية رجل لي.. لقد مرّ زمن طويل منذ كنت في حماية رجل..

أدخلت يدها لتخرج ما تبقى من الطعام فانتبهت لما بقي في الكيس.. لقد كانت حلوى العصا!!

ترددت كثيرا في التقاطها.. فلم تجد مبررا لشرائها له.. التقطتها أخيرا، ثم رمتها إلى «ماريمو» قائلة بانزعاج:

- هذه لك، عرفت أنها المفضلة عندك، فقد كان معك مثلها عندما وجدتك..
التقطتها «ماريمو» ونظر إليها بفرحة كبيرة ثم قال بسعادة غامرة:

- حلوى العصا.. أنتِ لطيفة جدا..

قامت ومشّت إلى جواره ذاهبة نحو الممر وهي تحمل بعض الشطائر قائلة:

- سأذهب إلى «ماكس»، لقد تأخر موعد حقنته..

أوقفها صوت «كلاود» الجامد قائلاً:

- فليمت.. فهو من قتل نفسه بنفسه بتفكيره السطحي السخيف.. من يستحق العيش هو القوي فقط..

ردت «كريمسون» بصوت لا يحمل أي معنى:

- لا أريد أن يزيد عدد قتلانا؛ فنحن في أمسّ الحاجة لكل فرد..

مكث «ماريمو» يمتص الحلوى لينساب طعمها اللذيذ في فمه قائلاً في نفسه:

- ذلك الأنين إذّا كان يصدر عن «ماكس»..

ثم استدار إلى «كلاود» باهتمام قائلاً بابتسامته البريئة:

- ألن تأكل؟

- لقد ذهب..

قالها «مونتي» وهو يجلس بجانبه على السجادة بصوت غريب وغامض..

فرد «ماريمو» متنهدا:

- لا بأس فسنلتقي غدا..

نظر «مونتي» إلى «ماريمو» طويلا وكأنه يحاول جمع شتات تلك الصورة

الممزقة.. ثم قال بهدوء:

- هل تثق بنفسك إلى هذا الحد؟! فهذا تحدٍّ ضد أطراف مجهولة ونتيجته

غير مضمونة..

ظل «ماريمو» صامتا وهو يداعب الحلوى بين شفتيه ثم قال بهمس:

- لقد تذكرت الصورة نفسها، أليس كذلك؟! أقصد صورة الشاب ذي الشعر

الأسود.. لهذا بقيت صامتا..

أشاح «مونتي» برأسه متجاهلا تلك الحقيقة الغامضة وابتسم بسخرية

قائلاً:

- ليس هذا فحسب.. فـ«كلاود» هذا يمتلك عينين مرعبتين.. لقد أخرسني

تماما.. إنه القائد هنا ولا أستغرب ذلك.. «ماريمو» كن حذرا.. ليس لأنك

صديقي السخيف.. ولكنك ربما تكون أنا.

* * *

تداخلت الأضواء الملونة بشكل مثير على أرض المسرح وتمازجت مع

صخبها أصوات هتافات الجماهير العاشقين الذين جمعهم حب واحد

لمغني الروك الأشهر في «هوليوود» الذي أسرهم بصوته المبحوح العميق

وحركات جسده المتناغمة مع لحن الموسيقى العنيفة.. الذي اشتهر بـ«ملك

السلاسل الفضي»..

التفت من حوله الفتيات من المعجبات وأكوام من دفاتر التواقيع.. لعاب بارد ينزل من على ذقنه ببطء، تلقى ضربة قوية بالجريدة شتت تلك الأحلام إلى قطع صغيرة لا تُرى بالعين المجردة..

* * *

وضعت «كريمسون» يدها على خصرها باستياء وهي تمسك بالجريدة الممزقة إثر ضربه بها ثم قالت بجدية:

- «فرانس»!! متى أتيت إلى هنا؟! ونائم أيضا!! أنتم جميعا تتصرفون بحماقة مؤخرا..

نهض «فرانس» واقفا وهو يضع يده على صدره العاري وكأنه في مشهد مسرحي قائلاً بتأثر:

- دعيني أحلم.. لعلّي أرى نفسي وأنا بقربك لأهمس: أنا أحبك..

تنهدت «كريمسون» واتجهت إلى النافذة وهي مزعجة لتفتح الستائر بقوة فتسللت أشعة الشمس إلى الغرفة، ثم التفتت إلى «فرانس» وعلى وجهها نظرة سخرية، فقد يضطر أن يدلك جسده بواقى شمس بسرعة صاروخية.. التمتع شعره الفضي بشكل ساحر.. وقد كان محلوفا بطريقة غريبة وقد امتدت من أسفل رأسه ضفيرة طويلة التوت على الأرض.. لاحظ نظرات «كريمسون» إليه فعقد حاجبيه قائلاً بصوت عميق مؤثر:

- ماذا؟! هل أسرت عيناى الأرجوانيتان عينيك البريتتين وكُتب لهما أن يعيشا معا؟

ظلت تمضغ علكتها بعصبية وهي تعقد ساعديها متكئة بجوار النافذة ثم قالت:

- ماذا؟! لقد كنت شاردة.. لا أدري، هناك ما يشعرني بالقلق..

تأفف «فرانس» بانزعاج ثم نهض نحو المرأة الطويلة ذات الشرخ وظل يضمخ شعره بالجيل المتبقي على طرفها وهو يتمتم ببعض الأغاني التي اختفت تدريجيا من بين شفثيه وقال بعدها بلا مبالاة نسبية:

- كيف حال «ماكس»؟!

ظلت «كريمسون» صامتة لوهلة؛ ففي قلبها الكثير والكثير؛ فما الذي تقوله؟ وما الذي تكتمه؟ لكنها نطقت أخيرا بما لديها قائلة:

- نحن نشئت شيئا فشيئا.. «كلاود» لم يعد يأتي إلا نادرا.. و«ماكس» بين الحياة والموت.. وأنت..

قاطعها وهو يشير إليها بكفيه بشكل متقاطع قائلاً بحماسة مُزجت بالغضب:

- أنا خارج أيضا.. فما الدافع لتشكيل منظمة فاشلة كهذه؟! عصابات الشوارع أفضل منا بكثير..

هز كتفيه وضحك ساخرا ثم أعاد نظره إلى المرأة حيث ملامحه الناعسة قائلاً:

- فنان وسيم مثلي يجب أن يكون في «هوليوود»، حيث أكبر المنظمات؛ فسلحي الجسدي ليس عاديا، بجدية.. سأحطم مستقبلي إن بقيت هنا.. فهناك من ينتظر فني بالخارج..

ظلت صامتة وهي تحقق إلى مشروبها الغازي البارد الذي بين يديها ثم حرّكته قائلة بهدوء:

- صحيح.. فلقد قُتل الكثير منا بسبب وباء من ذلك السلاح الحقيّر.. ونسينا الأمر وكأنه لم يكن.. أصبحنا بلا شعور..

توقفت عن تحريك الزجاجاة وظلت تنظر إلى فوهتها المجوفة قائلة بصوت عميق:

- لا أستغرب هذا؛ فقد قتلت «مادونا» في يوم خطبتكما غدرا، واختفى

القاتل المجهول ولم تعر الأمر اهتماما..

رفع أحد حاجبيه الرفيعين بضيق وظل يحدق بتلك الحلقات السوداء على شفتيه ثم قال ببرود:

- لقد ماتت وانتهى الأمر.. ستعجب بي فتاة غيرها.. وهكذا دواليك..
ألقت بالقنينة في سلة المهملات وأدارت ظهرها مغادرة نحو الممر وهي تقول بصوت عالٍ:
- أكرهها..

تسلطت الأضواء المسرحية على «فرانس» وهو يضع عصا مكنسة مكسورة إلى قطعتين على صدره وخلف ظهره وكأن كلمة «أكرهها» رمح طعنته به حبيبته، ثم مد يده إلى «كريمسون» كالمستغيث قائلاً بصوت مكسور وآسر:
- لا.. لقد اخترقت الكلمة أحشائي، لكن.. لا بأس، يكفي أنني ضممتها بين جوارحي..

لكنه استقبل بقية الجريدة الممزقة على وجهه فأزاحها عنه بسرعة، قائلاً بسخرية وبعض الضيق:

- «كريمسون»، كوني كالفتيات قليلاً.. تعلمين أنني أتدرب عليك فحسب لكسب المعجبات مستقبلاً..

تنهدت مرة أخرى.. ثم أطلت من باب الممر وهي تنظر إليه بانزعاج قائلة:
- سأذهب إلى «ماكس».. وللعلم قميصك المفضل ارتداه شخص آخر.. أراك لاحقاً على الشاشة أيها الهوليوودي..

صرخ «فرانس» برعب وهو يمسك بخديه قائلاً بكلمات تمثيلية متقطعة:
- لا يمكن، قميصي الأسود ذو الهيكل العظمي العاشق الحزين.. «كلاود» لا يرتدي شيئاً كهذا.. فهو كلاسيكي مقيت، كما أنه على الرغم من أن «كريمسون» تبدو كفتى لكنها لن ترتديه؛ لأنها تكرهني، و«ماكس» مريض ولن يحاول مضايقتي كالسابق وهو على تلك الحالة.

سمع صوت «كريمسون» الحانق من بعيد:

- لقد ارتداه «ماريمو».

* * *

انتبه لذلك الاسم الغريب ووضع يده تحت ذقنه وهو يفكر قائلاً ببلاهة:

- وما هذا الشيء؟!

انعكس ذلك البناء الضخم على خوذة «كلاود» السوداء التي ظلت تحجب وجهه وهو يقف بجانب دراجته النارية الحديثة..

نظر «ماريمو» بانبهار لضخامة ذلك المبنى المشيد على بُعد كيلومترات وهو يضع يده على جبينه قائلاً بحماسة:

- مدهش.. بدأت أقتنع بتسميتهم كلابا مسعورة..

لكن «كلاود» أشار بإبهامه إلى منزل صغير بجانب البناء قائلاً بهدوء:

- ليس هذا، بل ذاك.. من عادة الكلاب الاختباء في تلك الأوكار..

ثم مشى باتجاه الكوخ وسط نظرة خيبة من «ماريمو» وتهيئة «مونتي» الذي شعر بالراحة والأمان قائلاً:

- هكذا أفضل..

انتبه «ماريمو» لما تبادر إلى ذهنه، فأشار بيده إلى «كلاود» قائلاً باهتمام:

- سنقابلهم بعد قليل.. ألن تخلع خوذةك؟! وهل يجب علينا التخفي مثلما تفعل؟!

توقفت قدما «كلاود» أمام عتبة الباب مباشرة.. صمت لثوانٍ وكأنه لا يريد أن يجيب، ثم قال ببرود:

- ستقتل نفسك قريباً.. لذا تخفيك لا معنى له..

عقد «مونتي» حاجبيه واشتعلت نيران الغضب في نفسه المتوترة قائلاً:

- اللعنة عليه.. إنه يسد الطريق أمام «ماريمو» بشكل محبط.. ويتجاهلني بطريقة مزرية..

فتح الباب بقوة وظهر أمامهم شخص ضخم الجثة يرتدي ملابس رسمية سوداء ظل يرمقهم بعينيه الغائرتين وكأنه وحش يتلذذ بالنظر إلى فريسته.. حرك السيجارة إلى الجهة اليمنى بين شفتيه ثم قال بصوت شابته السخرية: - لا نستقبل رجال الصحافة.. ولا نستقبل الصغار أيضا.. ولا نوزع الحلوى هنا..

عقد «ماريمو» حاجبيه بحزن وارتسمت على ملامحه الدهشة، قائلاً بصوت متأثر:

- هذا سيئ.. لقد تحولت حلوى «كريمسون» إلى علكة للتو.. واختفى مفعولها الساحر..

نظر إليه الرجل ورفع أحد حاجبيه العريضين باستغراب وهز رأسه بضحكة ساخرة ثم نظر إلى «كلاود» قائلاً:

- قل ما الذي تريده.. وأسرع فلا وقت لدي..

مر «كلاود» بجانب الرجل الذي تنحى مستغرباً جرأته.. ثم قال بصوت بدا مكتوماً من خلف الخوذة:

- لا حديث لي معك.. أريد رئيسك..

وضع ذلك الرجل يده الضخمة على صدر «كلاود» لردعه عن التقدم، ثم قال بحنق:

- تحرك خطوة أخرى وسأقضي عليك.. فلم أعطك الإذن بعد..

ضحك «كلاود» ضحكة ملؤها الثقة أصابت ذلك الرجل بالقشعريرة والرعب، ثم مد يده ذات القفاز الجلدي ووضع أطراف أصابعه على زجاج خوذته الفضي وقال بصوت قاتل:

- إذا سأخطو على جثتك..

ظهر صوت تصفيق من بعيد في آخر الغرفة، تلاه صوت مليء بالإعجاب يقول:

- رائع حقاً..

نظر «ماريمو» باهتمام إلى شاب ينزل من على درجات السلم أمامهم في العشرينات من عمره متوسط الطول.. وقد انعكست الإضاءة الأرجوانية على شعره الأحمر المتموج وبدت عليه علامات الثراء الفاحش.. توقف عند آخر درجة ثم هز كتفيه ونظر إلى ذلك الضخم قائلاً بابتسامة باردة:

- ألم أقل لك ألا تمنع أمثاله.. أيها الغبي؟ فبصحبته سلاح بشري رائع.. انحنى ذلك الرجل وبدت عليه علامات التوتر وبالكاد جمع بضع كلمات قائلاً بارتباك:

- ... اعفُ عني سيدي.. ستكون الأولى والأخيرة.. مشى «كلاود» باتجاه ذلك السيد بضع خطوات مروراً بالرجل الضخم وهو يقول له بصوت هامس:

- كما وعدتك..

جحظت عينا ذلك الرجل الضخم برعب كبير، بينما شرد «كلاود» في كلمات ذلك الشاب الذي أمامه قائلاً في نفسه: لقد علم أنه سلاح بشري من النظرة الأولى.. هذا يبدو مثيراً.. ما الذي سيفعله السلاح الأخضر حياله يا ترى؟! ألقى نظرة خاطفة على «ماريمو» الذي كان يقف بهدوء تام وهو لا يزال يحدق إلى الشاب الذي أمامه بتمعن..

انحنى الشاب واضعاً يده على صدره قائلاً بلهجة رسمية:

- أُدعى «بيتز»، وكما ترى فأنا محجوز هنا؛ لذا..

قاطعته «كلاود» بثقة كبيرة اضطرب لها جو الغرفة قائلاً بصوته المكتوم:

- السبب هو والدك الذي يدير الشركة المجاورة؛ فلقد احتجرك هنا لورود شائعات عنك بأنك تريد النيل من أملاكه.. وهذه الغرفة مجرد شيء مؤقت سيزول بعد أن تُكشف الأفتنة.. لكن يبدو أنك فعلاً تريد النيل

منه.. وفي الوقت نفسه تكون بعيدا عن الشبهات..
عمَّ المكان صمت رهيب وما زال «بيتر» منحنيا وقد عقدت الدهشة
لسانه.. فارتسمت ابتسامة المنتصر على شفتي «كلاود»، تلك الابتسامة
التي لا يشعر بطعمها إلا نفس تَوَاقَّة لرد الفعل المرسوم على وجه «بيتر».
رفع «بيتر» رأسه بوجوم وظل يحدق إلى «كلاود» بنظرات حادة ثم تحركت
شفته قائلاً بهدوء:

- لم تأتِ إلى هنا لتبادل ذلك الحديث.. فما الذي تريده بالضبط؟!
رد «كلاود» بصوت هامس تسللت من بين حروفه رائحة الغموض:
- مثير حقاً.. أليس كذلك «بيتر»؟! ما رأيك أن أخبرك بأنك، وفي هذه
الساعة، ستحاول اقتحام الشركة المجاورة وسرقة عقد الصفقة الكبرى
والأخيرة لوالدك..

أخرست تلك الحقائق «بيتر» تماماً واتسعت عيناه الرماديتان عن آخرهما،
ثم استجمع قواه قائلاً بارتباك:
- ما الذي تريده؟! لقد سألتك فأجب..

وضع «كلاود» مرفقه متكناً على كتف «ماريمو» وقال بوضوح:
- أريد أن أتسلى قليلاً بسلحي البشري هذا قبل أن أعطيك إياه؛ لذا
سأستخدمه لدخول شركة والدك وسأدعه بعدها يقوم بعمله.
ثم رفع إصبعيه السبابة والوسطى أمام عيني «بيتر» المضطربتين قائلاً
بصوت حازم:

- سزافقك في مهمتك ولن تكون هنالك شروط.. لكن إذا حصلت على
العقد قبلنا ستأخذه وتأخذ هذا السلاح البشري الأخضر فوقه أيضاً. قال
ذلك وهو يشير إلى «ماريمو»..

أما إذا وجده هذا السلاح قبلك فسيحوز إعجابي وسيظل ملكي وتأخذ أنت
العقد فقط.. وستكون أنت الكاسب في كلتا الحالتين.. فما رأيك؟!

تنهد «بيتر» وكأنها انزاح عنه هم كبير، ثم مسح قطرات العرق عن جبينه قائلاً بجدية:

- لا بأس.. لكن لا أريد إحداث فوضى.. وأنت تعلم السبب..
استغرق «كلاود» في التفكير قليلاً ثم رفع رأسه قائلاً باهتمام:
- هذا لا يترك لي خياراً.. وحتى تكون المواجهة عادلة، تبدو جاهلاً بأمر
الغاز السام الذي يحمي به والدك شركته..
بدت على «بيتر» علامات الارتياح ثم رفع بصره ونظر إلى «ماريمو» مباشرة
قائلاً بجدية:

- لا بأس.. فأنا أعلم بأمر الغاز السام بالشركة؛ فهو معروف في كل مكان
ولكل موظف موثوق به الترياق الخاص به؛ فوالدي حريص جداً على
أمواله.. فهو يحرسها كالكلب المجنون..

ثم أوماً برأسه إلى «ماريمو» منهايا هذا الحوار قائلاً:
- خمس دقائق ستكون مدة كافية لكلينا..
احتدت عينا «مونتي» من غيظه المكبوت قائلاً في نفسه:

- هذا تحدٍّ بين «ماريمو» و«بيتر» باستغلال واضح وذكي من «كلاود» لهما..
أشم رائحة خديعة هنا.. فهو يعامل «ماريمو» كقطعة سلاح لا أكثر.. ومع
هذا ينصت «ماريمو» وكأنه يمثل دور السلاح حقاً.. إنه يحيرني..

أرعى «كلاود» رموشه الذهبية على عينيه اللامعتين وترددت في نفسه
ضحكة أعلنت نصره وانتهاء دوره قائلاً في نفسه:

من الجيد أن تمهد يد العون لخصمك بعد أن جعلته يسير على خيط رفيع
فوق الهاوية.. فبال تأكيد هو يعلم بأمر الغاز السام.. وشخص من نوعه
يكبره الخسارة لكنه جبان...

بتر تفكيره صوت «ماريمو» الهادئ وهو يقول بوضوح:
- أنت تستخدم ترياقاً للسم سيد «بيتر» ولقد تجرعتك لهذه المهمة قبل

مجيئنا بدقائق وقد بدأ مفعوله الآن..

ظل «بيتر» ينظر إلى «ماريمو» باستنكار كبير ثم ضحك باضطراب قائلاً:

- يجب أن أحمي نفسي، وهذا طبيعي.. لكن كيف عرفت؟!

نظر «كلاود» باهتمام إلى كأس العصير ذات الساق الطويلة التي كانت

بين أصابع «ماريمو» النحيلة الطويلة.. واحتد بصره بضيق، قائلاً في نفسه:

- أيعقل هذا؟! كم من الأمور عرفها بمجرد أن شرب القليل من كأس العصير

الخاصة بـ«بيتر»؟!

أجاب «ماريمو» بابتسامة لطيفة:

- نحن الآن خصمان، والترياق نقطة قوية جداً لصالحك؛ لذا أنا أرفض هذا

التحدي..

صُغق «كلاود» مما سمعه واصطكت أسنانه من الغيظ، وعقد حاجبيه

بانفعال ثم قال بصوت غشيه الجمود:

- لقد قلت لك ألا تبدي أي اعتراض، فأنت سلاح بشري وهو مجرد رجل

عادي، وهذه نقطة قوية لصالحك أنت أيضاً..

ظل «بيتر» وذلك الضخم في حيرة من أمرهما وهما يراقبانها وهما يقفان

وجها لوجه، وشاركهما «مونتي» في ذلك.

وبدأ الجو يصبح غائماً أكثر فأكثر بسحابة غامضة مخيفة من النوايا المرعبة..

تنهد «كلاود» ليشتت تلك السحابة ثم استسلم قائلاً بهدوء وبصوت متردد:

- سأشتري لك حلوى العصا إن قمت بتلك المهمة.

التمتعت عينا «ماريمو» بسعادة غامرة ولم يكذب يصدق ما قيل له فرفع يده

قائلاً بحماسة:

- سأنجز المهمة حالاً..

ارتسمت على فم «مونتي» ابتسامة جادة قائلاً في نفسه:

- حسناً.. أرىهم أنك لست مجرد سلاح بشري.. حتى إن كان المقابل مجرد

حلوى..

* * *

تصيب العرق من جبينه وهو يتنفس بصعوبة وقد كست الدموع وجهه
الأسمر الذي غُطِّي بشعره المجعد وارتجفت كفه وهو يمسك بمقص حاد
ويقربه ببطء من الوريد النابض في عنقه..
صرخت «كريمسون» علها تثنيه عن قتل نفسه قائلة:
- «ماكس».. ما الذي تفعله؟! أنت تُشفى تدريجيا والموت لن يحل شيئا..
تمالك نفسك وكن متفائلا.

شد قبضته أكثر على ذلك المقص الحاد إصرارا على قتل نفسه..
كان يبدو كجثة هامدة في تلك الزاوية المظلمة التي أخفت ملامحه.. وكأن
يده المرتفعة هي التي حملت كل روحه.. ظهر صوته الضعيف الذي تردد
صداه في أرجاء الغرفة قائلاً بأسى:
- ما الذي سأفعلكم به؟! فقد سُلِب مني سلاح الجسدي.. أنا أعاني وحدي
هنا.. والموت أفضل لي..
احتدت نظرة عينيها لما قاله وعضت على شفتها السفلى بحنق ثم قربت
يدها من قلبها قائلة بهدوء:
- آسفة.. لن أسمح لك بقتل نفسك..

* * *

مشى وسط ممرات الشركة التي كُسيت جدرانها بالرخام الأرجواني وغُطيت
أرضيته بسجاد إيراني ذي رسوم زخرفية رائعة وتمر إلى جواره عشرات
الموظفين المنهمكين في السجلات التي بين أيديهم وكأنهم في خلية نحل لا
تهدأ..

ضحك «مونتي» بسخرية وهو يداعب خصلات شعر «ماريمو» بمخلبه قائلاً:
- إنهم لا يستطيعون رؤيتك.. وشربك من كأس عصير ذلك المسمى «بيتر»
لم يكن لمجرد العطش.. بدأت أفهم بعضاً من تصرفاتك الغربية..
توقف «ماريمو» عن المشي ثم رفع عينيه ناظراً إلى «مونتي» باستغراب
قائلاً:

- لكنني لست مخفياً.. لقد فقدت خاصية الاختفاء عندما أعطتني
«كريمسون» أحد قلوبها..

صعقت كلماته «مونتي» الذي شد شاربیه قائلاً بدهشة:
- أيها الأحقق.. كيف تجرؤ على سرقة صفقة مهمة بالدخول من البوابة
الرئيسية وبقميصك هذا؟

ابتسم «ماريمو» وأشار بإصبعه وبدأ يشرح له قائلاً: من يريد أن يسرق
ملفاً مهماً لن يقوم بالدخول من البوابة الرئيسية.. هكذا يفكر الجميع..
صمت «مونتي» وكأنه متردد في الاقتناع بما سمعه ثم قال بتنهيده:
- من المؤكد أن «بيتر» سيدخل خفية..

خطت ابتسامة واثقة على شفتي «ماريمو» وقال بهدوء:
- بالطبع لا بد أن يدخل الشركة متخفياً ليكون بعيداً عن الشبهات عند
اختفاء ذلك الملف المهم.. لكن الغريب هنا هو كل هذا الغاز السام الذي
يحيط بنا من كل جانب ويملاً الهواء الذي نتنفسه.. إن والده محب للمال
حقاً..

قالها «ماريمو» وهو ينظر حوله؛ حيث توقفت قدماه عند طريقين
متفرعين.. كانا أشبه بنفقين من فولاذ قد فصل بينهما جدار شفاف..
أمسك «مونتي» بأنفه وتحسس به اليد اللينة قائلاً بصوت خائف:

- هل سأموت قبل أن أعرف من أكون؟!

رد «ماريمو» بكلمات اتسمت بالهدوء قائلاً:

- لقد متنا معا وعدنا للحياة معا.. وحاليا أشم رائحة الغاز السام وأشعر به يتخلل رثتي ولم يحدث لي شيء؛ فجسدي ليس عاديا.. وأنت مثلي تماما..
قالها بصوت شابه حزن مرير..

نزل من خلفهما غطاء فتحة السقف الحديدي بواسطة حبل رفيع.. لينزل منه شاب يرتدي ملابس سوداء ضيقة وقد غطى وجهه بقناع بدت منه عيناه اللتان نظرتا إلى «ماريمو» بحدة كبيرة..
لوح له «ماريمو» بيده بلطف قائلاً بابتسامة:
- لقد وصلت قبلك، لكنني احترت.. أي طريق أسلك؟! هلا ساعدنا بعضنا البعض..

عقد «مونتي» حاجبيه بضيق لرؤية ذلك الشاب المائل أمامهم قائلاً بقلق في نفسه:

- لقد وصل «بيتر».. وتبدو نظراته حاقدة..
اقرب «بيتر» من «ماريمو» بخطوات سريعة وهو يقول بصوت واضح:
- أي النفقين يقود إلى غرفة الملف؟! أخبرني حالا..
نظر «ماريمو» إلى النفق الأول ثم أعاد نظره إلى الثاني وبدا عليه التردد ثم قال وهو يحك ذقنه:
- النفق الأول خطر، لكنه قصير.. والنفق الثاني طويل جدا وبه انحناءات كثيرة..

سيأخذ وقتا طويلا وسيؤدي ذلك إلى لفت انتباه الحرس..
وضع يده على قناعه الأسود الجلدي ثم خلعه لتنتشر خصلات شعره الذهبي قائلاً بابتسامة حادة:
- جيد.. لقد قام بيننا التحدي أخيرا..

دُهِش «مونتي» لرؤية «كلاود» بذلك الزي.. وتشتت ذهنه بين «بيتر» وتلك الصفقة، وأي تحدٍ يتكلم عنه «كلاود»؟!
- ٥٨ -

أما «ماريمو» فقد ضحك بانفعال قائلاً:

- «كلاود».. أنت مدهش..

قاطعه «مونتي» بعد أن تدارك نفسه قائلاً بغضب:

- ما الذي ترمي إليه؟! ألم يكن التحدي بين «ماريمو» و«بيتر»؟ فأين «بيتر»
إذاً؟!!

رد «كلاود» بصوت بارد:

- لقد قتلته وحققت وعدي لذلك الضخم بقتله أيضاً.. وأخفيت جثتيهما
إلى الأبد.. الأهم من ذلك أنني وصلت إلى هنا بفضلهما.. أخذت الترياق
من «بيتر» وعلمت أين مكان الملف تحديداً..

ثم نظر إلى «ماريمو» لثوانٍ نظرات متأمله، رفع بعدها خصلات شعره عن
عينيه الفيروزيتين قائلاً بثقة:

- تذكر أنني قلت لك إنني سأتحداك وكنت أنوي التخلص منك في حال
خسارتك.. فالحرب خدعة كما تعلم.. لم يكن معي ما يكفي من الأوراق
النقدية التي يسهل لها لعب «بيتر» فأستطيع أن أقنعه بما أريد، لكنني
وجدت البديل، فقد كان يكفيني لإقناعه سلاح بشري مثلك، ولقد خدعته
بمنتهى السهولة..

قال ذلك وعلى وجهه تلك الابتسامة المنتصرة، ثم أشار بيده بقوة إلى ذلك
الطريق الطويل الذي كانت نهايته الظلام قائلاً:

- أنا سأسلك هذا الطريق وأنت ذاك.. فأنا قادر على التصرف في حالة
كشف أمري، ما دمت قاتلاً من الطراز الرفيع هيا لنبدأ.

أوماً له «ماريمو» برأسه وقد ارتسمت على ملامحه علامات الثقة
والإعجاب.. ثم قال بهدوء:

- خذ حذرک «كلاود»، إلى اللقاء.

قبل أن يدخل «كلاود» إلى النفق قال بصوت ساخر:

- ستكون سيدي.. فقط إن استطعت لمس الملف.

ثم دخل نحو النفق وهو يلقي إلى «ماريمو» بنظرة حملت الكثير من المعاني..

وأكمل الدخول إلى النفق حتى فصل بينهما جدار شفاف كاتم للصوت..

وضع «مونتي» يده على رأسه وقال بضيق في نفسه:

- ما هذا الشعور؟ أنا معجب بذكاء «كلاود» وخبثه فعلاً.. كم أكره هذا..

مشياً بنفس الخطوات التي رددت صدى مرعباً في ذلك النفق الفولاذي الهادئ..

توقف «ماريمو» عن المشي بينما ابتعد «كلاود» واختفى بعدما انحنى نحو منعطف حاد..

تحرك أنف «مونتي» عندما تسللت إليه تلك الرائحة المزعجة قائلاً بقلق كبير:

- ما هذا الشعور السيئ؟ أشم رائحة كلب..

تحركت شفتا «ماريمو» قائلاً بجدية:

- تقصد كلاباً؟ وهي سامة أيضاً.. لم أكن أتوقع ذلك.. اللعنة.. سوف تحدث ضجة شديدة بالتأكيد.

اتسعت حدقتا «مونتي» وهو يرتجف قائلاً:

- لا يمكن.. عدوي اللدود، وسام أيضاً..

لمعت أعينها الحمراء في الظلمة.. واقتربت شيئاً فشيئاً من «ماريمو» حتى أحاطت به.. كانت لها أجساد ضخمة وقد حُلِقَ شعرها وتقاطرت من بين أنيابها مادة سامة.. وكان لزمجرتها صدى مرعب..

حدق «ماريمو» إلى تلك القطرات على الأرض وقال بهدوء:

- تلك السموم.. إنها تدفعها لقتل أي أحد أمامها.. كما أنها ستموت بعد عشر دقائق هي الأخرى..

تحرك الوشم الأسود ليغادر أجزاء من جسده.. ثم انطلق بسرعة إلى الخارج ليلتوي على أفواه تلك الكلاب ويقلعها تماماً..

دُهِش «مونتي» لما حدث وتذكر ما فعله «ماريمو» بذلك الرجل الذي قتل زوجته.. فقد تحرك الوشم من على جسده وقتها دون أن يتحرك هو.. وعندما أدار نظره إلى جسد «ماريمو» وجد الوشم قد اختفى تماماً.. قال «ماريمو» متنهدا بخيبة واستياء:

- يجب أن أحرر كلبا واحدا وأقتل البقية قبل أن ينبح؛ فوشمي لا يستطيع سوى إسكاتهما فقط..

كانت الكلاب تتقلب كالأفاعي وهي تحاول نزع ذلك الوشم الأسود الذي أطبق على أفواهها..

انتزع وشمه من على فم كلب واحد.. وبسرعة خاطفة اخترق أجساد الكلاب الباقية ليمزقها أنصافا دون أن يصدر عنها أي صوت.

التفت «مونتي» ببطء وقلق كبيرين إلى الخلف، منتظرا صوت نباح ذلك الكلب الوحيد، لكنه فوجئ بأنه يطبق فكيه الضخمين على ساق «ماريمو» التي نزت دما أخضر بغزارة، وكان الوشم يحاول منع الدم من أن يسيل على الأرض.

ابتسم «ماريمو» بآلم وتقاطر العرق من جبينه وهو يقول:

- أنا مضطر أن أحشر ساقي بين فكيه كي لا ينبح.. انفعاله الآن سينشر سمه بشكل أسرع في جسده..

لم تمض ثوانٍ حتى سقط الكلب ميتا جرّاء السم الذي انتشر في جسده سريعا..

والتوى الوشم بسرعة كبيرة كضمادة من حول جرح «ماريمو» مانعا أي قطرة دم من الانفلات..

ومُحِي الدم الأخضر من بين أنياب ذلك الكلب لتختفي الأدلة تماما وبشكل

تلقائي..

تابع «ماريمو» المشي بعدها وهو يعرج تاركا من خلفه جثث الكلاب..
أخفض «مونتي» رأسه وأشاح ببصره عن جرح «ماريمو» العميق وقد تردد
في نفسه صدى صوت «كلاود» الصارخ قائلاً:
ألم تكن سبب مشاكل ذلك السلاح البشري؟! وكذلك صوت «ماريمو» قائلاً:
- لقد متنا معا وعدنا للحياة معا.

نطق «مونتي» بما يدور في نفسه ويزعجه كثيرا قائلاً بهدوء:
- هل تعتقد أنني السبب في نقصان طاقتك؟! فوشمك الغريب لم يملأ
جسدك بالكامل...

قاطعه صوت «ماريمو» الذي تتابعت أنفاسه وهو يقول بسعادة:
- وصلنا إلى الملف أخيراً..

كان الملف موجودا في زجاجة وقد أحيط بأضواء خافتة متعددة..
رد «مونتي» باستغراب وتعجب:
- وكيف تجزم بأنه هو؟!
ثم أدرك ذلك في ذهنه قائلاً:

- العصير.. كما حدث مع الطفل الذي أعطاه حلوى العصا.. لقد اتصل
بخلايا والد «بيتر» إذًا.

وضع «ماريمو» إصبعه على لسانه ليتربط بلعابه، ثم لمس الزجاجاة التي
ذابت ببطء وهي تكشف عن الملف..

مد يده ولمس طرف الملف، إلا أن يد «كلاود» سبقت يده..
فوجئ «ماريمو» بذلك ثم نظر خلفه حيث الممر فرأى الفتحة التي فتحها
«كلاود» في جداره بعدما زال خطر الكلاب..

استشاط «مونتي» غضبا وصرخ بأعلى صوته قائلاً:
- هذا غش.. ظلم.. خديعة.. «ماريمو» من وجد ذلك الملف أولا..

ظل «كلاود» هادئاً وقد غطى وجهه بخصلات شعره، ثم رفع يده التي كانت تمسك بسلاح ناري قاذف غريب الشكل ووجهه بقوة نحو جيبين «ماريمو»..

تجمد «ماريمو» في مكانه.. فموعد موته قد حان.. وبدأ يشعر حقاً بلحظته.. تحركت شفاته قائلاً بهدوء:

- لقد وعدتني أن تشتري لي الحلوى إن قبلت بالمهمة..

ابتسم «كلاود» ورفع يده وأطلق القذيفة في السقف الذي تدل منه حبل، وأمسك بيد «ماريمو» قائلاً بهمس:

- من عادتي ألا أخلف وعدي..

ثم انطلقا معا نحو السقف.. لتستقر أقدامهما على سطح الشركة الناطحة للسحاب..

ركض «كلاود» نحو سور سطحها والتفت إلى «ماريمو» قائلاً بجدية:

- بسرعة الحق بي..

صرخ «مونتي» برعب:

- ما الذي تفعلانه؟!

ضاعت صرخته في الهواء؛ حيث ألقيا بنفسيهما من أعلى تلك الناطحة..

ضغط «كلاود» على زر بيده؛ حيث تفجرت الأدوار تباعاً وكأنها تلاحق سقوطهما السريع.. من الأعلى إلى الأسفل.

انعكست أضواء لهيب النار المشتعلة في المبنى على وجه «كلاود» الساحر لتبرز ملامحه الدقيقة وهو يحدق إلى «ماريمو» قائلاً بضحكة صافية:

- لقد فعلتها إذًا.. لقد هزمتني يا سيدي..

ظل «ماريمو» يحدق إليه باستغراب ودهشة، وقد بترت كلماته تلك الأضواء التي انبعثت من النيران في تلك السماء المظلمة..

انبثقت مظلة للهبوط من خلف ظهره وهو يمسك بيد «ماريمو» الذي

أمسك بدوره بـ«مونتي» الذي تصلب من الخوف. واستقرت أقدامهما أخيراً على الأرض التي اهتزت من هول الانفجار..

* * *

اهتزت السلاسل الفضية التي اكتست بالدم وهي تخرج من ظهر «فرانس» الذي قال بملل:

- إلى متى يجب عليّ أن أقيد «ماكس»؟ إنه يريد الموت فدعيه يفعل ذلك.. تنهدت «كريمسون» وهي تقول بضيق وتوتر كبيرين:

- آسفة.. كم مرة يجب عليّ أن أعتذر اليوم.. فلا حبال لديّ.. وبالكاد جعلته يهدأ بطريقتي.. لقد سئمت منكم جميعاً..

تمتم «ماكس» بكلمات غير مفهومة وبدأ وكأنه مصلوب بتلك السلاسل المتعددة.. وقد سقط المقص بين قدميه الحافيتين ملتصقا في تلك الظلمة.. حك «فرانس» أذنه وهو يعدل حلقاته قائلاً بملل:

أذهبي واشتري حبلاً إذاً.. فجسدي ليس حبلاً..

أحاط «ماريمو» بخصر «كلاود» الذي قاد دراجته النارية بسرعة كبيرة وبدأت أنفاسه هادئة جداً وهو يرتدي خوذة القامة.. وقد تخلل الهواء شعر «ماريمو» الأخضر بعنف وجعل «مونتي» يدخل في دوامة مرعبة من الشعر..

وكانت أضواء «لوس أنجلوس» تمر كخطوط لامعة صارخة من حولهم.. كان «ماريمو» يضع رأسه على ظهر «كلاود» وهو شارد تماماً، ثم تحركت شفتاه قائلاً:

- ما الفائدة من تفجير الشركة؟! فلقد تمت مهمتنا دون أن يلاحظنا أحد.. صمت «كلاود» لثوانٍ ثم أجاب بجدية:

- لديّ ما يجعل جميع المنظمات تتابع تحركاتي؛ لذا لا بد من أن أمحو أي مكان غريب بعد خروجي منه.

همهم «ماريمو» مقتنعا.. ثم رفع رأسه قائلاً باهتمام:
- لكن كيف علمت بأمور تلك الشركة كاملة؟ فمعلوماتكم في تلك الجرائد
المعلقة على الجدران ناقصة جدا..

ضحك «كلاود» بخفة ثم قال بصوت هادئ:
- مجرد تخمين.. مع الاعتماد على بعض الأمور الأخرى.
اهتز حاجب «مونتي» قائلاً بسخرية:

- وكيف ذلك؟!!

أجاب «كلاود» بصوت سلس وثابت:

- ببساطة، هذا هو اليوم الأول الذي يُحبس فيه «بيتر».. وشخص كوالده
لن يحبسه إلا إذا كان متأكداً من نيته.. ومن الطبيعي أن يقوم طفل مدلل
بالانتقام وتحقيق رغبته من أول يوم يهان فيه.. مرتدياً قناع الولد المطيع..
ولذلك غطيت وجهي بالخوذة حتى أبدو أكثر ثقة بما أقول، وظللت أطرح
أسئلة لا أعرف إجاباتها، وكان يجيب عليها دون أن يدري، بل واقتنع في
قرارة نفسه أنني أعلم كل شيء عنه.

في الحقيقة لم أكن أعلم إلا بأمر والده وتلك الصفقة الكبرى، واتهامه لولده
في وسائل الإعلام.. ثم قدمت له مساعدة وهي أمر شركة والده المحمية
بالغاز، وكلي يقين أنه يعلم بذلك، لكن لإقناعه بصدق نيتي لا أكثر، ولقد
شممت رائحة الترياق التي تسلت من خلال عطره القوي، وعندما أجب
بوضوح قائلاً:

- لا بأس.. فأنا أعلم بأمر الغاز السام بالشركة؛ فهو معروف في كل مكان،
إجابة كافية وتنتهي دوره؛ لذا قتلته بعد خروجك وأخذت الترياق، وعقدت
التحدي بيننا..

اتسعت عينا «مونتي» الصفراوان وفغر فاه ثم حرك بصره ناحية يمينه
هامسا في نفسه:

- هكذا إذًا.. إنه يقرأ ردود الفعل لا أكثر.. أذكر أن «ماريمو» قال لي: لقد تفحصت المكان ولم أجد شيئاً مثيراً..

من النظرة الأولى إلى «ماريمو» علم أنه سلاح بشري، لكنه غير مكتمل، وذلك بمجرد أن وضع يده في منتصف جبينه، وتحدث كأنه يعلم كل شيء عنه، واستنتج من حديث «ماريمو» قبل دخوله أنه يقصدي، فلم يكن في البيت أحد غيري قبل مجيء «كلاود» فخمن أنني أتحدث وأنني تعرضت بالخطأ لنفس التجربة مع «ماريمو» عندما اتضحت عليّ علامات الدهشة والخوف.

تنهد «مونتي» وعقد حاجبيه بابتسامة مرتبكة، وكأنه أيقن أن ذلك الشاب مغامر ليس عادياً..

توقف «كلاود» عند الرصيف واتكأ برجله مترجلاً عن دراجته.. فأوقفه صوت «ماريمو» قائلاً باستغراب:

- إلى أين ستذهب؟!

التفت إليه وفتح زجاج خوذته الفضي قائلاً بابتسامة عذبة:

- سأشتري الحلوى كما وعدتك.. سيدي.

* * *

تدفقت الألوان من تلك القناني الملونة لتطلي ذلك الحائط الأسمنتي بشكل عشوائي متداخل وجميل باحترافية فنية.. كانت عيناه متسعيتين بحماسة وهو يحرك الحلوى بين شفثيه بتناغم تام مع حركة الفرشاة التي تتحرك ذهاباً وإياباً بين يديه..

ظل «مونتي» يتكئ على الحائط وهو يقرأ صحيفة اليوم التي غطته بالكامل وهمس من خلفها قائلاً:

- ما هذا الذي تفعله؟!

زفر زفرة راحة ومسح الألوان عن وجهه بطرف قميصه الأصفر ثم قال بصوت مبتهج:

- أجمل مقرنا الجديد..

أزاح الصحيفة بملل ونظر إلى الحائط.. فاندھش ھما فعله «ماريمو» بذلك المبنى المتھدم.. كان جدار المبنى يحوي رسومات كثيرة ملونة بشكل جذاب، وعندما دقق النظر لاحظ صورا مرسومة بدقة لـ«كلاود» و«كريمسون» و«ماريمو» وله ولناس آخرين يقفون أو يرقصون بحركات غريبة، وأخيرا صورة لشاب ذي شعر أسود وبلا ملامح يقف بعيدا عنهم وحيدا ومنعزلا وقد أحاطت به ظلمة كثيفة.

قطب «مونتي» حاجبيه ثم قال بجدية:

- من هذا الشاب؟ ترى هل نعرفه؟!

انتبه «ماريمو» إلى سؤال «مونتي» فحوّل عينيه إلى الشاب المرسوم قائلاً بابتسامة عريضة:

- إنه في مثل عمري.. لذا سأكون صديقه إن عثرنا عليه.. وبعدها سأسطيع رسم ملامحه السعيدة..

ظهر صوت شهقتها المتفاجئة من خلفهما وقالت بصوت مرتفع:

- ماذا فعلت بحائط مقرنا؟!

التفت «ماريمو» ليرى «كريمسون» تقف بوجوم وهي تنظر إلى المبنى الذي تحول إلى قوس قزح باستنكار كبير..

غطى «مونتي» نفسه بالصحيفة بعدما تنحنح قائلاً بصوت رزين:

- لقد كانت فكرة «ماريمو» الغبي وليست فكري.. فأنا لا أفكر بشيء كهذا.. فأنا...

قاطعته ضحكتها وهي تمشي بخطوات متباعدة وتنظر إلى كامل المبنى بذھول قائلة:

- رائع.. لم أكد أميزه.. ليس هذا فحسب؛ فلقد أصلحته.. لا أصدق أن هذا هو مقرنا السابق..

حرك «ماريو» شعره المنكوش بيده المملطخة بالدهان وهو يضحك بسعادة غامرة قائلاً:

- لكنني لم أصلح الجزء الداخلي بعد..

صُغق «مونتي» لرد فعلها، والأهم من ذلك أنها تجاهلته كما يفعل «كلاود».. وقال في نفسه: ما هذا؟ إنها بداية يوم سيئ..

انتبهت «كريمسون» إلى ساق «ماريو» التي كانت تنزف سائلاً أخضر على الأرض الترابية.. فعقدت حاجبيها قائلة بهدوء:

- ما هذا ما الذي حدث بالأمس؟!

اتسعت عيناها بقلق وهي ترى «ماريو» الذي أمسك بالجدار وأخذ يلهث بصعوبة وقد تصبب العرق من جبينه فقالت بصوت مرتفع شابه الخوف:

- تمالك نفسك ولا تخف.

* * *

فتح الخادم الستائر القائمة لتتسلل أشعة الشمس إلى داخل الغرفة الواسعة التي زُينت بنفائس التحف والأثاث الأنيق المنتقى بعناية.. أقبل ناحية السرير الفخم ذي الأعمدة الذهبية الذي تربع في وسط الغرفة..

ألقي نظرة على السيد الذي كان نائماً بهدوء وهو يخفي وجهه بغطائه المخملي الفاتح.. وقد تناثر شعره الذهبي على وسادته.

ظل الخادم يحقق إليه بقلق وهو يمد يده ويضمها متردداً في إيقاظه حتى أربكه صوت رئيس الخدم «باركر» من خلفه وهو يهمس قائلاً:

- دع السيد ينام.. وأغلق الستائر بسرعة..

انحنى الخادم بطاعة وأسرع نحو النافذة وهو يحاذر أن يظهر صوت

خطواته.. أرخى حبالها لتتسدل وتحجب ضوء الشمس.. فعمت الغرفة
ظلمة مريحة.. ثم خرج الخادم المرتبك على عجل مروراً برئيس الخدم
الذي هز رأسه باستياء..
أمسك بمقبض الباب من الخارج وألقى بنظرته الحانية إلى السيد «ون»
وتحركات شفتاه هامساً:
- لم أره ينام بتلك الراحة منذ مدة.. لعله قد تحقق له ما أراد.. فقد عانى
بما فيه الكفاية في حياته..

* * *

أغلق «فرانس» الباب الحديدي بعنف لينخلع ويسقط أرضاً محدثاً صوتاً
مزعجاً وظل يحرق به متنهداً بضيق ثم قال:
- «كريمسون»، ألم تجدي مبنى أفضل من هذا المبنى الذي أوشك على
الانهيار؟ أشعر بأنني سوف أتشوه تحت أنقاضه..
إلا أن المقر كان هادئاً ولم يجبه أحد، كانت الإضاءة خافتة بشكل يزيد
ذلك الهدوء سكونا..
مشى محاذياً للباب ثم رفع صوته وهو يجول بعينه في الغرف والممرات
قائلاً:
- «كريمسون»، أين أنت؟ وأين ذهب الجميع؟! ومن هذا الذي جعل المقر
وكأنه مأوى لجماعة من المهرجين؟ حقيقة أنتم تتحولون إلى الأسوأ..
ثم رفع أحد حاجبيه قائلاً وهو يضحك ساخراً:
- ومن ذلك المرسوم صاحب الشعر الأخضر؟ لم أتوقع أنك ترسمين يوماً..
أهو صديقك الجديد؟!

انتبه لخروج «كريمسون» من الغرفة وعلى وجهها علامات الوجوم وقد
رفعت أكمال قميصها الفضفاض وكفأها مخرجتان بسائل أخضر، ثم

اتجهت نحو الحمام لتغسل يدها دون أن تلقي إليه بالا، ذهب خلفها وهو ينظر إلى السائل على يديها باستغراب قائلاً:

- هل قتلت مخلوقاً ما؟!

صمتت لوهلة وأخذت تمسح كفيها بالمنشفة المعلقة ثم قالت بهدوء:

- اتصلت بـ«كلاود» مرارا لكنه لم يجب.. أنا لم أعد أفهم شيئاً..

ثم نظرت إلى عيني «فرانس» نظرات عميقة وجادة وهمست قائلة:

- أتريد أن ترى شيئاً مثيراً؟

ظل يحدق إليها باستغراب ثم هز رأسه وقال بعدها بصوت متردد:

- ما هو؟!

ألقت «كريمسون» بقميصه المفضل الذي تلطخ بالألوان على وجهه ثم

قالت بصوت ساخر:

- ألا يبدو أجمل بتلك الألوان؟!

أزاحه عن وجهه ونظر إليه فُصدم بما حدث له، وتفجرت براكين غضبه

حتى كاد يصرخ، إلا أن «كريمسون» وضعت إصبعها على شفثيه قائلة

بجدية:

- لم ترَ الشيء المثير بعدُ.. اتبعني..

استسلم «فرانس» وهو ينظر إلى «كريمسون» ثم تبعها وهو يمسك بقميصه

العزيز في يده.

ظل ينظر باستنكار إلى ذلك الجسد الموشوم الذي تمدد على السرير، وقد

سال ذلك الشيء الأخضر من بين شفثيه، والذي ينظر إليه بنظرات ناعسة..

وبجانبه قط أسود ظل يحدق إليه بالنظرة نفسها..

سحبت «كريمسون» كرسيها وجلست عليه وهي تميل بجسدها نحو

«ماريمو» محدقة به باهتمام شديد قائلة:

- إنه سلاح بشري أنتجته المنظمة نفسها التي قتلت باقي أفراد منظمتنا..

لكنه مختلف ولديه الكثير من الألغاز التي لم نستطع حلها حتى الآن؛ فلم يكن له قلب على الرغم من بشريته شبه الكاملة، وقد زرعت له واحدا من قلوبى قبل يومين..

والشيء الآخر ذلك القط الأسود، إنه يتأثر بأفعال «ماريمو»؛ فينام لنومه ويموت لموته على الرغم من استقلال شخصيته عنه.. وما يثير حيرتى الآن هو دمه..

ثم شبكت أصابعها وشدت على كفيها وقربتها من فمها قائلة بلهجة جادة وصوت هادئ شابه اليأس:

- إنه قليل جدا وغير قابل للتخثر؛ فجروحه تنزف حتى يخيظ الجلد نفسه.. ويعد هذا فشلا في التجربة ولسبب ما لم يفقد وعيه، بل هو مصاب بالدوار بسبب الكمية الكبيرة من الدماء التي نزفها..

تفحصت قلبه قبل قليل، لكن لم أجد مشكلة، فهو يعمل بشكل عادي.. فما مشكلته يا ترى؟!

ارتسمت علامات الذهول والإعجاب على وجه «فرانس» الذي ابتسم قائلاً:
- يبدو خطيرا فعلا.. من المؤسف أن تفقدوه.. عوضا عن ذلك أعطيتَه أحد قلوبك الثمينة..

التفتت «كريمسون» إلى «فرانس» بنظرات جامدة ثم قالت معاتبة:
- لا يهمني قلبي الذي أعطيته له.. فأنا أريده أن يحيا ولن أتخلى عنه مهما حدث؛ فهو...

تلعثمت الكلمات بين شفتيها المرتجفتين فاصطكت أسنانها بضيق وتذكرت تلك النظرات الحانية التي شابها الخوف، ثم أطلقت تنهيدة وأشارت بيدها بيأس قائلة:

- لا تهتم.. ولا تذهب بتفكيرك المريض بعيدا.. فهو مجرد سلاح..
ابتسم «فرانس» ببراءة مصطنعة، واسترعى انتباهه صوت «ماريمو» المرهق

وهو يقول:

- أنت في مثل عمري.. هلا تنضم إلينا لنكون أصدقاء؛ فأنا و«كريمسون» و«كلاود» و«مونتي» أصدقاء..

وضع «فرانس» إصبعه تحت ذقنه مظهرًا غرورا شديدا وقال بصوت جاد:
- سأغادر هذه المنظمة قريبا.. من المؤسف أنك لن تتعرف عليّ أكثر..
يمكنك أن تعقد صداقة مع «ماكس»..

قالها بسخرية..

ظهر صوت هادئ يقول بحزم:

- لن يغادر أحد هذه المنظمة إلا وهو ميت..

التفتت «كريمسون» إلى صاحب الصوت الذي اتكأ على الباب وهو يعتقد
ساعديه ناظرا إلى «ماريمو» بأسى..

عقد «فرانس» حاجبيه بعصبية ثم أشار إلى «كلاود» وهو يصرخ مفرغا
شحنة غضبه قائلاً:

- أنت أخيرا حضرت؟! سأخرج من هنا رغما عنك.. وسأقاتلك إذا لزم الأمر،
هل ترغب بالتحدي؟!

حرك «كلاود» نظراته الحادة نحو «فرانس» ثم هز كتفيه قائلاً بصوت
شابته السخرية قائلاً:

- لا وقت لديّ، ولا أريد تلطيخ هذا المبنى الجميل بالدماء؛ فلقد تعب
«ماريمو» بتغطيته برسوماته، وبالمناسبة إنه السيد الحالي لنا.

اندهشت «كريمسون» وقالت باهتمام:

- هذا يعني أنه هزمك بالأمس.. كيف حدث هذا؟!

قاطعها «فرانس» الذي أشار إلى «ماريمو» قائلاً بانفعال:

- أتجعل سلاحا غير مكتمل كهذا سيدا لنا؟ لا تمزح معي.. إن كانت القيادة
عبتا عليك حل تلك المنظمة الفاشلة..

كان «كلاود» يثني أكمام قميصه بهدوء وبطريقته المرتبة، ثم رفع بصره وناوبه بينهم قائلاً بهدوء:

- اتركونا بمفردنا قليلاً.. ولنؤجل هذا الحديث العقيم لما بعد..

ألقى «فرانس» بنفسه على الأريكة ووضع قدمه على تلك المنضدة أمامه بعصبية وهو يسند رأسه إلى الخلف قائلاً:

- من يظن نفسه؟! سأخرج من هنا مهما كلف الأمر..

ألقت «كريمسون» بمشروب غازي إليه ليتلقفه مشيحاً بوجهه بضيق.. ثم جلست أمامه وهي تفتح مشروبها قائلة:

- جميعنا يعلم من هو «كلاود».. فلا تقل من شأنه..

ظل يشرب متجاهلاً تلك الحقيقة التي أحرسته، فلا يمكن لأي منهم مواجهة «كلاود» مطلقاً..

نظرت «كريمسون» نحو باب الغرفة المغلق وظلت تتأمل بهشود قائلة في نفسها:

- كلنا نعلم على «كلاود» بشكل كبير.. فكيف يقوم بتسليم أمر القيادة إلى غيره؟ ما الذي حدث بينهما بالضبط؟

لم تمضِ ثوانٍ حتى فُتح الباب وخرج «كلاود» فأثار ذلك دهشتها وقالت باستغراب:

- ماذا حدث؟!

أخفض «فرانس» المشروب عن فمه وظل ينظر إليه بطرف عينه منتظراً إجابته..

فاجأهم خروج «ماريو» وهو يقف إلى جانب «كلاود» حاملاً «مونتي» مداعباً شعره الناعم بأصابعه وهو يبتسم بلطف قائلاً:

- أنا بخير.. فلا داعي للقلق.. و«كلاود» شخص لطيف..

أشاح «مونتي» برأسه وهو يتمتم قائلاً بضيق:

- لا أريد أن أكون مدينا لشخص مثله..

مشى «كلاود» باتجاه الممر الذي أمام الغرفة وكانت ملامحه هادئة تماماً. نهضت «كريمسون» بدافع الفضول الذي لم تستطع كبته وسألته باهتمام:

- كيف تعافى «ماريمو» بسرعة هكذا؟! أرجو أن تفسر لي ما حدث..

توقف «كلاود» ورفع سرنجة حقنة كانت بيده قائلاً بجدية:

- مجرد حقنه بمادة تساعد على التئام الجروح وزيادة تكوّن الدم لديه.. يتم حقنها في منتصف عنقه تماماً.

قطبت حاجبها بألم وهي تنظر إلى عنق «ماريمو» قائلة:

- وكيف عثرت على هذا المركب الغريب؟!

أخفض «كلاود» ما بيده، ثم التفت ناحيتهم وعلى وجهه علامات الحزم قائلاً بوضوح:

- إنه مجرد نتاج تجربة فاشلة.. ولقد كان «القط» سبب فشلها..

معنى آخر: تلك المنظمة اللعينة التي أرسلت إلينا السلاح الذي قتل جزءاً منا وأذى «ماكس» كانت تريد تصميم سلاح بشري مختص بتنفيذ المهام.. وبالاعتماد على شيئين..

رفع إصبعيه السبابة والوسطى واحتدت نظرات عينيه قائلاً:

- شاب طبيعي.. وشيء آخر أخضر اللون..

صُدمت «كريمسون» لما قاله وعلت الدهشة وجهي «فرانس» و«مونتي»، أما «ماريمو» فقد كان منشغلاً بالاستمتاع بحلوى العصا التي في يده.

اتكأ «كلاود» على الجدار الذي خلفه وانزلت خصلات شعره الذهبية لتغطي وجهه، واضعا يده تحت ذقنه وهو يفكر قائلاً:

- لو رتبنا مجريات القصة فستكون كالآتي: شاب على الفراش في المختبر.. إنسان كامل وعادي، لا يحتوي على أي أسلحة جسدية ومخلوق أخضر اللون أو مادة ما، ضغط مكبس دمجهما معا ليكون البشري مجرد حاوٍ

لتلك المادة لا أكثر.. لكن!! وجود القط أفسد تلك التجربة.. بمعنى أدق.. القط يحمل ٧٥% من شخصية ذلك الإنسان، و«ماريهو» يحمل ٢٥% منها، والدليل على ذلك كلامه وتصرفاته البشرية، وفوق ذلك فهما يكملان بعضهما عدا الوشم ودم «ماريهو» الأخضر.. والقط لا يحمل شيئاً من القوة، لكنه تسبب بخفض قوة «ماريهو» إلى ٦٠%.

تحركت شفتا «كريمسون» قائلة بذهول:

- كيف علمت بهذا كله؟! والأهم من ذلك.. كيف عرفت العلاج؟! بل وأحضرت الدواء معك أيضاً..

أوماً «كلاود» برأسه ثم رفع يده واضعاً كبسولة بين إصبعيه وهزها قائلاً: - مهمة الأمس كانت لأجل هذه النتيجة التي كانت مجرد تخمين بنسبة ٥٠% لاعتمادى على بعض الحقائق..

وقد اشترت المكونات النفيسة لعمل الحقنة المعالجة وتلك الكبسولة بالملف الذي بعته للشركة المنافسة التي سحقنا خصمها بالأمس.. أما هذه الكبسولة فستكون علاجاً دائماً لحالة «ماكس»؛ فأنا لم أغب الشهرين الماضيين إلا لأنني سمعت عن تلك التجربة الفاشلة فذهبت لأجمع المعلومات عن «ماريهو» كتجربة علمية لعمل سلاح بشري، لكنها فشلت، وعندما عدت وجدته هنا.

عقدت الدهشة لسان «مونتي» وأول ما طرأ في ذهنه ذلك الشاب الغامض صاحب الشعر الأسود المرسوم على الجدار، وقال في نفسه:

- إذاً ذلك الشخص هو أنا.. لكنني خلال التجربة انقسمت إلى «ماريهو» والقط، وهذا هو سر فقده للذاكرة.

قاطع تفكيره صوت «كلاود» الذي أشار إلى «ماريهو» قائلاً:

- كان «ماريهو» مستعداً لأي مهمة أو كلمة تضاف إلى قاموسه الذهني.. وأول من قام بطاعته هو القط..

انخفض كتفا «كريمسون» وهي تستجمع تلك الأحداث الغريبة ثم قالت:
- هذا يفسر ظن «ماريمو» أن «مونتي» هو رأسه؛ وذلك لأنه بشكل ما جزء
منه.. فقد كان مشوشاً..

أكمل «كلاود» حديثه قائلاً: ونتيجة بحثي كانت مذهلة.. فقد أنقذنا
«ماكس»..

أزاح «فرانس» قدميه عن المنضدة أمامه ثم قال بصوت مرتفع وهو
يغمض عينيه بضيق قائلاً:

- لا يهمني هذا.. فلن تكون منظمنا قوية كالسابق.. لقد كنا أكثر من
عشرين وبأسلحة مخيفة.. والآن نختبئ في أوكار ملونة.. حقيقة، لقد
سببت لي الخيبة يا رجل..

ارتسمت ابتسامة واثقة على وجه «كلاود» ثم قال بوضوح تام:
- جميعهم أسلحة ضعيفة أمام «ماريمو» كسلاح.. فإن أردت الخروج
فالأمر عائد له هو وليس لغيره..

ألقي «فرانس» علبة مشروبه بعصبية ثم قال بغضب متأجج:
- أتريدني أن أستاذن من «تلك التجربة الفاشلة»؟ لقد قلت لك ألا تعبت
معي..

نظر إليه «كلاود» بالابتسامة نفسها وهز كتفيه معلناً أنه لا يوجد طريق
آخر..

زفر «فرانس» الهواء من رثتيه متنهداً باستياء، ثم التفت بكامل جسده إلى
«ماريمو» قائلاً بانفعال:

- أسمح لي بالخروج دون عودة.. سيدي المحترم؟
أجاب «ماريمو» بسرعة وبحماسة وقد علت ملامحه القوة:
- لن أسمح بخروجك أبداً.. وستبقى لتصبح صديقي وأرسمك على جدار
المبنى..

فغر «فرانس» فاه وأخفض حاجبيه قائلاً بصوت هامس كئيب:
- «كلاود» أغراك بتلك الحلوى لئلا تمنعني من الخروج.. أليس كذلك سيدي؟!
وضعت «كريمسون» يدها على فمها وهي تحاول كتم ضحكها ثم قالت:
- يبدو أن القدر سيجمعنا من جديد.. وبطريقة عجيبة..
ثم هدأت ملامحها وهي تحديق بدفء إلى المشروب الذي بين يديها قائلة
في نفسها:

لا أعلم سببا لسعادتي.. ربما لأن الجميع كانوا كعائتي دون إدراك
مني.. «كلاود» عاد وقد كان يعمل لأجلنا، و«ماكس» سيعود لمشاغبه،
و«فرانس» مضطر للمكوث هنا.. وأنا.. سعيدة لذلك..
هل من الممكن أن يكون «ماريمو» بكلمة واحدة قد أحيا فينا مشاعر
اندثرت منذ زمن؟ تذكرت كلمته «فأنا رجل» وابتسمت في نفسها بحنان
قائلة:

- أو لأنه حافظ على القلب الذي عانيت فراقه بإعطائه له.. والذي شققت
صدره لمجرد الاطمئنان عليه.. كم أنا بشعة، لكن جميعنا نحمل جانباً
شديد الأنانية بداخلنا، ترى هل يحمل «ماريمو» هذا الجانب مثلنا؟!
حوّلت عينيها نحو «مونتي» ثم قالت بلطف:
- أترغب بطعام للقطط؟ تبدو جائعاً..

انتبه «مونتي» وقطع جبل شروده ثم قال بصوت متردد:
- بما أنني كنت إنساناً.. لا أظن أنني سأكل طعاماً للقطط بعد اليوم..
شكراً لك..

سمع صوتاً من بعيد يقول له بلهجة مرعبة:
- صحيح.. لا تتصنع اللطف فلا مجال لأن تدلك بعد الآن أيها القط
المنحرف..

التفتت «كريمسون» نحو الممر وقالت بسعادة غامرة:

- لا يمكن.. بهذه السرعة.. «كلاود» إنك مدهش حقاً..
قفز «ماكس» صاحب البشرة السمراء والشعر المجعد فوق المنضدة ليقف أمامها ماداً ذراعيه وهو يضحك قائلاً:
- هيا تحولي إلى «كارين» ورحبي بصديقك المحب..
قفز «فرانس» بين يديه حتى أسقطه أرضاً قائلاً بصوت باك:
- أخيراً «ماكس».. لقد عدت.. رجاء لنخطط للخروج من هنا؛ فريئسنا سلاح بشري مربع، ومعه قط متغطرس.
دفع «ماكس» وجه «فرانس» بقدمه الحافية قائلاً بغضب:
- ابتعد.. لقد أردت «كارين».. لا تنسَ أنها من جعلتني ألغي فكرة الانتحار بعد رؤية مدى لطفها وقلبها الرحيم.
شد «فرانس» قميصه قائلاً بغضب:
- كيف تجرؤ أن تدوس على وجهي الوسيم؟ هل تحاول تشويهي أيها القصير المعتوه؟
بدأ العراك بينهما، فتنحت «كريمسون» جانبا عن تلك الحلبة الصاخبة وأطلقت تنهيدة ساخرة قائلة في نفسها:
«فرانس» يقدر نفسه كثيراً، بينما «ماكس» يتمنى أن يجد من يقدره..
إنهما كالنار والبارود.
انتبهت لمجيء «كلاود» الذي ظل صامتا ومستغرقا في التفكير.. عقدت حاجبيها باستنكار ثم قالت بهدوء:
- «كلاود».. أهنأك شيء ما؟!
رفع رأسه فجأة قائلاً بصوت مرتفع:
- هناك دخلاء حول المكان.. ويبدو أنهم من الشرطة..
فوجئ الجميع مما قاله «كلاود» وتوقف العراك، وعمَّ المكان صمت مطبق.. نظر إليهم «ماكس» قائلاً بقلق:

- مستحيل.. فلم نفعل شيئاً لافتاً.. هل قمتم بشيء جعلهم يحضرون إلى هنا؟!

بدوا في شرود تام.. نطق «فرانس» قائلاً بتعجب:

- ما الذي سنفعله الآن؟! هل نقاتلهم؟!

خارت قوى «كريمسون» وجلست على الأريكة من خلفها، ثم ضمت قبضتيها قائلة بحنق:

- أيمكن أن تكون تلك المنظمة قد أوقعت بنا لتقضي على من تبقى منا؟

نظر «كلاود» إلى «ماريو» بنظرات جادة قائلاً:

- أوامرك؟!

وجّه الجميع أنظارهم التائهة نحوه وكأن الحل سيكون بين يديه..

أجاب «ماريو» مباشرة وبكلمات نبعت منها الثقة الكاملة:

- لا بد من وجود سبب لذلك.. ولن نعلمه إن بقينا هنا.. فيجب أن نسلم

أنفسنا لهم لنعلم من هو خصمنا الحقيقي..

أوماً «كلاود» برأسه موافقاً بينما سيطر القلق على «ماكس» قائلاً بترجّ:

- لا.. فأنا لا أحتمل سجنًا آخر يا رجل.. لقد خرجت من حبس المرض للتو

لأعيش مجدداً..

مشى «كلاود» باتجاه الباب المختفي في الحائط وتلمسه ليُفتح فتسرب

الهواء البارد ليعثر ذلك الجو المضطرب، ثم قال:

- إنهم الشرطة لا أكثر.. الأهم أن نعلم من هو خصمنا الحقيقي الذي

وقف وراء مجيئهم وأي تهمة ألصقت بنا..

بدا على الجميع علامات الارتياح بينما انعكست أضواء المروحية على تلك

الجدران الملونة وضج المكان بأصوات عويل سيارات الشرطة المصفحة..

* * *

جلس على مكتبه الفاخر وهو يقلب علب البيتزا الفارغة، وتنفس الصعداء حتى ارتفع بطنه الذي كان وكرا لكل ما لذ وطاب.. ومسح على رأسه الأضلع وهو يراقب جهاز التكييف بضيق..

قرع أحد رجال الشرطة الباب ورفع يده بالتحية قائلاً:

- سيدي.. لقد تم القبض على المشتبه به وبرفقته المجموعة التي كانت معه، وقد تبين أنه سلاح طبقاً لتحرياتنا..

أمسك الرجل بعود أسنان وأخذ يخلل بين أسنانه وهو يقول:

- أدخلهم إلى هنا..

أوماً الشرطي برأسه وتراجع خطوتين إلى الخلف بشكل آلي ثم أشار إليهم بالدخول..

دخل «ماريمو» أولاً، ثم تبعه «كلاود» والبقية.. شبك الرجل أصابعه وظل يحدق إلى وجوههم التي حوت ردود فعل مختلفة.. فقد كان «ماريمو» يداعب حلوى العصا و«كلاود» مغمضاً عينيه وكأنه في عالم آخر و«ماكس» يرتجف خوفاً وقد ظهر عليه التعب و«فرانس» يتثأب بشكل مصطنع.. وأخيراً «كريمسون» التي ظلت ممسكة بكفها الآخر وهي تحدق إلى الأرض بهدوء، ثم قال:

- بالتأكيد تعلمون بالحادثة الأخيرة التي دمر فيها برج أنجلوس..

أوماً «ماريمو» برأسه ثم قال بهدوء وصوت جاد:

- خبر كهذا بالتأكيد نُشر في الصحف؛ لذا فقد قرأناه مثلنا مثل أي شخص آخر.

رفع المفتش «جيفري» أحد حاجبيه بسخرية ثم قال:

- لا تعبت معي فأنا لا أحب المزاح.. هناك دليل يقود إليك أنت تحديداً..

ظل «كلاود» صامتا وقد تردد في ذهنه استحالة هذا الأمر؛ لأنه كان متيقظاً وقد ساعده وشم (ماريمو) على ذلك، كما أن المبنى احترق بالكامل.. فإما

أن يكون الرجل كاذباً وإما أن يكون هناك اتهام ملفق..
خط الرجل ابتسامة عريضة على شفثيه الغليظتين ورفع كيسا كان معه
قائلاً بصوت مرتفع:
- وجدنا تلك العلكة بالقرب من المبنى وبعد تحليل اللعاب تبين أنها
خاصة بسلاح بشري، ولقد أرشدتنا محركات بحثنا الخاصة إلى مقركم،
وعصابة شوارع مثلكم لا يمكنها الفرار من قبضة الشرطة.
نظر «ماريمو» بذهول إلى العلكة ثم حك شعره قائلاً ببساطة:
- صحيح ربما سقطت مني..
صرخ «فرانس» وهو يشير إلى نفسه قائلاً:
- أنا لا شأن لي بالأمر.. إنه مجرد سلاح بشري غبي يتصرف دون علمنا..
قاطععه صوت «كلاود» الحاد قائلاً:
- أعترف أنني قمت بتفجير المبنى بالكامل.. لكنني أريد أن تبقى تلك
الحقيقة هنا دون أن تغادر المركز.. وإلا...
ألقى «جيفري» بالكيس على الطاولة وحرك كرسيه الدوار وهو ينظر إلى
«كلاود» باحتقار قائلاً:
- وإلا ماذا؟! عصابة مثلكم لا يمكن لها أن تشتط شيئاً؛ لذا سيتم إعدامكم
جميعاً غداً وأمام الملاء.. وبأمر مني..
صرخ «فرانس» بشكل جنوني وهو يسب ذلك المفتش.. وأخذ أفراد الشرطة
يمنعونهم من التقدم إليه..
تم الزج بهم جميعاً في السجن، لكن مع عزل «كريمسون» وحيدة،
و«كلاود» و«فرانس» و«ماكس» في سجن، و«ماريمو» في سجن مصفح ليس
به إلا كوة صغيرة بالكاد ترى ومعه «مونتي».

* * *

ضرب «فرانس» الجدار بقبضته بعنف وقال بغضب:
- لماذا يُحكم عليّ بالإعدام وأنا لم أفعل شيئاً؟!
ظل «ماكس» يحتضن نفسه في زاوية السجن وهو يتمتم قائلاً بصوت
متناغم:
- ليتني انتحرت.. بدلا من أن أشفى لأعدم..
تلمس «كلاود» الجدار ثم قال في نفسه بهدوء:
- هذا الجدار مصنوع من مادة لا يمكن أن تُخترق بسهولة.. ولذلك لا يوجد
حرس هنا؛ لاطمئنانهم أن المكان مؤمن بشدة..
ثم اصطكت أسنانه قائلاً لنفسه بهمس:
- اللعنة.. لن أستطيع إظهار طاقتي هنا.. فلا بد أن تظل شخصيتي
الحقيقية خفية على الجميع.
ظل «ماريمو» جالسا على ذلك السرير الحديدي القاسي صامتا تماما وهو
يحدق حوله بعينين متسعيتين..
نظر «موني» إلى ملامحه الجامدة باستياء ثم قال بقلق:
- «كلاود» اعترف مضطرا بعدما اعترفت أنت أنها علكتك.. لكنني لا ألومك؛
لأن الحقائق كلها تشير إلينا..

* * *

ارتجف «ماريمو» بشكل مريع وهو ينظر حوله ثم تمتم قائلاً:
- ظلام.. ضيق.. إنه يضيق أكثر.. ويصبح أشد ظلمة..
ارتجفت كلماته الأخيرة وهي تخرج من بين شفتيه، وأطلق صرخة مفزعة
وصلت إلى الآخرين..
وقف «كلاود» بسرعة وأمسك بالقضبان وهو يصيح قائلاً:
- يجب أن تخرجوه من هناك.. إنه يعاني الأماكن الضيقة.. بسرعة..
انهار «ماريمو» أرضا وهو يمسك برأسه ويصرخ ويبكي بشكل جنوني حتى

بُحَّ صوته..

وظل «مونتي» يراقبه بفزع ولا يستطيع أن يفعل له شيئاً، وقد تردد صوته وصراخه في ذهنه مراراً وهو يرى نظرة عين حاقدة مسلطة عليه ..
قطب «كلاود» حاجبيه ثم قال بحدة:

- لا خيار لديّ..

التمعت عينا «كلاود» بلون ذهبي صارخ وهو يحدق إلى باب سجن «ماريمو» أمامه.. سرعان ما اختفى حين لمح الحرس قادمين لفتح البوابة.. فارتخت قبضته عن قضبان السجن وهو يراقبهم وهم يُخرجون «ماريمو» من السجن، الذي كان في حالة سيئة وقد غطت الدموع وجهه وتعالَت أنفاسه.. ونقلوه إلى سجن آخر بعيد عن نظر «كلاود».

وضع «ماكس» يده على كتف «كلاود» وقال بلهجة حزينة محاولاً مؤازرته:
- لا تقلق يا رجل.. سيرتاح الآن بعد نقله لمكان أوسع.. لقد كانت هذه الحالة تأتي لوالدي قبل وفاتها.. ليست خطيرة.
ألقى «كلاود» بنفسه على ذلك السرير القاسي من خلفه ثم قال بصوت هامس:

- ما هذا؟ لقد ظل «ماريمو» حاملاً كل نقاط ضعف ذلك الشاب أيضاً،
وذلك القط يبدو بخير..

ظل «مونتي» يجلس في الممر وكأنه تائه وهو يجول بعينه بين سجن «كلاود» والبقية ثم إلى حيث وضعوا «ماريمو»..
ترددت ضحكة «فرانس» الساخرة بصدى، ثم قال وهو يتكئ على القضبان:
- حسناً.. هذا هو زعيمنا العظيم.. ونحن سنُعدم فور أن تولى قيادتنا..
حقيقةً هذا أمر يبعث على التفاؤل..

وضع «كلاود» يده على وجهه وتنفس الصعداء ثم قال بهدوء:
- اخرس.. أنت لا تعلم شيئاً عنه.. الدلائل التي بحوزة الشرطة كافية.. كنا

سندان على أي حال..

أخفض «فرانس» رأسه وبدأ عليه الضيق والإحباط، وجلس «ماكس» على الأرض ثم قال بهرح:

- لا بأس.. سيكون غدا يوما مثاليا لتستعرضوا قواكم.. فأنا الوحيد الأعزل من القوة كما تعلمون؛ لذا أنا آسف لكوني سأصبح عبئا عليكم.
ثم ضحك ضحكة منخفضة لم يشاركه بها أحد غير صوت صداها..
قاطعها «كلاود» قائلاً بهدوء:

- هذا ما سنفعله غدا.. ومن عادي ألا أخلف وعودي..
ثم ابتسم ابتسامة قاتلة وهو يراقب جهاز التنصت المثبت خلف جهاز الإنذار في زاوية السجن المظلمة..
هز المفتش «جيفري» رأسه بابتسامته الساخرة وهو يسمع حديثهم، ومعه شرطي آخر عبر مسجل صغير..
أغلق الجهاز ثم ألقى بقلمه على درج مكتبه قائلاً:
- الحمقى.. سنجردهم من أسلحتهم قبل إعدامهم بساعات.. سننتزعها من أجسادهم انتزاعاً..

دخل شرطي ييدو على ملامحه القلق ثم قال بارتباك:
- سيدي، إن السلاح البشري الأخضر يعاني مرض «كلوستروفوبيا» وتم نقله لسجن أوسع..
قطب «جيفري» حاجبيه باستنكار وحرك بصره ناحية اليمين قائلاً بتعجب:
- هذا سبب صراخ ذلك المعتوه إذًا.. لكن كيف لسلاح أن يعاني مرضاً كهذا؟!

ضرب المكتب بكفه الضخمة حتى كاد يحطمه، ثم صرخ قائلاً:
- افحصوه حالا.. أريد استخلاص حمضه النووي والبحث عن هويته بشكل كامل ..

تلاحقت أنفاس الشرطي وبالكاد قال بلهجة سريعة:

- حاضر سيدي، سننفذ الأمر فوراً..

ثم خرج بسرعة وهو ينادي بقية الحرس الذين ركضوا من خلفه..

تقاطر العرق من رأس «جيفري» ليتسلل من بين ملامحه المشدوّهة، وبدأ

عليه الخوف وهو يقول بصوت حائق:

- أخشى أن يكون شخصاً مهماً في إحدى المنظمات القوية.. عندها ستبدأ

المشاكل بالتأكيد..

* * *

غطت السحب الغائمة القمر المنير من خلف نافذة مكتبه لتزيد الغرفة

ظلمة وحيرة.. وتساقطت نتف الثلج بغزارة على زجاج النافذة الخارجي

لتلك الغرفة المظلمة، التي أحاط بها جو من التوتر المكبوت، وتصادت

فيها رائحة السجائر التي تكومت أعقابها فوق رمادها على سطح مكتبه

الخشبي الفاخر.

قتل ذلك السكون صوت الشرطي الذي أقبل وهو يحمل ملفاً، قائلاً بلهجة

رسمية:

- سيدي المفتش.. لقد تحرينا عن جميع المعلومات وتم إدراجها في هذا

الملف...

قاطع المفتش «جيفري» الذي كان يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً بأن سحب

منه الملف بغضب متأجج وهو يصرخ قائلاً:

- قف أمام الباب ولا تسمح لأحد بالدخول..

أبدى الشرطي طاعته وخرج مباشرة وأغلق الباب من خلفه..

نظر «جيفري» إلى الملف الأسود الذي كان بين يديه بقلق كبير.. ثم أخرج

منديله من جيبه الأمامي وأخذ يمسح العرق عن جبينه متجهاً نحو كرسي

مكتبه وملقيا بنفسه عليه، ثم اعتدل أمام مكتبه ووضع الملف ومسح عليه بكفه، مرت دقيقة صمت رهيب إلا من صوت تلك النتف الثلجية التي كانت تطرق على زجاج النافذة بلطف..

استجمع قواه وأنفاسه المشتتة، ثم فتح أول صفحة تعريفية في الملف..

قرأ اسمه بتمعن فاتسعت عيناه برعب كبير.. تحركت حدقتاه وهما تجولان في الملف وأعاد قراءة الاسم مرارا وتكرارا..

ارتجفت شفتاه من الخوف الذي أصابه، وكأنه نسي مخارج الحروف.. فابتلع ريقه وأطلق أنفاسه قائلاً بتوتر:

- «هنري سايمون».. هذا مستحيل!

أطلق صرخة مفزعة وهو يأمر أفراد الشرطة بالحضور في الحال..

* * *

تدلت قدمه من السرير العلوي.. فنظر إليها «ماكس» الذي كان راقدا في السرير السفلي، وركلها بقدمه قائلاً:

- هل نمت، أم مازلت تعد الخراف؟

رد «فرانس» بصوت فُقدت منه الحياة:

- أنا أفكر فحسب.. فغدا سنُشنق.. ولو أنني تركت المنظمة قبل حدوث أمر كهذا لكان الغد مختلفا..

ضحك «ماكس» بسخرية وأخفض قدمه عن حديد الدور الثاني من السرير قائلاً بلهجة مضحكة:

- ولو أنني مت منتحرا لكان أفضل أيضا.. على كل حال سنخرج من هنا بسهولة، بالتأكيد هناك طريقة ما.. أليس كذلك «كلاود»؟!

قالها وهو يلتفت إلى «كلاود» الذي ظل يقف عند القضبان التي انعكست ظلها على ملامحه الغامضة المظلمة ولم يجب.. فقطب «ماكس» حاجبيه

ولوح بيده قائلاً:

- هوّن عليك.. نعلم أنك تستطيع القضاء على أفراد الشرطة الموجودين هنا في لحظة؛ فأملنا معلق بك.. لا تبتئس يا رجل..
ارتسمت ابتسامة «كلاود» لتنير ثنايا وجهه في تلك الظلمة قائلاً بصوت جاد:

- لقد حان موعد خروجنا..

* * *

قرع الباب فأجاب المفتش «جيفري» قائلاً بصوت رسمي:

- تفضل بالدخول سيد «هنري».

فتح الشرطي الباب وأشار إلى «ماريمو» بالدخول وهو ينحني له باحترام وتبجيل..

مشى «ماريمو» وهو يفرك معصمه من أثر القيود التي فُكَّت عنه للتو، وهو يتأمل ملامح السيد «جيفري» الودودة والمشرقة..

رُسمت على ملامحه الحيرة وكاد ينطق لولا مقاطعة «جيفري» الذي قام من مكانه وانحنى قائلاً بصوت مرتفع:

- أرجو أن تغفر لنا.. يبدو أن هنالك خطأ ما.. فلم تكن أنت المتهم.. باسم القيادة العليا للشرطة نعتذر لك، وأملنا أن تطلب التعويض الذي تراه مناسباً للتكفير عن هذا الخطأ الفادح، فبماذا تأمر يا سيدي؟!

حك «ماريمو» خده وهو يتأمل ذلك الموقف الغريب ثم قال وهو شارد:
- أريد الحلوى التي على شكل عصا..

ارتبك «المفتش» لما قاله، لكنه ضغط على نفسه قائلاً بابتسامة عريضة:
- سنحقق لك ما أردت.. هل من طلب آخر؟ فهذا الطلب البسيط لا يمكن أن يغفر خطأنا بحقك سيدي..

ظل «ماريمو» يفكر وهو يعقد حاجبيه بتركيز، ثم أشار ببطء إلى «المفتش» الذي ارتبك لهذا الموقف ثم قال بهدوء:

- أريد الحلوى التي تكون مثنية من الأعلى وأفضل اللونين الأحمر والأبيض.. أريد الكثير منها..

هز المفتش «جيفري» رأسه بابتسامة بسيطة، وهو يفرك كفا بكف قائلاً بلطف:

- الأهم هو أن نكسب ودك واحترامك سيدي، وستكون جميع المعلومات التي دخلت هنا سرية تماماً، ولن نبوح بها لأحد.

أوماً «ماريمو» برأسه مبتسماً ثم أدار ظهره مغادراً، ثم انتبه لشيء ما بدر إلى ذهنه فالتفت إلى المفتش «جيفري» قائلاً باهتمام:

- هل أستطيع الذهاب أنا وأصدقائي؟! فأنا أريد إصلاح مقرنا من الداخل.. مشى «جيفري» نحوه بخطوات سريعة وهو يهز رأسه ويشير بيده قائلاً:

- بالطبع يا سيدي.. ولقد جهزت سيارة لتقلك أنت وأصدقاءك إلى منزلك.. ثم سحب الملف الأسود من على مكتبه وسلمه إلى «ماريمو» بعدما انحنى قائلاً:

- سيدي، هذا هو الملف الخاص بك، خذه معك حتى تحتفظ بأسرارك الخاصة.. ونأمل في أن تثق بمصداقيتنا.

أخذ «ماريمو» يقلب الملف بين يديه باستغراب وهو ذاهب إلى الخارج، رفع رأسه متفاجئاً عند رؤية الجميع أمامه ومعهم رجال الشرطة الذين انحنوا له وهم يقولون بصوت واحد: نطلب عفوك سيدي..

نظرت «كريمسون» حولها باستغراب كبير وتحركت شفتاها قائلة بهمس:

- هل «ماريمو» ذو أهمية كبيرة بهذا القدر في مجتمع الكبار؟!

أخذ «فرانس» و«ماكس» ينظران إلى بعضهما البعض ثم إلى «ماريمو» الذي ظل يعبث بشعره وهو ينظر إليهما بلطف..

احتدت النظرة في عيني «كلاود» لرؤية ذلك الملف الأسود بين يديه وأحاطت به موجة من الشك والحيرة..

* * *

- هل سركب تلك السيارة حقاً؟!

قالها «ماكس» مشدوها لرؤية تلك السيارة السوداء الفارهة ذات الأبواب المتعددة التي وقف أمامها سائق يرتدي زيا رسميا وهو يفتح الباب الخلفي منحنيا ويقول:

- تفضل بالدخول سيد «هنري»..

تلقت «ماكس» حوله باحثا عن ذلك السيد الذي خطف حظه قائلاً بصدمة:

- كما توقعت، فنحن خارج الإطار يا رجال..

أشار «ماريمو» إلى نفسه قائلاً ببساطة:

- إنه يقصدي أنا، فقد ناداني ذلك الرجل بالداخل بهذا الاسم..

بدا «كلاود» متضايقا مما يحدث حوله فأثر الصمت لوهلة ثم قال بعدها:

- ربما يقصد الشاب الذي يجمعكما أنت وذلك القط..

أوماً «ماريمو» برأسه ووضع يديه تحت ذقنه مفكراً ثم قال:

- ربما يقودنا هذا إلى الحقيقة التي نود معرفتها.. أليس كذلك «مونتي»؟!

أوماً «مونتي» موافقا وهو يسترخي فوق رأسه قائلاً بسخرية:

- لم أكن أتوقع أنني رجل من عليّة القوم..

اتجه «ماكس» نحو ذلك السائق الذي كان يقف بثبات وهو يحرق إلى

«ماريمو» رافعا طرف أنفه، فسأله قائلاً: هل تعرف شيئا عن «ماريمو»..

أعني «هنري» أو أيا من كان؟!

أجاب «السائق» دون أن ينظر إليه بلهجة رسمية:

- أنا مجرد سائق مستأجر من قبل جهاز الشرطة؛ لذا تفضلوا بالدخول؛

فالجو بارد وأخشى أن يصاب السيد بالأذى.

ركب الجميع، وكان داخل السيارة دافئاً جداً.. تلمس «فرانس» تلك الكنبه الجلدية قائلاً بانبهار:

- لم أكن أتوقع أن يأتي يوم أركب فيه سيارة «ليموزين».. هل أبدو كالمشاهير؟

وفي الطريق كان السائق يتجه إلى حيث الأحياء الراقية التي تبعد كثيراً عن تلك الأوكار المليئة بالمشردين..

أطل «ماريمو» من خلفه وهو يقول باستغراب:

- إلى أين تذهب بنا؟ إن مقرنا ليس من هذا الاتجاه.

كاد السائق يجيب لولا مقاطعة «كلاود» له عندما قال بجدية:

- إنه يتجه إلى منزلك على الأرجح.. أقصد منزل ذلك الشاب المدعو «هنري».. هل اطلعت على الملف الذي بين يديك؟!

نظر «ماريمو» إلى الملف ثم اعتدل جالساً قبالة «كلاود» وهو ينظر إليه باستغراب قائلاً:

- لا أدري لم لا أريد فتحه!

وضع يده التي وُشمت بالسواد على مقدمة الملف واجتمع البقية من حوله وهم ينظرون بفضول كبير عدا «كلاود» الذي بدا غير مهتم وهو يحدق إلى الخارج..

فتح الملف ببطء فدُهِش الجميع لما رأوه، كانت بيانات كثيرة وُضعت في زاويتها صورة لشاب ذي شعر أسود يرتدي النظارة التي أخفت لمعتها جزءاً من عينيه الزرقاوين وبدا على ملامحه الهدوء والوسامة وجانب من البراءة..

أشارت «كريمسون» إليه وهي تنظر إلى «ماريمو» قائلة بانبهار:

- إنه أنت؛ فهو يشبهك بشكل لا يصدّق عدا الوشم والشعر الأخضر ولون العينين..

ظل «فرانس» يقرأ بصوت عالٍ وهو يقول بدهشة:
- «ساميون».. إنها عائلة معروفة وقريبة من الطبقة الحاكمة.. أيعقل أن يكون «ماريمو» هو نفسه ذلك الشخص؟!
ظل «مونتني» يحدق إلى الصورة وكأنه موثق بأنه هو.. وارتسم على ملامحه هدوءاً الذي شابه القلق..
- لا بد من أن جهاز الشرطة قام بفحص حمضه النووي وأشياء أخرى.. ليعلموا إن كان ذا مميزات متطورة كسلاح بشري لمنظمة كبرى.. لكنهم صُدموا بشكل أكبر بعد أن علموا أن «ماريمو» ليس إلا شخصاً من عليّة القوم وذوي السلطة..
قالها «كلاود» بصوت هادئ وواثق دون أن يزيح عينيه عن النافذة..
ظل الجميع ينظرون إلى «ماريمو» بعيون مهتمة لمعرفة المزيد عنه وكأنه صندوق مفاجآت..
ضحك «فرانس» وهو يعبث بشعر «ماريمو» قائلاً:
- الآن أستطيع القول إنك سيد لنا.. لا ينقصك إلا بعض التخطيط الجيد.. لكن هذا لا يهم ما دامت الشرطة ورجال التحقيق مجرد خدم تتصرف بهم كما تشاء.. الأمر مسلّ حقاً..
ثم ختم حديثه بضحكة منتصرة..
أشار «ماكس» إلى الخارج وقد ألصق وجهه بالنافذة وهو يصرخ قائلاً بإعجاب:
- انظروا.. اقتربنا من الجنة يا شباب..
نظر «ماريمو» إلى الخارج حيث توقفت السيارة وتقدم السائق ليفتح له الباب، لكنه بادر بفتحه ليخرج وهو ينظر بذهول إلى ذلك المكان.. وظل «مونتني» مشدوها لما يرى من حوله..
كان المبنى عبارة عن قصر ضخم أبيض اللون مترامي الأطراف لا يكاد

أحد يرى جانبه.. شُيِّد بطريقة هندسية ماهرة، وقد صُممت على جدرانه النوافذ الضخمة والتمائيل النادرة، ومنها تمثال ضخّم لصبي يوناني يفرد كفيه فينسب الماء من بين أصابعه، ليصب في بركة ساحرة أمام المدخل، ومن حوله حديقة واسعة لكنها مهملة، طالت الأعشاب فيها وغطى الغبار تلك التماثيل اليونانية الرائعة..

تحركت شفتا «ماريمو» قائلاً بصوت هامس:

- هذا المنزل موجود في قاموسي.

تنهد «مونتي» براحة كبيرة وهو ينظر إليه، فأخيراً وصل إلى حقيقة شخصيته؛ فهذا هو منزله بكل تأكيد.

قاطع شرودهما صوت السائق وهو يقول بلهجة رسمية:

- سيدي، لقد كان نظام التنظيف الذاتي خاصاً بداخل المنزل فقط؛ لذا فإن الحديقة مهملة.. كما أن المفتش «جيفري» تولى أمر استعادة الطائرات وبقية وسائل المواصلات الخاصة بعائلتك وقام بفك تجميد الحسابات بالبنوك ووضع على عاتقه مسئولية إعادتك إلى مدرسة أنجلوس العليا وسيبدأ دوامك غداً بعد أن تغيبت عن الدراسة منذ ستة أشهر.. وسيتضمن ذلك البقية من مرافقيك..

ظل «ماريمو» شاردًا ثم قال بصوت هادئ:

- عائلة.. مدرسة.. وستة أشهر!

انحنى السائق ثم أدار ظهره مغادراً.. بينما علت وجوه الجميع الحيرة، فقال «فرانس» باشمئزاز:

- هل سنذهب إلى المدرسة رغماً عنا؟! لا تمزح معي..

التفت «ماريمو» إليهم مبتسماً ثم قال بلطف:

- سنذهب جميعاً.. فأنا أريد أن أرى المدرسة.. هذا أمر من سيدكم..

صرخ «ماكس» و«فرانس» اعتراضاً وهما يمشيان حول «ماريمو» الذي

ذهب إلى بوابة منزله..

ظلت «كريمسون» تنتظر إليهم ثم حوّلت نظرتها إلى «كلاود» الذي كان ينظر إلى السماء، ولم يبدُ على وجهه أي تعبير.. فقالت بهدوء:

- ما بك؟ لا تبدو متحمسا!

أطلق تنهيدة وأخفض رأسه وهو يهمهم ثم قال بعدها:

- هل تعتقدين أنه من السهل على المرء مواجهة الماضي؟!

استشعرت تلك العبارة القوية ولم تستطع إخفاء تأثرها بها، فنحت وجهها عن «كلاود» وخطت خطوتين أمامه ثم قالت بصوت شابه بالأسى:

- لن يستطيع أي كائن أن يتخلى عن ماضيه مهما كان..

* * *

شدت قبضتيها بتوتر وعضت شفتها السفلى وكأنها تلومها على البوح بشيء لم تُبح به لأحد من قبل.. إنه ماضيها..

وضع أولى خطواته داخل البيت، فأضيئت الممرات والصالة مترامية الأطراف والغرف بشكل تدريجي وآلي لتكشف غطاء العتمة عن تلك الزخارف المبهرة والرسومات التي علت الجدران وبعض الأرضية التي غُطيت بسجاد فاخر واصطف عليها الأثاث المنتقى بشكل جمالي مدهش.. لم يستطع «فرانس» و«ماكس» منع نفسيهما من التجول داخله بحماسة كبيرة.. قال «فرانس» وهو يفتح أحد الأبواب:

- الغرف كثيرة في الطابقين.. وكلها تحوي أثاثا رائعا.. إنه منزل مبهر.. حقيقة أنا أحسذك..

وأشار «ماكس» بيده من خلف باب غرفة أخرى وهو يقول بحماسة:
- تعال هنا.. يبدو أنها غرفة خاصة لألعاب الكمبيوتر.. إنها مذهلة يا رجل..

مشى «ماريمو» بضع خطوات وتوقف وسط الصالة ثم رفع عينيه نحو تلك
الثرثيا الضخمة التي تدلت من السقف لتنعكس أضواء نورها الذهبي على
عينيه فهمس قائلاً:

- ألا يوجد أحد هنا؟!

ثم أخفض رأسه وحوّل عينيه إلى الإناء الذي حوى أزهاراً ذابلة قد تساقطت
أوراقها على المنضدة الزجاجية..

شهق فجأة وكأنه قد استجمع شيئاً ما في ذاكرته.. وركض مسرعاً نحو إحدى
الغرف..

تبعه «مونتي» مسرعاً وهو يقول بصوت مرتفع شابه الغضب وبعض
القلق:

- «ماريمو».. توقف.. لا تدخل هذا المكان..

قالها وهو لا يعلم ما سبب تلك الكلمات التي خرجت من فمه، وبالكاد
وصلت لأذني «ماريمو» الذي فتح الباب بقوة لتتسع عيناه عن آخرهما لما
رأى..

كانت غرفة نوم خافتة الإضاءة، توسطها سرير لفردين عليه فراش وردي
اللون نُثرت عليه ملابس أنثوية وبجوارها علبة هدايا صغيرة، فض عنها
غلافها الذي استقر بجانبها وقد طُوّق الجزء الفاصل بين الباب والسرير
بأشرطة صفراء وكأنه قد حدثت جريمة في ذلك المكان..

هدأت ملامح «ماريمو» وأزاح تلك الأشرطة الصفراء عن طريقه متجهاً
صوب تلك العلبة.. بينما ظل «مونتي» في حالة صدمة لا يعلم ما سببها
وهو يرتجف خائفاً، ففضّل التراجع وهو يحذر «ماريمو» من التقدم أكثر..
أخذ «ماريمو» يقلب تلك الملابس بين يديه وهو يتفحصها بعينيه، ثم تركها
ونظر إلى العلبة الصغيرة ورفعها بأطراف أصابعه فسقطت منها ورقة
مثنية، نظر إليها باستغراب والتقطها بعد أن ترك العلبة جانبا، وفتحها

ببطء فوجدتها رسالة كُتِبَ فيها بخط جميل سلس:
عزيزي «هنري».. لا أستطيع الصبر حتى أرى النظرة السعيدة على وجهك
وقد علتة الدهشة عندما تُفاجأ بهديتي لك بمناسبة عيد ميلادك السابع
عشر، فقد تناقشت مع طبيب العائلة في إمكانية إعطائك قلبي حتى
تعيش لوقت أطول وتحقق ما تطمح إليه وأرى ابتسامتك على وجهك
الجميل مجدداً.. فقلبي سيظل بداخلك حتى بعد موتي..
عندما تقرأ هذه الرسالة اعلم أنني أينما كنت سأظل أحبك حبا أبدياً..
وأرجو أن تسامحني إكراما لهذا الحب..
والدتك «جولي».

شعر «ماريمو» بأن دقائق قلبه تزداد، مكونة صدى عجيبا داخل نفسه، ثم
تحركت شفتاه قائلاً:

- قلبي هو ما أعطتني إياه «كريسون».. والذي قبله كان قلباً أخضر اللون
وملكاً لشخص لا أعرفه.. والحقيقي كان سيُستبدل بقلب..

ثم صمت، والكلمة ثقيلة على لسانه وكأنها تجر نفسها جراً حتى نطق بها
بشفتين مرتجفتين: «أمي».. أخذ بعدها نفساً عميقاً وكأنه يلتقط أنفاسه
المبعثرة ثم نظر إلى تلك الشرائط الصفراء قائلاً باستغراب:

- كانت ستموت لو أعطتني قلبها.. لكن يبدو أنها قُتلت قبل أن تقوم
بذلك.. فمن قام بقتلها؟! ولماذا فكرت بشيء كهذا؟!

أخفض «مونتي» بصره بقلق قائلاً:

- إنها بالتأكيد لم تفكر بذلك إلا إذا كان هو من طلبه منها.. هل كان
«هنري» شخصاً أنانياً إلى تلك الدرجة؟!

وقعت عينا «ماريمو» على صورة ملقاة على الأرض فانخفض وأخذها ونظر
إليها وارتسمت ملامح الدفء في عينيه.. ثم قال:

- كانت سيدة لطيفة.

كانت الصورة لامرأة في منتصف العقد الثالث من عمرها، لها شعر أشقر كثيف منسدل على كتفيها وعينان واسعتان لامعتان وابتسامة صافية رقيقة رُسمت على شفتيها الورديتين، وهي تحتضن «هنري» بهرح، الذي كان بلا ملامح تُذكر، وقد تعداها طولاً..

رفع «ماريمو» سماعة الهاتف الذي وجده على المنضدة، ولحسن الحظ كان يعمل وقال بصوت ضعيف وجاد:

- بالتأكيد «المفتش جيفري» يعلم شيئاً عمّا حدث..
لم يستطع «مونتي» منعه بل اكتفى بمغادرة الغرفة التي لم يعد يتحمل النظر إليها..

* * *

الجو كئيب كالعادة، رفع السماعة بهلل وهو يعبث في أسنانه بعد أن أنهى وجبته قائلاً: من المتحدث؟!

جاءه صوت «ماريمو» من على الطرف الآخر قائلاً بصوت جاد:
- أريد أن أسألك عن شيء مهم..
وقف «جيفري» من المفاجأة وتلعثمت الكلمات على لسانه قائلاً بارتباك:
- سيد «هنري».. إنه لمن الشرف لي أن أجيبك عن سؤالك سيدي.. فهلا أمرتني بما تريد..

- أريد أن أسألك بشأن والدتي.. ما الذي حدث لها بالضبط؟!
صمت «المفتش» وقد بدا عليه الاستغراب والوجوم ثم رد بصوت هادئ:
- لقد قُتلت قبل سبعة أشهر مضت، والقاتل مجهول.. وطبقاً للتحقيقات ربما تكون قد ماتت منتحرة..

- أين وجدت جثتها؟!
- وجدنا جثتها في أحد الأزقة وقد انتزع قلبها منها بطريقة بشعة.. ظننا أن القاتل من جامعي الأعضاء، لكن ما زال الأمر لغزاً بالنسبة لنا.. فلم

نعرف لماذا ذهبت السيدة إلى ذلك المكان القذر.. فتم غلق القضية على أنها محاولة غير قانونية للتبرع بالقلب، خصوصا بعد علمنا بنيتها لنقل قلبها إليك..

والشيء الغريب هو اختفاء القلب نفسه دون أثر.. فرجّحنا أنها ربما تكون قد أمرت الطبيب المجهول الذي وافق على القيام بتلك الجريمة بأن يخفيه في مكان ما، ولا يكشف عنه حتى تحتاج أنت إليه.. هذا كل ما لديّ سيد «هنري».

اختفى صوت المفتش تدريجيا وهو يغادر سمع «ماريمو» الذي أغلق السماعة.. ثم قال بهدوء:

- لقد ماتت قبل سبعة أشهر.. ومقتولة بسبب مجهول.. هل من الجيد أن أنسى أمرا كهذا الآن؟!

حوّل نظره إلى تلك اللعبة الصغيرة التي كادت تختفي بين طيات الملابس المبعثرة وانتشلها من بينها وفتحها ودُهِش مما وجدته، فقد كان بها حلوى العصا باللون المفضل له.. هل كان «هنري» يحب حلوى العصا أيضا؟ أراد «ماريمو» أن يحررها من غلافها إلا أنه فضل إعادتها إلى اللعبة كما هي وأغلقها على مضض..

قاطع شروده صوت آلي قادم من خلفه وهو يقول:

- مرحبا بعودتك سيدي..

التفت «ماريمو» ليفاجأ برؤية فتاة آلية ترتدي زي الخدم الرسمي، تبدو وكأنها من البشر، لكنها كانت تتصرف كإنسان آلي..

رد «ماريمو» قائلاً باستغراب:

- من أنت؟!

بدا عليها الاستياء ورفعت يدها الحديدية قائلة بعتاب:

- لقد حاولوا محو ذاكرتي.. ولم أكن أتوقع أن يمسحوا ذاكرتك أنت أيضا..

أنا أدعى «مامي».

حرك «ماريمو» شففيه قائلاً بتهجّ:

- مـ. ا.. مي! ماذا يعني؟!

رفعت «مامي» المستاءة إحدى يديها وهي تقول بلهجة صارمة:

- أنا مربيتك؛ لذا يجب أن تدعوني «مامي» وتطيع الأوامر.. كما أنه غير مسموح بتربية الحيوانات الأليفة..

تمتم «مونتي» بضيق ثم قال بسخرية:

- تذكرت هذه الآلة.. لطالما أمسكتني بهذه الطريقة.. حتى عندما كنت إنسانا..

أشارت إلى «ماريمو» بقوة وهي تقول:

- تم الانتهاء من تنظيف المنزل وتنسيق الأزهار وحن وقت ترتيبك..
الشعر.. الشعر.. يبدو مزرياً.. مزرياً..

كررت الآلة الكلمة الأخيرة عدة مرات وارتخت أجهزتها الداخلية عن العمل..

ضحك «مونتي» بخبث وهو يحمل أحد الأسلاك بين أسنانه قائلاً:

- إلا أنني سوف أنهي عملها قبل أن تبدأ به..

نظر «فرانس» إلى تلك الآلة الجميلة وقد بدت شاحبة، فهرع إليها وأحاط
خصرها قائلاً بلهجة مؤثرة:

- هل رفضك ذلك الأحمق الأخضر؟ يمكنني إعطاؤك حبي الأبدي কিفما
شئت..

صرخ «ماكس» من خلفه وهو يقول بغضب:

- أيها الأناني.. دع لي فتاة واحدة..

تركها «فرانس» لتسقط أرضاً محدثة صوتاً مدوياً، قائلاً بسخرية:

- هي لك.. لقد كنت أتدرب عليها لأرى إن كان سحري...

بُذرت كلماته عندما رأى «ماريمو» الذي أغلق باب الغرفة من خلفه وقد تغيرت ملامحه وأصبحت مظلمة تحت شعره الكثيف..

أقبلت «كريمسون» وهي تحمل عدة أكواب من القهوة التي ملأت المكان برائحها المنعشة قائلة بهدوء:

- لقد بحثت في المطبخ حتى عرفت طريق القهوة.. هل كان يعيش معك أحد آخر هنا؟!

رفع «ماريمو» عينيه الحائرتين إلى «كريمسون» التي استغربت نظراته التائهة والتي تهربت منها دون أن تعرف السبب، فوقع نظرها على تلك الإنسانية الآلية، فقالت بانبهار:

- هكذا إذًا.. يبدو أنها كانت تعمل في البيت وحدها طيلة غيابك.. من النادر أن نرى شيئًا متطورًا هكذا غير الأسلحة البشرية..

مكث «ماكس» يحصي عدد الأكواب بغباء واضح وهو يعيد ويكرر العد ثم حك شعره قائلاً:

- لقد نسيت شخصًا..

ابتسم «مونتي» بسرور قائلاً في نفسه:

- جيد.. تطور ملحوظ؛ فقد بدأوا يهتمون لأمرى.

أزاح سحابة أمنيته الوردية قول «كريمسون»:

- لقد ذهب «كلاود» إلى مقرنا لبحث عن شيء ما هناك.. وسيعود غدا..

قال «ماريمو» باهتمام واضح:

- أتقصدون أنه لن يأتي معنا إلى المدرسة؟

ابتسمت «كريمسون» وهي تقول بقلق مُزج بالارتباك:

- في الحقيقة كان متحمسًا للذهاب دون أن يُظهر ذلك.. وأنا كذلك.. فقد تركت الدراسة منذ مدة.. ولا أذكر السبب.

ارتسمت السعادة الغامرة على وجه «ماريمو» الذي رفع يديه قائلاً بصوت

مرتفع: رائع.. غدا سيكون يومنا الأول بالمدرسة.. واليوم الأول لمنظمتنا الجديدة.. ومقرنا الجديد..

* * *

هب هواء بارد تسلل بين خصلات شعره الذهبي، ليحرك تلك الستائر الخفيفة من حوله.. ويرسم دوائر في كوب العصير الذي يحمله بين يديه، وهو يثني ساعده على ذراع الكرسي محدقا إلى السماء وقد انعكس ضوء القمر على قناعه الذي بدا قاسيا بالنسبة لمرونة تلك الزخارف الاحترافية المرسومة عليه.

جاء من خلفه صوت الخادم «باركر» وهو يقول بصوته الحاني:

- يبدو أن ابن عائلة «سامون» قد عاد لبيته..

كان السيد «ون» يحدق في قصر عائلة «سامون» المضاء، الذي يقع في مكان ليس ببعيد عنه.. وقال بهدوء:

- هل سيقبل بماضيه؟! هذا هو السؤال..

ظل الخادم «باركر» صامتا.. التفت إليه السيد «ون» ليعثر الهواء شعره الذهبي قائلاً بصوته الجاد الرخيم:

- من النادر أن يستحق شخص فرصة ثانية.. لكنني سأعطيه هذه الفرصة.. فقط هذه المرة..

شد قبضته على الكأس ثم أرخاها، فتناثر الكأس كحبيبات رمل لامعة طارت مع نسيمات الهواء نحو السماء المظلمة..

* * *

- سقط قلم حبرها الثقيل على أوراق دفتريها الناعمة وهو يلمع تحت بوادر شروق الشمس التي تسلفت خيوطها من بين قماش الستارة البيضاء الخفيفة.. أطلقت تنهيدة معلنة إنهاء كتابة ما حدث معها بالأمس من أمور روتينية معهودة.. رفعت خصلات شعرها الأسود القصير لتلفها خلف أذنها التي احمر طرفها من البرد..

نهضت من كرسيها الذي تربع في وسط الفصل الخالي من أي طالب؛ فمن عاداتها الحضور مبكرا لتنظيم الفصل..

أمسكت بالستائر المتطايرة بسبب الهواء البارد ونظرت إلى الثلوج البيضاء في الخارج والتي كادت تضاهيها بياضا..

ارتسمت على شفثيها ابتسامة مفعمة بالمرح ثم أغلقت النافذة.. وضغطت مقبس جهاز التدفئة المركزي ليعم دفؤه جميع جوانب مدرسة أنجلوس الثانوية..

جلس «فرانس» على طرف طاولة الطعام الضخمة وجلس «ماكس» على الطرف المقابل له عند آخرها وهو يلوح له بصوت عالٍ قائلاً:

- هل تسمعي؟!

دخل «ماريمو» بصحبة «مونتي» وبدأ عليه النشاط والتأهب وقد ارتدى زيه المدرسي المكون من بنطال بني اللون وسترة بلون أفتح ورابطة عنق حمراء مرتخية، وقد فتح مقدمة قميصه الأبيض..

عبر «فرانس» عن إعجابه بشكل «ماريمو» الجديد والرسمي، قائلاً بحماسة: - رائع.. لو كنت فتاة لوقعحت في حبك من أول نظرة.. على الرغم من لون شعرك هذا..

حرّك «ماريمو» شعره وهو يقول بهلل:

- أليس من المفترض أن نذهب إلى المدرسة الآن؟! وأين زيكما؟! لماذا لا ترنديانه؟!

كان «فرانس» يرتدي بنطالا فقط! أما «ماكس» فكان يرتدي قميصا أصفر أكبر منه بمرتين وكذلك الحال مع بنطاله..

نظر «فرانس» إلى «ماكس» ثم لوح إليه قائلاً بسخرية وصوت عالٍ:

- هل لديك زي مدرسة؟!

هز «ماكس» قميصه بيديه معبرا عن أنه الوحيد..

أشاح «مونتي» برأسه قائلاً بسخرية:

- حمقى.. إنه مجرد زي كان بإمكانكما سرقة بسهولة..

ثم تلعثم تحت نظرات «فرانس» التي تسلحت بالخبث وهو يقول:

- وأنت، ألن ترتدي شيئا يقيك من البرد؟!

فثار «مونتي» بعدما أدرك المعنى المختبئ خلف تلك الجملة قائلاً بحنق:

- لا شأن لك بي.. فأنا مجرد قط حاليا..

بتر حوارهما دخول «كريمسون» وهي تحمل الإفطار مرتدية زيا مدرسيا عبارة عن تنورة قصيرة زرقاء وقميص أبيض ورابطة عنق حمراء.

فوجئ «فرانس» و«ماكس» بمظهرها الجديد، فقاما بتقليد عواء الذئاب في وجه القمر معبرين عن الإعجاب الشديد وهما يصرخان قائلين:

- «كريمسون» ترتدي تنورة.. هذه هي المرة الأولى.. تحيا الأنوثة..

وضعت الإفطار ببرود على الطاولة، وسحبت كرسيها من خلفها لتجلس..

وقد رتبت شعرها بتناسق وزينتته بشريط أبيض.. وأخذت توزع الشطائر وأكواب الحليب وهي تقول بهدوء: كنت أحتفظ بملابسي الخاصة بالمدرسة وقد جاء وقت ارتدائها..

- لاحظ «فرانس» يدها المرتجفة وهي تضع أكواب الحليب الدافئة، فقال في نفسه بتهيدة عميقة:

لست المرتبك الوحيد هنا.. فجميعنا مجرد مجموعة من المشردين..

وسندخل عالم الأثرياء لأول مرة، ثم نظر إلى «ماريمو» الذي كان يضع

حلوى العصا في فمه باستمتاع وهو يفكر حائراً:
هو الوحيد الذي كان ينتمي إليهم، قبل أن يصبح سلاحاً بشرياً أخضر
الشعر.

* * *

ذلك بيده الممتلئة جبينه بضيق محاولاً تخفيف ألم صداعه المزمن.. ثم رفع
رأسه وصاح قائلاً:

- أيها الشرطي.. أريد «مسكناً للصداع» حالاً!
ضرب بيده على مكتبه الخشبي ثم ألقي برأسه إلى الخلف على كرسية
الجلدي الأسود قائلاً:

- لِمَ يسألني السيد «هنري» عن شيء كهذا؟! لقد حضر تفاصيل التحقيق
في مقتل والدته بالكامل!

أغمض عينيه الغائرتين بتفكير عميق ثم تحركت شفتاه قائلاً:
- ليس هذا فحسب.. بل ولماذا جعل من نفسه سلاحاً؟!
استيقظ من ذلك التفكير وهز رأسه بعنف ووضع بين كفيه وضغط بهما
بقوة عليه وهو يقول بضيق:
- لا شأن لي.. إنه من طبقة ثرية جداً ويمكنه أن يدفع ليحصل على ما
يشاء.. لكن لماذا لا أستطيع إخراجه من دائرة تفكيري؟!

* * *

وقف الأربعة أمام مدخل مدرسة أنجلوس العليا.. التي زُرعت على جانبي
مدخلها أشجار الكرز وقد تناثرت أوراق من الأزهار الوردية على ساحة
فنائها الخارجي.. كانت ذات تصميم جميل ومنظم..

ارتجف «ماكس» وأخذ يضحك مخفياً ذلك الارتباك بداخله قائلاً:
- اللعنة يا رجل.. هل سأدخل مدرسة المتغطرسين هذه.. فأنا مجرد مشرد

وضيع؟!

فجأة تلقى لكمة قوية على وجهه كادت تفقده أسنانه التي نزت بشدة، وارتطم بعدها بالجدار من خلفه وهو يمسك فمه بألم..

جاءه بعدها صوت أحدهم وهو يقول بلهجة عنيفة:

- أنتم.. ما الذي أقي بكم إلى هنا.. يا أبناء المتبجحين؟!

التفت «فرانس» بنظرات حادة خلفه ليرى مجموعة من الطلبة يصل عددهم إلى ثمانية ويبدو أنهم أكبر منهم في العمر قليلا، أي أنهم في السنة النهائية وقد حملوا في أيديهم بعض العصي والسلاسل، وكانت نيتهم الخبيثة مرسومة على وجوههم.

أمسك أوسطهم يده التي ضرب بها «ماكس» قائلاً بضحكة ساخرة:

- وجهك قاسٍ جدا.. أيها الطفل القصير..

نهض «ماكس» بسرعة وهو يمسح الدم عن فمه بطرف قميصه وظل يلهث وهو يقول بصوت مرتفع:

- ماذا دهاك يا رجل؟! ألا تستطيع التمييز؟ ألا ترى أنني لست من أبناء الأثرياء المدللين مثلك؟! سأركلك لتفهم!

قالها وهو يشير إلى عقله بقوة.. لكنه بعد لحظات من تأمل وجوههم الصلبة، تراجع وهو يقول بصوت خافت:

- أنا آسف.. فقط دعونا وشأننا.. لقد جئنا لندرس..

ارتسمت ضحكة ساخرة على فم الشاب سرعان ما اختلطت معالمها بقبضة عنيفة سحقت وجهه..

تراجع الشاب بضغ خطوات وهو ممسك بفمه وقد علتة الدهشة.. والدما تسيل من بين أصابعه..

أخفضت «كريسون» قبضتها التي تلطخت بالدماء وهي تنظر إليه نظرات قاتلة.. ثم قالت بهدوء:

- لا تكرر ما فعلته مرة أخرى أبداً، وإلا سأسحقكم جميعاً.
أرعى «ماريهو» رابطة عنقه وزم شففيه على تلك الحلوى بجدية.. ومسح
«فرانس» على شعره وهو ينظر إليهم باستعلاء.

* * *

فتح باب الفصل بقوة وهو يعدل نظارته المنزقة.. ولم يترك لنفسه مجالاً
ليلتقط أنفاسه من شدة الحماس:
- لقد تم أخيراً التخلص من عصابة الملاعين إلى الأبد؛ فقد جاء من هو أقوى
منهم، ثلاثة أولاد وفتاة، يبدو أنهم الطلاب الجدد..
علت الأصوات المختلطة بين مصدق ومشجع ومكذب.. وتوالى إلقاء الأشياء
في الهواء تعبيراً عن الابتهاج بالخبر..
رفعت رأسها ليتحرك شعرها الأسود الفاحم من حول وجهها المستدير
الطفولي وهي ترمق ذلك الفتى ذا النظارة بدهشة وهو يشرح تفاصيل
المعركة التي حدثت أمام بوابة المدرسة بحماسة كبيرة..
عانقتها صديقتها من الخلف وهي تقول بسعادة:
- رائع «أنجيلا».. لن يتعرض لنا أحد بعد الآن..
التفتت بهدوء إلى صديقتها «كيومي» ذات الأصل الياباني، التي كانت
تضحك بسعادة وقالت بهدوء:
- هذا مطمئن..
قالتها بابتسامة هادئة وصوت رقيق رنان..
انتفضت «كيومي» واقفة وهي تقول:
- باردة كالعادة.. لنذهب ونرَ من هم أولئك الطلاب الجدد.
هزت «أنجيلا» رأسها نافية، ثم ابتسمت وقالت: اذهبي أنتِ، يجب أن
أقرأ الدرس المقبل..

عدّلت «كيومي» شعرها المصبوغ باللون الأحمر المتوهج وهي تتفحص مشابكها وقد غرقت في أحلامها قائلة:

- إنهم طلاب جدد.. هل تظنين أن أحدهم سيهب لإنقاذي ويضربهم من أجلي؟ ثم ضحكت وهي تضم نفسها وتدور حولها بهرح قائلة:
- ستكون قصة رومانسية حاملة..

قاطع تلك الأحلام صوت صراخ الشاب ذي النظارة وهو يقول بقلق كبير:
- المصيبة الكبرى أنهم الآن أمام المدير.
وجم الجميع لمعرفتهم ماذا تعني مقابلة المدير من اليوم الدراسي الأول.
- إنه شخص أحمق..

قالها «فرانس» بصوت هامس وهو يشيح بوجهه عن نظرات المدير التي ظلت ترمق حالتهم المزرية وملابسهم الممزقة والدماء التي تلوّثها، ثم أطلق تنهيدة طويلة خيّل إلى «ماكس» أنها لن تنتهي.. وشبك بين أصابعه قائلاً بصوت عميق:

- هل أعتبر هذا التصرف شهادة ليتم قبولكم هنا؟!

ضرب «فرانس» صدر «ماريمو» بظاهر كفه وقال بلهجة ساخرة:
- إنه أحد أفراد عائلة «سايمون»..

نظر المدير إليهم للحظات ثم سحب الملفات من فوق الرفوف الجانبية ووضعها أمامه وهو يتفحصها قائلاً:

- لا يوجد في هذه المدرسة فرق بين طالب وآخر؛ فالجميع هنا سواء في احترام القواعد والنظام..

غضب «فرانس» لما سمعه وكظم غيظه، بينما ظهرت الراحة على وجه «ماريمو» الذي حنى رأسه قائلاً باحترام:

- آسف سيدي.. لن نكررها ثانية.. أرجو أن تسمح لنا باستكمال دراستنا هنا و...

بتر كلماته صوت المدير الذي أزاح نظارته عن عينيه وهو يدقق النظر قائلاً بذهول:

- أحقا أنت «هنري سايمون»؟!

أخذ ينظر إلى «ماريمو» ذي الشعر الأخضر والوشم المبالغ فيه.. ثم نظر إلى الملف وهو يتذكر «هنري» ذلك الفتى المرتب الهادئ.

ثم قال بعدها في نفسه: غياب ستة أشهر، ومقتل والدته بتلك الطريقة البشعة.. لا بد أن الصدمة أحدثت به هذه التغيرات..

ألقي المدير بالملف على مكتبه وأشار إلى «ماريمو» قائلاً بابتسامة أبوية:

- «هنري».. لقد كنت من أفضل الطلاب ورفعت اسم المدرسة لعدة مرات.. فأرجو أن تحافظ على هذا المستوى دائماً يا بني.

هز «ماريمو» رأسه بثقة وقال بصوت بالكاد خرج من حنجرتة:

- سوف تفخر بنا..

كتم «فرانس» ضحكته.. بينما قام «ماكس» بكبتها بصعوبة.. وظلت «كريسون» هادئة وهي تمسك بكفها.

أشار المدير بيده قائلاً بابتسامة عريضة:

- ستجدون الملابس المدرسية الرسمية في الغرفة المجاورة.. اذهبوا لاستبدال ملابسكم، وسوف أقوم باستكمال إجراءات التسجيل بالمدرسة.

ظل «مونتني» في خزانة «ماريمو» الذي أغلقها بسرعة ليخفي صوت صراخه وهو يقول:

- كيف تجرؤ على حبسي طيلة سبع ساعات؟!

رد «ماريمو» قائلاً وهو يضحك:

- سأجلب لك التونة في وقت الاستراحة.. فاستمتع بمنزلك الجديد..

توالت طرقات «مونتني» المعترضة وهو يصرخ مطالباً «ماريمو» بأن يخرج..

خرج «فرانس» وهو ينظر إلى قميصه الضيق على جسده ويقول بتفاخر:

- انظر.. عضلات بارزة وخصر طويل.. حقا جسد رياضي..
- خرج «ماكس» وهو غارق في ثيابه قائلاً بامتعاض:
- لم أجد أصغر منها.. أليس هناك حقوق لقصيري القامة؟!

* * *

- نظر «فرانس» نحو «كريمسون» التي كانت هادئة وهي تحاول إخفاء ارتباكها وقال بصوت هادئ:
- لا تقلقي، سنكون معا في صف واحد..
 - انتبهت «كريمسون» لما يقوله ثم قالت بصوت متردد:
 - أشعر أننا...
 - صمتوا جميعا انتظارا لما ستقوله..
 - رفعت رأسها قائلة بابتسامة مفعمة بالسعادة:
 - قمنا بخطوة جيدة يا رفاق.. فلندعم بعضنا البعض فيها..
 - مسح «فرانس» دمعة من طرف عينه وهو يقول بتصنع:
 - إنك ملاك..
 - بينما كتم «ماكس» عبراته القوية مانعا نفسه من البكاء.. وظل «ماريمو» ينظر إليهم مبتسما، ثم انتبه قائلاً:
 - أين «كلاود»؟!
 - صاح أحد الطلبة وهو يهتف في ممرات المدرسة قائلاً:
 - لقد عاد «هنري ساميون» إلى المدرسة.. وقد تبدل بشكل عجيب.. وهو من لقن أولئك الأوغاد درسا..
 - صُعق الجميع بما سمعوا، ولفتهم موجة من الحيرة.. ثم ضجوا بالأسئلة لمعرفة أين هو.. وتدافع بعضهم خارج الصف لرؤيته، وقد ارتسمت على وجوههم الدهشة حين رأوا الشخص القادم..

اتسعت حدقتها ولمعت عيناها السماويتان المذهولتان بالدموع التي انسابت على وجنتيها، ثم نهضت من على كرسيها بسرعة، وسط حيرة «كيومي» التي بترت ما كانت تقوله لها بتعجب..

جرت «أنجيلا» بكل ما لديها من قوة وقد تناثرت دموعها إلى جانب شعرها المتطاير، وهي تقول في نفسها بأسى:
- ما كان عليك أن تعود.. يجب أن تكون...

فجأة اصطدمت بشخص ما، فتشبثت بسترته حتى لا تسقط أرضاً. أغمضت عينيها الدامعتين واتكأت برأسها على صدره وما لبثت أن قالت في نفسها بحزن كئيب:

- ما هذا؟ رائحة حلوى!

أطل «فرانس» ليرى ذلك المشهد العجيب فصاح قائلاً بانفعال:

- «ماريمو».. كم أحسذك.. لديك فتاة تستقبلك..

نظر «ماريمو» إلى حيث ظلت تلك الفتاة ممسكة به.. فداعب شعرها القصير بأصابعه وهو يبتسم قائلاً:

- أريد الدخول إلى الفصل.. هلا سمحت لي..

اتسعت عيناها لسماع ذلك الصوت، وكأنها استيقظت من سبات عميق على كابوس مفرع.. تراجعت إلى الخلف بسرعة وقد شحب وجهها حتى استحال لونه إلى الصفار وانحنت بعدها قائلة:

- آسفة سيد «هنري».. لقد...

رفعت عينيها فصُعقت ولم تستطع إخفاء دهشتها.. شعر أخضر ووشم مبالغ فيه.. وكدمات..

وقف الفصل في حالة جمود، واحمرت وجنتا «كيومي» وهي تنظر إلى القادمين الجدد بتأثر وسعادة..

نهض الطلاب بشكل عشوائي لتحية «ماريمو» قائلين بأصوات متداخلة:

- مرحبا بعودتك «هنري».. لقد قلقنا عليك..
مد «ماريمو» يده وهو يقول بلهجة عصابات الشوارع:
- مرحبا يا رجال.. بالتأكيد مر وقت طويل.. لا تقلقوا لقد تم سحقهم..
ظلت «أنجيلا» شاحبة الوجه ثم أطرقت برأسها قائلة بهدوء:
- تفضل، لم يجلس مكانك أحد بعد..
نظر إليها «ماريمو» وأطال النظر وقد سرح به التفكير في هيئتها التي مثلت
له الكثير من المعاني.. ثم قال:
- وأين هذا المكان؟!
خرجت من بعض زملائهم أصوات ضحكات مكتومة وهم يتهايمسون
قائلين:
- لم يتغير من هذه الناحية.. فما زال فظاً معها..
عقدت حاجبها وابتسمت مرغمة وهي تشير بيدها قائلة:
- إلى جوار النافذة.. كما كنت تحب أن تجلس دوما..
مشى «ماريمو» بمحاذاتها متجها إلى مكانه بينما ضمت كفيها بتوتر..
لاحظت «كريمسون» ذلك ففضلت تجاهل الأمر واتجهت نحو مكان خالٍ
بالقرب من «ماريمو» والبقية..
ركضت «أنجيلا» خارج الصف بسرعة فصاحت «كيومي» وهي تشير بيدها
قائلة بقلق:
- «أنجيلا».. انتظري..
فتحت «كيومي» باب حمام البنات وقد ارتسمت على ملامحها علامات
قلق شديد.. وقالت بهمس:
- تمالكي نفسك قليلا..
أجهشت «أنجيلا» بالبكاء وهي تضع يدها على فمها لتكتم صوت بكائها
وتمسح دموعها بالأخرى..

وضعت «كيومي» يدها على كتفها مواسية وهي تقول بصوت منخفض:
- مرت سنة كاملة منذ تلك الحادثة فانسي الأمر.. من الطبيعي أن يعود
بعد اختفائه فهو لم يُت..

مدت يدها نحو الجدار ليخرج منه صنبور المياه الذي بلل يديها لتغسل
عنها الدموع المألحة..

ثم مسحت بالماء على وجهها المحمر وتمنت لو مسح الماء ما في قلبها الذي
أثقلته الهموم..

انكمش الصنبور عائدا إلى وضعه السابق.. ابتسمت ابتسامتها الهادئة
قائلة بنوع من الأمل:

- لا بأس.. فلقد فاجأتني عودته.. وشعرت بالاستياء قليلا.. لا تقلقي فأنا
معتادة على تحمله..

قدمت لها «كيومي» مندليها وهي تبتسم بسعادة.. ثم قالت بخجل:
- ذلك الشاب ذو الشعر الأبيض يبدو رائعا.. و«هنري» ازداد جاذبية بذلك
الوشم.. أنا أعشق ذلك الشكل من الوشم.

أخذت «أنجيلا» تمسح وجهها ثم قالت ضاحكة:

- لقد كنت أفضل شكل «هنري» السابق..

أنزلت المنديل من يدها وهي تقول بشرود أخفى ابتسامتها:

- في الحقيقة لم أكن أفضله أبدا.. ولا أجرو على ذلك..

ضربتها «كيومي» على كتفها وقالت بهرح:

- سأعود إلى الفصل قبل أن يحضر المعلم..

توالت صرخات الفتيات وهمساتهن وهن يفسحن الطريق في الممر لذلك
الشاب صاحب الطول الفارع والشعر «الذهبي» المنسدل الذي تقسمت
خصلاته لتعجب عينيه اللامعتين بلون الفيروز النقي وقسمات وجهه
الدقيقة وقد ارتدى زي المدرسة الرسمي الذي زادت ألوانه من وسامته

وكانه حيك لأجله فقط.

توقف عن السير وهمس قائلاً لإحدى الفتيات:

- أين أجد القاعة التي يدرس بها «هنري سامون»..

تلعثمت الفتاة أمام وسامة «كلاود» الشديدة، ولم تحتمل نظره الباردة،

فأشاحت بوجهها المحمر قائلة بارتباك:

- إنه في آخر هذا الممر.. القاعة الثالثة..

شكرها بصوته الهادئ متجها إلى آخر الممر، بينما أخذت الفتيات في التهام

تلك الفتاة بالأسئلة عمّا دار بينهما..

فتحت باب الفصل وأطلت برأسها بارتباك؛ فقد كان الفصل هادئاً وخيلاً

لها أن المعلم قد بدأ الدرس..

دخلت «أنجيلا» وهي تجول بنظراتها الحائرة في الوجوه من حولها؛ فقد كانت

شاحبة، خاصة وجوه الفتيات..

وهنا رأت طالبا جديدا ذا شعر ذهبي يجلس خلف «ماريمو» وهو يتفحص

كتبا معه.. بينما انشغل «ماريمو» والبقية بالحديث..

أشارت لها «كيومي» لتذهب إليها دون أن تصدر صوتا.. ذهبت «أنجيلا»

وعلى وجهها علامات الاستفهام..

شدتها «كيومي» من كتفها لتجلس وهمست في أذنها قائلة بحنق:

- ذلك الشاب يُدعى «كلاود».

قطبت «أنجيلا» حاجبيها وردت باستغراب:

- وماذا في الأمر؟!

كتمت «كيومي» غيظها وقد احمرت وجنتاها وهي تقول:

- ألا ترين كم هو وسيم؟ أتعلمين ما قاله حين أبدت الفتيات إعجابهن به

ودعوته إلى الجلوس بجانبهن؟

صمتت «أنجيلا» قليلا ثم همهمت وكأنها تحثها على الحديث..

فأكملت قائلة بغضب متأجج تقليدا لصوته بسخرية:
- عذرا.. لا أجلس بجوار الساذجات ذوات الفكر السطحي.. فلديّ ما أهتم به..

ثم انتفضت برعب وهي تسترسل قائلة:
- وكأنه يتحدث عن حشرات.. لو رأيت نظرة عينيه لحظتها لتجمدت أوصالك من برودته..

لقد هدأ الفصل فور أن بدأ بفتح كتاب ليقراه..
ابتسمت «أنجيلا» وكأنها تسخر من القدر ثم نظرت خلفها بخفية؛ حيث كان «ماريو» يجلس على الطاولة وهو يتبادل الضحكات مع «فرانس» و«ماكس».. ثم وقعت عيناها على «كريمسون» التي كانت جالسة دون أن يبدو على وجهها أي تعبير، لكنها أشاحت بوجهها عنها قائلة في نفسها:
- هل يعقل أن يكون الإنسان الذي يجلس خلفي مباشرة هو «هنري سامون»؟! وأي نوع من الرفاق أصبح لديه؟! لقد كان يفضل الوحدة فيما مضى..

قطع تفكيرها دخول معلم مادة الفنون الذي حيّاهم قائلاً:
- صباح الخير.. من المؤسف قول هذا، لكن الأستاذ «جون» مريض، وسأعطيكم الحصة بدلا عنه، فأرجو أن تحافظوا على الهدوء..
ضحك «فرانس» ضحكة خافتة قائلاً:

- هذا مبشر..
ثم استرسل الأستاذ قائلاً:

- سأستفيد بهذا الوقت لاستكمال الأعمال الفنية التي قام بها الموهوبون في مادة الرسم..

قامت «أنجيلا» من كرسيها وهي تحمل لوحة بين يديها ثم قالت:
- لقد أنهيت لوحتي بالأمس، أرجو من حضرتك تقييمها..

أخذ اللوحة من يدها ونظر إلى تفاصيلها بإعجاب شديد.. كانت اللوحة عبارة عن تفاعلة حمراء وحيدة على خلفية صفراء متموجة..
قام برفعها باتجاه الشمس وهو يقول بتأمل:
- تبدو رائعة، إلا أن اللون الأصفر أفسدها بعض الشيء.. لو كان «هنري» هنا كنا تحاورنا حولها معه..
نظرت «أنجيلا» إلى الأرض باستياء ثم قالت بصوت هادئ:
- لقد عاد اليوم إلى المدرسة ليبدأ دراسته من جديد..
كادت تنظر إلى «ماريو»، لكنها فضلت أن تشيح بوجهها عنه، حوّل المعلم نظراته إلى حيث مكان «هنري» السابق ففوجئ برؤيته وقد تغير تغيرا جذريا.. فقال بانبهار وسرور كبيرين:
- سيد الفن العظيم.. سُدعت حقا برجوعك.. أمل أن تكون بخير..
أجاب «ماريو» بحماسة:
- أنا بخير.. ومتحمس حقا لأرسم لوحة مثل لوحة «أنجيلا»؛ فهي جميلة وأعجبتني..
صُدمت «أنجيلا» بتلك العبارة التي جعلت قلبها ينبض بشدة.. واختفى من ذهنها صوته وهو يناقش المعلم وبقيت صورته ضابية.. همست في نفسها بصوت عميق متردد:
- هل يحاول السخرية مني؟! لكنه هذه المرة يبتسم بروح نقية وصافية..
ارتخت اللوحة بين يديها وقد غشاها الحزن وأصبحت ملامحها يائسة..
وارتجفت شفتاها وهي تحاول كتم عبارتها، لكن الكلمات خرجت منها قائلة:
- هذا لن يغير شيئا مما حصل؛ فأختي قُتلت منذ عام.. والقاتل مجهول..
وأنا أجزم أنه أنت..

* * *

دخلت «كريمسون» إلى منزل «ماريمو» في المساء وهي تحمل بعض المشتريات بين يديها..

فوجئت بوجود «مونتي» مستلقيا على الأريكة وهو يتابع برامج التلفزيون ذي الشاشة الضخمة رباعية الأبعاد يملل فسألته قائلة:
- من النادر ألا تكون معه..

نظر إليها وألقى بجهاز التحكم على تلك الأريكة البيضاء قائلاً بحنق:
- لقد قابل وجوها كثيرة لم أقابلها معه.. وهذا يجعلنا نفرق.. كان يجب أن نتذكر الماضي معا!

ابتسمت «كريمسون» وهي تقول ضاحكة:
- من الطبيعي أن يحارب الإنسان نفسه أحيانا.. كما أنه متعب قليلا؛ فهذا أول يوم مدرسي، حتى «فرانس» و«ماكس» قد ناما نوما عميقا.. وذهب «كلاود» إلى منزله حتى يستريح..

شدت جملتها الأخيرة انتباه «مونتي» الذي اعتدل جالسا قائلاً بشيء من الاهتمام:

- أين يعيش «كلاود»؟! من الواضح أنه من علية القوم؛ فملابسه فائقة الجودة..

رفعت «كريمسون» عينيها مندهشة ثم قالت بلا مبالاة:
- لكل منا سره الخاص.. ولا يتحدث أي منا عن سره للآخرين؛ لأن علاقتنا بُنيت على المصلحة المشتركة فقط..

ثم غيّرت مجرى الحديث قائلة بشيء من الحماس:
- سأعد اليوم طعاما مميزا؛ فالجميع يحتاجون إلى طعام جيد بعد هذا اليوم الطو...

قاطعها صوت «ماريمو» الذي جاء من آخر الصالة قائلاً بلهجة جادة:
- «كريمسون».. «مونتي».. هناك ما أود أن أطلعكما عليه.. هلا حضرتما

رجاءً..

رفعت «كريمسون» عينيها الحائرتين إلى حيث يقف وتنطق ملامحه بالقلق..

تحرك أحد جدران غرفة «ماريمو» ليفتح على غرفة أخرى، بينما ظل يتحدث قائلاً:

- لقد حيرتني تلك الأرقام الموجودة خلف المكتبة، وقد فكرت أنني إذا اكتشفت طريقة عملها فقد تقودني إلى شيء، فضغطتها وكأني أعرف ترتيب الأرقام جيداً.. وهذا ما عثرت عليه..

اتسعت عينا «كريمسون» من الدهشة وهي تجول بعينيها في ذلك المكان ذي الإضاءة الحمراء، كانت غرفة واسعة تحتوي على الكثير من اللوحات الزيتية كبيرة الحجم معلقة بواسطة حبال متدلية من السقف، وقد تناثرت الألوان وأدوات الرسم على الأرضية البيضاء..

مشى «كريمسون» بضع خطوات إلى الداخل وأخذت تنتقل بين اللوحات، وتنتظر إليها بشيء من الدهشة والاستنكار؛ فقد كان محتواها مخيفاً ومؤملاً في الوقت نفسه، فقد كانت أغلبيتها تحوي شخصاً ذا شعر أسود يجرح نفسه بالأمواس وهو يبكي.. وأخرى وهو يدخل سكيناً في عينيه.. ولوحة وقد لف حبلًا على معصميه..

كما كانت هناك لوحة للطفل لنفسه وهو يبكي ويصرخ في حجرة مظلمة وقبضة يد قوية متحجرة كانت تمسك بحبل التف حول عنقه الملتوي.. همست «كريمسون» قائلة:

- لا بد من أنه مرسمك الخاص.. فقد كنت فنانا كما أخبرك المعلم اليوم، لكن تلك اللوحات...

ظلت تحدث إلى واحدة منها وقد تبدلت ملامحها للاستنكار والحيرة.. أشار «مونتي» إلى علب الألوان المتناثرة وبعض القناني الزجاجية قائلاً

باستغراب شابه القلق:

- لاحظت أنه لا يوجد لون أحمر بين الألوان.. على الرغم من أن لوحاته تحتوي على الدم والتعذيب..

ذهلت «كريمسون» لتلك الحقيقة فقربت أنفها من اللوحة ثم قالت بعدها باندهاش:

- غير معقول.. إنه يستخدم دماً بدلاً من اللون الأحمر.. هل كان يحاول قتل نفسه؟!

نظرت إلى لوحة أخرى؛ حيث رُسم رجل عجوز يمد يده للطفل وكأنه يدعوه إلى مكان ما، وهذه هي اللوحة الوحيدة الخالية من الدماء..

حوّلت عينها إلى «ماريو» الذي ظل واقفاً أمام لوحة تعد من أضخم اللوحات وقد رسمت على ملامحه حالة من الخوف الشديد..

فاقتربت منه لتفاجأ برؤية محتوى اللوحة؛ حيث كانت لفاتة بيضاء ذات شعر أسود وقد شُنقت بحبل معلق على حلوى العصا السوداء، وقد احتوت خلفيتها على الكثير من قطع الحلوى المظلمة.. وقمر كبير نوره خافت غطته سحب من الضباب بشكل مربع.. وقد سال دم حقيقي من فمها وعنقها..

تلمّس «ماريو» وجهها الشاحب الذي اختفت ملامحه بأطراف أصابعه المرتجفة وتعالّت أنفاسه قائلاً:

- إنها «جولي».. لقد ماتت بسببي..

صمتت «كريمسون» تحت وقع الصدمة ثم قالت بهمس:

- ما الذي حدث بينكما؟! أتذكر ذلك؟

أخفض «ماريو» رأسه باستياء وغطت خصلات شعره ملامحه الغامضة وظل صامتاً..

أشاح «مونتي» بوجهه وكأنه أدرك ما حدث بالضبط..

ظل ممسكا بعلبة البيبسي الباردة وهو يجلس بهدوء في الفناء الخلفي للمدرسة؛ حيث غطت الثلوج البيضاء جزءا من المكان واعتلت أغصان الأشجار الشائكة..

* * *

أخفض عينيه لتقعا على الوشم الذي على صدره وكفه، كان الثلج ينزلق من على رأسه واقعا على شعر القط الأسود.. ظل «مونتي» يرتجف وهو بين فخذي «ماريمو» قائلاً بتعجب وسخرية:

- أهذه المرة الأولى التي ترى فيها وشمك؟! لقد ألقيت بالثلج عليّ!

همهم «ماريمو» ثم أطال الصمت وهو يتأمل «مونتي» ثم قال:

- ربما لم أر نفسي بعد.. فمن هو «هنري سامون» بالضبط؟! أتعلم؟!

همهم «مونتي» ليحثه على الكلام وقد بدا عليه الملل..

أمسك «ماريمو» جبهته بأطراف أصابعه مفكرا ثم أكمل قائلاً:

- يجب أن أتحدث مع الفتاة المدعوة «أنجيلا» بالأمر.. فرها..

قاطعه «مونتي» وهو يصرخ بعصبية ملتفتا إليه قائلاً:

- مستحيل.. أي أحمق أنت؟! فإن كنت قاتل أختها فستؤكد جريمتك

وسندخل في دائرة لا مخرج منها..

نهض «ماريمو» فجأة لينغرس رأس «مونتي» في الثلج.. ثم ضم قبضته وهو

يقول:

- لا بد من أن آخذ هذه الخطوة..

رد «مونتي» بصوت مكتوم وخائب:

- أعدني إلى خزانتك.. فأنت تشكل خطرا على حياتي..

* * *

مسحت «أنجيلا» سبورة الفصل الذي كان خاليا من أي طالب خلال فترة الراحة، ثم أخذت نفسا عميقا وعلت شفيتها ابتسامة صافية وهي تقول بأمل:

- اليوم سيكون يوما فارقا في حياتي العلمية.. أرجو أن يكون إلقائي جيدا أمام هيئة التدريس للمراحل المتقدمة..

نظرت إلى ملف أحمر وُضع على سطح طاولتها المدرسية بشيء من الفخر والثقة.. قاطعها صوت لم تكن تتوقعه وهو يقول:

- «أنجيلا».. أريد أن أحادثك في أمر ما!

التفتت بسرعة ليتطاير من حولها شعرها الذي أخفى بعض ملامحها المشدوهة لرؤيته أمامها..

وضعت ممسحة السبورة من يدها ثم قطبت حاجبيها بشيء من الحزن والضييق قائلة:

- أهنأك شيء أستطيع مساعدتك به سيد «هنري»؟!

رد «ماريمو» مباشرة:

- أريدك أن تخرجي معي..

علت الدهشة وجه «أنجيلا».. بينما سقط «فرانس» و«ماكس» من جانب الباب محدثين ضجة عالية وظل «فرانس» يصيح قائلاً:

- أيها الأحقق.. ما كان عليك الدفع أكثر.. حقيقة تلك اللقطة كانت الأفضل..

ثم انتبه إلى نظرات «ماريمو» و«أنجيلا» التائهة فقال بارتباك:

- تعثرت ووقعت أنا و«ماكس».. تعلمان مدى قصر قامته؛ لذا لم أره..

أخذ «ماكس» يركل «فرانس» بغضب وهو يسبه ويرد عليه «ماكس» واحدة بأخرى..

أعاد «ماريمو» النظر إلى «أنجيلا» ثم قال بابتسامة هادئة:

- لهذا يجب أن تخرجي معي إلى الفناء حتى لا يشغلنا هذان الاثنان..
أحست «أنجيلا» ببعض الراحة لما قاله، لكن ظل شيء ما يشعرها بالتوتر،
فما الذي يريده منها بالضبط؟!
أخيرا أومأت برأسها موافقة..
كان الجو بالخارج باردا وقد ارتدت «أنجيلا» معطفها الأزرق الطويل وقد
خرج البخار من بين شفتيها الورديتين، فقالت:
- آسفة.. سأعطيك مهلة خمس دقائق للحديث؛ لأنني سوف ألقى تقريراً
أمام هيئة التدريس بعد قليل؛ لذا أرجو أن...
قاطعها «ماريمو» الذي أسند ظهره إلى إحدى الأشجار قائلاً:
- أنتِ أخت «جولي» فأخبريني عنها رجاء..
نظرت إليه بذهول وكأن تلك الكلمة اخترقت شغاف قلبها، وهزت رأسها
ببطء وهي تقول بهمس:
- كيف تجرؤ؟! أتسألني عنها وقد قمت...
تنهدت بقوة مكونة سحابة من البخار، وأشاحت بوجهها وهي تغطي فمها
بيدها وتغمض عينيها وكأنها تحاول كبج جماح نفسها التي تود قتل ذلك
الكائن المائل أمامها..
سألها «ماريمو» مرة أخرى بهدوء:
- أرجوكِ أخبريني ما الذي حدث لها.
رفعت عينيها إلى عينيهِ وحدقت إليهما وقتاً طويلاً بصمت، ثم قالت
بلهجة جادة وهادئة:
- لا داعي لأن أخبرك ما تعلمه جيداً.. وإن كنت قد نسيت فأنت أقدر
إنسان رأيته.. وآسفة لأني ضيعت وقتي هنا.
أدارت ظهرها مغادرة فأمسك «ماريمو» بمعصمها فتوقفت فجأة والتفتت
إليه وقد بدت الدموع تنساب على خديها قائلة بصوت عصره الحزن:

- أتعلم ما معنى أن يموت شخص.. شخص تحبه.. كنت تجلس وتسمع
لكلماته الحاملة يوماً بعد يوم؟ أتعلم ما معنى هذا؟!
ظل «ماريمو» ينظر إليها وقد عصره الحزن والحيرة بشدة، ثم قال بهدوء:
- أنا.. لا أعلم شيئاً.. أنا.. بحاجة إليك..
ضحكت «أنجيلا» بسخرية وسحبت يدها من بين أطراف أصابعه بقوة
وحدقت إليه بحقد قاتلة:
- لقد قتلتها.. أنت قتلت أختي.
اتسعت عيناه من الصدمة، وتردد صوت هامس مرعب في نفسه قائلاً:
- هل هو من قام بقتلها؟ هل قتلها؟ هل قتلها حقاً؟!
ألقت بكلماتها الأخيرة قائلة بجمود:
- نفوذك وسلطتك جعلاً منك بريئاً أبدياً..
ثم غادرت بسرعة وتركته مشتتاً وقد أطرق برأسه إلى الأرض وتراجع
خطوتين؛ حيث اتكأ على تلك الشجرة ثم انزلق بجسده عليها ليجلس على
الثلوج غير مبالي بالبرودة من حوله.. وقد اهتزت الأغصان لتلقي بالثلوج
على رأسه..
أطل «فرانس» و«ماكس» من فوق تلك الشجرة البعيدة؛ حيث اتخذوا
منها مركزاً لرؤية ما حدث دون أن يسمعا الحديث الدائر بين «ماريمو»
و«أنجيلا».. قال «ماكس» بإحباط:
- يا رجل.. يبدو أنها رفضته.. «ماريمو» المسكين.. يجب أن نواسيه..
مسح «فرانس» دموعه الكاذبة وهو يضم نفسه قائلاً بتأثر:
- ما أسوأ هذا الشعور.. لكن في سبيل الحب نضحي ونشعر بالألم.. ونظل
نحب..

ثم رفع قبضته ونفخ صدره قائلاً بجدية وصوت مرتفع:
- لا خيار أمامنا.. يجب أن نبدأ بمشروع تطوير شكل «ماريمو» بدءاً من

شعره الأخضر المنكوش.. ربما هو مصدر تقززها منه..

* * *

لهتت بشدة وهي تركض في الممر متجاوزة الطلاب الواقفين، وقد عقدت حاجبيها قائلة بضيق في نفسها:

- لماذا أركض؟ هل أحاول الهرب منه؟!

أبطأت خطواتها ثم استندت على الجدار بكتفها اليمنى وأخذت تلتقط أنفاسها وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة منتصرة..

ضمت قبضتها ورفعتها إلى مستوى وجهها قائلة بسعادة وبعض الفخر:

- هذه هي المرة الأولى التي أعامله فيها بما يستحق.. لقد كنت دوما ضعيفة أمامه، لكن الآن لن أسمح له بأن يربكني.

انتبهت إلى صوت تلك الفتاة وهي تقول لها بلهجة جادة:

- هل لأنه أصبح يبتسم بصفاء؟!

رفعت رأسها لثفاجاً بما قالتها «كريمسون» وهي متكئة على الجدار..

ظلت «كريمسون» ترمقها لبضع ثوانٍ ثم أدارت ظهرها مغادرة..

توقفت لسماعها صوت «أنجيلا» المرتفع وهي تقول بضيق:

- وما الذي تعرفينه أنت؟!

صمتت «كريمسون» وكأنها تحاول لمّ شتات ذكرياتها لتلك المدة القصيرة التي عرفت فيها «ماريمو» وجذبتها كلمة واحدة استقرت في وجدانها «فأنا رجل».

ابتسمت بدفء ثم حوّلت عينيها إلى «أنجيلا» قائلة:

- لا أعلم مدى وقاحة «هنري سايمون» السابقة، لكنه يريد دائماً عمل الأفضل ويحاول ذلك بقوة..

لم يبدُ على «أنجيلا» التأثر مطلقاً، بل ظلت تنظر إلى «كريمسون» وكأنها

ترى «هنري سايمون» نفسه، ثم قالت بهمس:
- من الأفضل لك ألا تتدخل.. فهذا أمر شخصي..
أومأت «كريسون» برأسها وقالت بهدوء:
- آسفة لذلك.. لم أقصد استراق السمع.. حدث الأمر مصادفة.
ثم استدارت وغادرت متجهة نحو الفصل..
ظلت ملامح الحيرة على وجه «أنجيلا» التي وقفت صامتة وهي تعض على شفتها السفلى بحلق، أطلقت تنهيدة طويلة وأمسكت جبينها قائلة:
- ينبغي أن أركز على إلقاء التقرير الدراسي وأنسى ما حدث.. لن أدعه يفسد عليّ هذا الأمر أيضا.
انتهى وقت الراحة ودخل الجميع الفصل، بينما وقفت «أنجيلا» ترتب الأوراق على مكتب المعلم.
رفعت بصرها ناحية «كيومي» وقالت:
- «كيومي».. أحضري إليّ الملف الأحمر.. رجاء..
انقطع شروء «كيومي» وهي تعد الحلقات الموجودة على وجه «فرانس»، وقامت بارتباك وهي تبحث في أوراقها قائلة:
- حسنا.. سأتي به حالا..
أشارت «أنجيلا» وهي تقول باهتمام:
- إنه على طاولتي..
رفعت «كيومي» رأسها وعلى وجهها علامات الحيرة قائلة بقلق وتردد:
- لا يوجد ملف هنا..
ظهر الخوف على وجه «أنجيلا» وذهب ذهنها بسرعة إلى «هنري سايمون»..
أسرعت باتجاه طاولتها وأخذت تبحث بقلق وخوف كبيرين، قائلة بصوت مرتفع:
- لقد كان هنا قبل وقت الاستراحة!

تميزت غيظا لما خطر على بالها أنه هو.. عندما طلب منها الخروج.. أسئلته السخيفة ومراقبة «كريمسون» لها، ووجود صديقيه في الفصل.. هو من فعلها بالتأكيد.. يريد أن يهينها ويحطمها كالعادة..

آثرت الصمت واكتفت بنظرات حاقدة ألقته على «ماريمو» الذي ظل ينظر إليها متعجبا..

عضت شفتها بغيظ شديد وأشاحت بوجهها وأدارت ظهرها ناحية باب الفصل؛ حيث استوقفها دخول الأستاذة «لينج».. تولد الخوف على وجهها الصغير وحتت رأسها مباشرة لينزلق شعرها على ملامحها قائلة بأسى:

- لقد فقدت التقرير الدراسي ولن أستطيع مناقشته اليوم.
اعتلت ملامح الصدمة وجه الأستاذة «لينج» التي عُرِفَتْ بقسوتها، وقالت بصوت جاف:

- ما الذي تقولينه؟ لقد دعوت كبار هيئة التدريس لحضور مناقشة تقريرك، والآن تقولين هكذا ببساطة إنك فقدته.. كيف سأل هذا الموقف الآن؟!

ظل جميع الطلبة يراقبون ذلك الموقف العصيب ووجه «أنجيلا» الذي كان شاحبا وهي تقول:

- آسفة إذا كنت لم أحافظ عليه جيدا.. لقد وضعته على طاولتي، لكنه اختفى..

ظلت الأستاذة «لينج» ممسكة بملفاتها بيد وباليد الأخرى تمسك بهاتفها وتعطي الأمر بإبلاغ أمر إلغاء المناقشة إلى باقي أعضاء هيئة التدريس.. ثم قالت بلهجة غير مبالية:

- سيتم إلغاء مناقشة التقرير ولا تفكري في إعادته مرة أخرى.. وعليك اختيار العقاب المناسب لإهمالك!!

حتت رأسها بشكل أكبر وقالت بصوت متقطع تلاعبت به عبارتها المكتومة:

- لا بأس.. يمكنك حرمانى من الدروس المتبقية وحسبى..
صرخ «ماريمو» صرخة عالية أذهلت الموجودين قائلاً بقلق:
- لا.. أنا من سيتحمل هذا العقاب..
توجهت أنظار الجميع المتفاجئة؛ حيث وقف «هنري» وهو يلهث بشدة
قائلاً بصوت أهدأ:
- أنا من سيتحمل ذلك..
اعتدلت «أنجيلا» واقفة، ولمعت عيناها بدموع حاقدة فاض بها قلبها
المحطم قائلة في نفسها:
- أتعترف بذنبك بعد أن حطمت آمالي في نيل شهادة أفضل؟ أود قتلك
بيديّ هاتين أيها الحقير.
ظل «فرانس» يراقب ذلك الوضع العجيب باهتمام كبير، ثم قال في نفسه
مستغرباً:
- ما هذه الكراهية الهائلة التي تحملها له؟ هل الأمر أبعد من مجرد
رفضها له؟! فهو ليس قبيحاً إلى هذا الحد!
التفت إلى حيث مكان «كلاود» الخالي قائلاً باستياء:
- لو كان هنا هل كان يستطيع حل تلك المشكلة؟!
عقدت الأستاذة «لينج» حاجبها مفكرة وهي تنظر إلى «ماريمو» ثم
حوّلت عينيها بغضب إلى «أنجيلا» قائلة:
- لا بأس.. من الجيد أن تشعرى بأنك السبب في عقاب شخص لا ذنب له..
فليكن الحبس هو العقاب المناسب..
صمتت «أنجيلا» وهي تكتم سرورا ألجمه حزنها لضياع ذلك التقرير المهم
وثقة الأستاذة «لينج» بها..
أومأت برأسها موافقة.. وغادر «ماريمو» مكانه متجهاً إلى باب الفصل ماراً
بجوارها وهو يهمس قائلاً:

- لن أدعك تدخلين مكانا كهذا..

أغمضت عينيها بسخرية ثم عادت إلى طاولتها متجاهلة تلك المشاعر البريئة الصادقة..

ظل «ماكس» يراقب خروج «ماريمو» بحزن كبير ثم قال بهدوء:

- يا رجل.. كيف تعاقب نفسك على شيء لم تفعله؟

أغلقت «كريمسون» كتابا كان بين يديها قائلة بهمس:

- يريد إثبات شيء ما.. بفكرة بسيطة ومعنى بليغ.. إنها التضحية..

ثم نظرت ببرود إلى «أنجيلا» التي كانت تخفي سعادة شديدة بداخلها..

مر اليوم الدراسي بطيئا ومملا حتى موعد الحصتين الأخيرتين..

نظرت «كريمسون» إلى الساعة على الحائط قائلة في نفسها:

- باقى ساعة ونصف الساعة على موعد الخروج من المدرسة.

قاطع تفكيرها صوت دق على الباب انتبه له الجميع، وعندما فُتح الباب كان القادم هو «كلاود» الذي بدا عليه الإرهاق الشديد؛ فقد كانت رابطة عنقه مرتخية ومقدمة قميصه مفتوحة، دخل الفصل قائلاً:

- آسف، لديّ عذر للتأخير وقد أذن لي مدير المدرسة..

نظرت الأستاذة «ميلي» إليه وابتسمت بلطف قائلة:

- لا عليك.. تبدو متعباً؛ لذا تفضل بالجلوس.. نحن في نهاية الدرس.. أشكر لك حرصك على المجيء..

مشى «كلاود» إلى مكانه ليجلس، وأول ما شد انتباهه هو عدم وجود «ماريمو» أمامه.. فحوّل عينيه بتساؤل إلى «كريمسون» التي فضلت الصمت حتى تنتهي الحصة..

دق الجرس معلنا انتهاء اليوم الدراسي وتزاحم الجميع للخروج من الفصل.. ومن بينهم «أنجيلا» التي كانت تحمل حقيبتها المدرسية وما زالت تفكر في الملف الأحمر الذي اختفى..

شدها صوت ثقيل ورخيم قائلاً من خلفها:

- ما الذي فعله «هنري» حتى تتركه يتحمل العقاب عنك؟!
التفتت وقد ظهر عليها الضيق لتجد «كلاود» يقف أمامها وعيناه تحملان نظرات تهديد قاتلة..

ابتسمت ووقفت قائلة بسخرية:

- لقد سرق تقريرى ويجب أن يدفع ثمن فعلته.. وهذا لا شيء مقارنة بما فعله فى الماضى..

اصطكت أسنانه غضبا ثم صرخ قائلاً:

- أي حمقاء أنتِ؟! وعن أي ماضٍ تتحدثين؟! «هنري» فقد ذاكرته تماماً..
ألم تلاحظي ذلك؟!

ظهرت بوادر الذهول والصدمة فى عينيها وارتخت يداها عن حقيبتها لتسقط أرضاً وفى أذنيها صدى تلك الكلمات «أنا.. لا أعلم شيئاً.. أنا.. بحاجة إليك».. وصوت «كريمسون» الهادئ يقول: «لا أعلم مدى وقاحة (هنري) قبل الآن.. لكنه يريد أن يفعل الأفضل.. ويحاول ذلك بقوة».. تلك الكلمات التي ترددت فى ذهنها أثرت فى روحها فتعالت أنفاسها بقلق ونظرت لعيني «كلاود» عليها تجد شيئاً يدفعها لتصديق ما سمعته..

- إنه مريض.. ويخاف من الأماكن الضيقة والمغلقة.. أتعلمين ما معنى أن تكوني مصابة بمرض «كلوستروفوبيا»؟!

قالها «كلاود» ثم أغمض عينيها بعدها قائلاً بلهجة شابها الضيق:

- إنه ضحى تضحية كبيرة بطلبه الحبس بدلا عنك.. فاذهبى وأخرجيه من هذا الجحيم.. إن كان ما زال حيا حتى الآن!!

لم تستطع «أنجيلا» منع ساقبيها من الانطلاق كالرياح تجاه مدخل المدرسة.. تاركة وراءها كتبها متناثرة على الأرض..

وقف «كلاود» صامتا لبرهة.. هب هواء ساكن حرك شعره حول ملامحه

الهادئة ثم قال:

- لِمَ لم تمنعوه من القيام بشيء كهذا؟!
سقط «فرانس» و«ماكس» من جانب الشجرة ونهض «ماكس» قائلاً بقلق
وخوف:

- لقد نسينا أمر مرضه تماماً.. حقا نسينا ذلك يا رجل..
مد «فرانس» يده نحو «كلاود» وهو يقول بانفعال:
- كيف كنا سنتذكر أمرا كهذا حدث معه مرة واحدة فقط؟!
انحنت «كريمسون» لتلملم كتب «أنجيلا» عن الأرض ثم قالت بهمس:
- أظنك قسوت عليها قليلا..
رفع «كلاود» وجهه نحو السماء قائلاً بحزم:
- القسوة أمر ضروري أحيانا..

* * *

في ذلك الممر الضيق المظلم الذي غطت جوانبه الأتربة، مشت بخطوات مرتبكة وخائفة وهي تنادي قائلة:

- سيد «هنري».. هل تسمعي؟!

وجدت باب غرفة مغلقا، فتقدمت إليه ومدت يدها بتردد وبدخلها دافع قوي يحثها على فتحه..

كانت الغرفة مظلمة تماما.. وبالكاد رأت هيئة «ماريمو» وهو يحشر نفسه في زاويتها..

تقدمت بضع خطوات ودققت بعينيها لتراه جالسا وقد حشر رأسه بين ركبتيه وقد ضمهما بشدة وهو يرتجف بعنف.. انحنت عليه قائلة بهمس شابه القلق:

- هل أنت بخير؟!

لم يجبها، فازدادت نبضات قلبها خوفا.. فمدت يدها لتلمس كتفه وتهزه قائلة:

- سيد «هنري».. أرجوك رد عليّ..

رفع رأسه فجأة لتتبين ملامحه الخائفة ودموعه المنهمرة على خديه، قائلاً بصوت باك:

- اخرجي من هنا.. فهذا المكان خطر.. إنه يضيق فجأة ويخنق من هم بداخله.. اخرجي.. حالا.. قبل أن يعود..

تأملت ملامح وجهه بدهشة كبيرة، فقد كانت تحمل معاني الألم والعذاب والبراءة في آن واحد.. تردد في ذهنها صدى كلماته التي قالها في الفصل: «لن أدعك تدخلين مكانا كهذا».. فقد كان يريد حمايتها من مرض يعتقد أن الجميع مصاب به، لكنه ظل يعاني في محبسه وحده أكثر من خمس ساعات!!

على الرغم من قسوتي.. على الرغم من كرهني.. على الرغم من حقدي

الكبير عليه.. كان يحميني..
ترددت تلك العبارات في نفسها وهي تهدئ من روعه.. وهو كالطفل الصغير.. بكت همرارة قائلة:
- أنا آسفة.. ستكون بخير «هنري».. فلا تخف.. فأنت أقوى من ذلك بكثير..
هدأت أنفاس «ماريمو» وفتح عينيه ببطء وحاول مجابهة ذلك الظلام المخيف، لكنه أغمض عينيه بشدة قائلاً:
- لا أستطيع.. إنه ثقيل وخانق.
أمسكت بيديه قائلة بصوت دافئ حنون:
- سنقوم معا بالخروج من هنا.. فلا تقلق.. سأظل إلى جوارك..
نهضت «أنجيلا» واقفة في مواجهته، وأخذت تسير إلى الخلف ببطء وهي ممسكة بيده لتحته على الخروج وقلبها مضطرب والحزن والقلق يسكنان ملامحها قائلة في نفسها:
- لقد كنت قاسية وعاملته كما كان يعاملني «هنري سامون».. الذي أصبح الآن مجرد طفل خائف.

* * *

ظلت الشمعة تقاوم لحظاتها الأخيرة ولم تلبث طويلاً حتى انطفأت ليعم الظلام الدامس تلك الغرفة التي أسدلت ستائرهما القائمة لتضفي جواً من الكآبة التي يزيدها صمت ذلك الشخص الواقف في تلك الظلمة..

مشى بضع خطوات إلى حيث استقر البيانو، مد يده إليه، لكنه سحبها بسرعة وتراجع بجسده عنه..

وضع قناعه المزخرف القاسي على المنضدة الزجاجية القريبة من فراشه..
تناثر شعره الذهبي على ملامحه الغامضة في تلك الظلمة.. وأرخی رابطة عنقه متجهاً إلى غرفة ملابسه..

شعر بوجود شخص ما بداخل غرفته فقال بهمس:

- من هناك؟!

تنبه الخادم «باركر» من غفوته واضطرب جسده على ذلك الكرسي لتسقط ملابس السيد «ون» من يده..

انهمك الخادم بجمع الثياب الملقاة على الأرض قائلاً بارتباك:

- آسف سيدي.. غفوت دون أن أشعر.. أرجو أن تعذرني..

وضع السيد «ون» كفه على وجهه وأشاح به، ليختفي بعضه في الظلمة قائلاً بهدوء:

- يبدو أنك كبرت في السن أيها العجوز..

توقف الخادم «باركر» عن جمع الثياب ولم يجرؤ أن يرفع بصره نحو وجه السيد «ون» المكشوف ثم قال بهمس:

- آسف.. يا بني..

ظهر صوته الرخيم من بين ثنانيا تلك الظلمة قائلاً بصوت جاد:

- كلما كبر سنك احتجت إليك أكثر.. وأنت تعلم ذلك.. فلماذا يشوب صوتك هذا الحزن؟!

رفع الخادم «باركر» بصره إلى حيث يقف السيد «ون» وقد أدار له ظهره

ثم قال بلهجة حانية:

- كيف حالك اليوم؟! لقد لاحظت عدم قابليتك للطعام.. إذا كنت مصابا بالبرد يجب أن نستدعي الطبيب لكي يفحصك، فلا يجب أن تهمل صحتك لأنك لا تريد كشف وجهك لأحد..

فجأة تنبه الخادم «باركر» بأنه تمادى في الحديث فأخفض بصره معتذرا وطالبا مغفرته..

صمت السيد «ون» كثيرا ولم يرفع يده عن وجهه، بل ضغط عليه أكثر فأكثر حتى كاد يمزقه، ثم قال بألم:

- وجه كهذا.. حتى أنت لم تجرؤ أبدا على النظر إليه؛ لأنه وجه مقزز لشخص مشوه..

اعتدل الخادم «باركر» واقفا وهو يقول باهتمام:

- أرجوك لا تقل هذا سيدي الصغير.. فأنت قد اخترت أن تبقى تلك العلامة على وجهك لأنك لا تريد محو الماضي، وهي تزيدك إصرارا على ما تفعله من أجل الجميع، خاصة «هنري سايمون»؛ لذا فهي وسام شرف وُضع على وجهك..

رفع يده عن وجهه وقد تجمدت مشاعره وتحركت شفتاه قائلاً:

- ليس من الشرف أن تطعن شخصا في ظهره بينما هو واجهك بطعنته وقتلك قبل أن تقتله..

وضع قناعه على وجهه وضغط عليه بأطراف أصابعه قائلاً بصوت واهن:
- أنا أعيش لأجله فقط.. فرهما تحدث في حياة أحدنا نقطة تحول مثيرة..
تستحق الاهتمام..

* * *

قدمت له كوبا من الماء البارد فتناوله وشربه بنهم دفعة واحدة ثم وضعه على الطاولة أمامه مبتسما وهو يقول:

- حسنا.. انتهى ذلك الوقت أخيرا.. أنت شخص لطيف حقا..

صمتت «أنجيلا» وهي تقف إلى جواره وقد بدا عليها القلق والتوتر ثم قالت بتردد:

- سيد «هنري».. علمت من صديقك أنك لا تذكر ماضيك.. آسفة لذلك..

نظر إليها «ماريمو» مستغربا ثم قال:

- أنا أحاول تذكره الآن، وأعيش في بيتي لكي أسترجع كوني «هنري سامون».. وسأفعل ذلك..

انفعلت «أنجيلا» ورفعت رأسها ليتناثر شعرها ويظهر جمال وجهها المستدير، وكادت تقول شيئا، لكنها استرخت وفصلت الصمت..

لم ترحمها عينا «ماريمو» الفضوليتان فقالت على مضض:

- ماذا إن كان ماضيك سيئا؟! أيجب أن تسترده؟ لِمَ لا تدعه وتبدأ حياتك من جديد..

نهض «ماريمو» عن مقعده، مما أثار ارتباكها.. وقف أمامها ونظر إلى عينيها مباشرة.. ثم مد إحدى أصابعه الموشومة ليضعها أسفل إحدى عينيها ثم مشى بها على خدها قائلاً بصوت هامس وحام:

- لقد كانت دموعك تسير هنا.. هذا يعني أنك ما زلت تخافين من «هنري» لما سببه لك من حزن؛ لذا يجب أن أساعدك بنفسي.

نظرت إليه بدفء ثم أخفضت جفنيها واحمرت وجنتها قائلة:

- سأساعدك بكل ما لدي؛ فأنا لست موقنة أن ما حدث في الماضي هو الحقيقة..

خطر في ذهن «ماريمو» أمر ما فقال بحماسة:

- هناك ما أود أن أعرفك به.. إنه جزء من «هنري سامون» أيضا..

فتح الخزانة الحديدية فخرج منها «مونتي» وهو يترنح وسقط على وجهه وهو يسترد أنفاسه قائلاً بحنق:

- أين كنت؟ لقد غادر جميع الطلبة وأنت تخنقني هنا.. أظن أنني سأتخلى عنك قريباً وأعيش كقط محترم..

وضعت «أنجيلا» يديها على فمها وقد اعترأها الذهول والدهشة.. ولم تلبث أن أطلقت صرخة مدوية سد «مونتي» أذنيه على أثرها وهو يهيل الشتائم على «ماريو» الذي لم يخبره بوجود أحد معه..

انتفضت «أنجيلا» وتراجعت للخلف وهي تشير إليه قائلة برعب:

- إنه يتكلم بصوتك «هنري».. قط يتكلم! ما معنى هذا؟!

أوماً «ماريو» برأسه وقد بدا سعيداً وهو يقول:

- لقد انقسم «هنري» إلى أنا و«مونتي»؛ لذلك يجب أن أبحث عن ماضيها، ربما أصبح «هنري» مرة أخرى ويصبح شعري أسود ويختفي هذا الوشم وأكون...

اختفى صوت «ماريو» تدريجياً من ذهنها وهي تراقبهما بحيرة وتعجب..

احتدت عينا «مونتي» وهو ينظر إليها قائلاً في نفسه بحنق:

- أشعر بالكراهة تجاه تلك الفتاة.. ولا أعلم لماذا..

حوّل عينيه إلى «ماريو» الذي بدا سعيداً وهو يحكي لها عن أحلامه ثم قال لنفسه بتعجب:

- يبدو مرتاحاً لها على أي حال.. وإلا لما جلبها إلى هنا.

تبادر إلى ذهنه أمر ما فقال على عجل:

- لا تقل لي إنك قمت بسؤالها ذلك السؤال السخيف.

حملة «ماريو» ووضعه على رأسه وهو يكمل حديثه إلى «أنجيلا» وهما يتوجهان إلى الخارج متجاهلاً غضب «مونتي».

وقفا على الرصيف بجوار بعض المحلات التجارية، أطرقت «أنجيلا» برأسها

وقد ضمت كفيها إلى صدرها ثم نظرت إلى «ماريمو» قائلة بامتنان:
- شكرا لإيصالي إلى هذا الحد.. فمنزلي قريب من هنا.. وسأذ...
بترت كلماتها ملاحظتها انشغاله عمًا تقول بالنظر إلى رجل يقف بالقرب
من أحد الجدران الأسمنتية التي طُخت بالألوان والأصباغ، وفي يده آلة
موسيقية يعزف عليها، وكان الناس يمرون بجانبه دون أن يلقوا إليه بالا..
كان لعزفه صدى رنان يجعل القلوب تذوب معه وقد تناثر شعره الأحمر
الطويل ليخفي ملامح وجهه المنسجم من وقع ذلك الإيقاع الرائع..
تحركت شفتا «ماريمو» قائلاً بإعجاب وبصوت هامس حتى لا يفوته سماع
ذلك اللحن الجميل:

- صوته رائع.. ما هذا الذي يعزف عليه؟!
نظرت «أنجيلا» إلى العازف وقالت باستغراب:
- إنه كهان، آلة موسيقية قديمة.. لكن لِمَ يقوم بالعزف هنا؟! فالأغنياء لن
يستمعوا إلى الموسيقى في الشوارع.
رد «ماريمو» ضاحكا:

- لكنه يعجبني.. سأحضر غدا لأسمع مقطوعته الموسيقية من البداية..
وربما أسأله عن حكايته أيضا.. سأذهب الآن حتى لا يقلق عليّ الجميع..
همهمت «أنجيلا» وهي تتذكر وجوه أصدقائه ومدى حرصهم عليه،
فابتسمت قائلة بدفء في نفسها:
- لديه أصدقاء رائعون.. لم يكن لديه أصدقاء من قبل، أنا أيضا سأحاول
مساعده حتى نصل إلى الحقيقة.

رفع الرجل عينيه ونظر من بين خصلات شعره الحمراء فلمح «ماريمو»
وهو يودع «أنجيلا».. وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة..
أنزل الكهان من بين يديه ووضعه على قطعة قماش بالية، ووضع فوقه
ملفا أحمر ثم طواها وعقدها وحملها على كتفه وغادر المكان وهو يهمس

قائلاً:

- هكذا إذًا «هنري سامبون».. لا بأس، فسوف نلتقي قريباً.

* * *

فقاعات مائية ملونة انتشرت في أرجاء الظلمة وهي تطفو في الهواء.. حطت إحداها على وجهه ولم تلبث حتى انفقأت ناشرة رذاذها عليه. امتعضت ملامحه وفتح عينيه الخضراوين ببطء وحمل نفسه على النهوض حتى اعتدل جالسا على تلك الأرض السوداء الغريبة. نظر حوله.. كان المكان لا حدود له وقد أحاط به الظلام من كل جانب وظلت الفقاعات تتطاير حوله.. قام واقفا ومشى بخطوات مترددة فتسلل إلى أذنيه صوتا ما قائلاً بهمس ذو صدى:

- ما الذي تحاول فعله؟!

انتبه لذلك الصوت والتفت إلى حيث مصدره ثم اقترب منه، فصرخ ذلك الصوت ليوقفه قائلاً بغضب:
- لا تقترب.. أحذرك..

توقف «ماريو» ثم قال باستغراب:

- لِمَ تمنعني من الاقتراب؟!

رد عليه بصوت عميق منكسر يتسلل إلى النفس بألم:

- كلما اقتربت أكثر ستنفق الفقاعات بشكل أكبر..

نظر «ماريو» مرة أخرى إلى تلك الفقاعات الطائرة في الهواء ثم قال بتردد:

- لكن إحداها انفقأت على وجهي دون أن أقترب منك.. من أنت؟!

تنهد الصوت بشيء من الحسرة ثم أجاب باللهجة نفسها قائلاً:

- من الطبيعي أن تنفق واحدة وربما اثنتان أو ثلاث، لكن إن مشيت

نحوي سينفقى الملايين..

تعالت أنفاس «ماريمو» وهو يحاول كبج جماح نفسه عن الحركة ثم قال بصوت مرتفع:

- لا يهم، سوف آتي إليك.

ركض «ماريمو» نحو مصدر الصوت، فوجد الملايين من الفقاعات قد اتجهت نحوه وظلت تنفقى بشكل متتالٍ، ما أثار رهبة «ماريمو» الذي ظل يركض بقوة محاولاً تجاهلها..

توقف فجأة أمام مرآة سوداء اللون..

حدق إليها لثوانٍ حتى ظهرت على سطحها تدريجياً صورته في هيئة «هنري سايمون» الذي ظل ينظر إليه ببرود..

وضع «ماريمو» يده على صدره ثم أشار إلى المرأة وقد بدت عليه علامات الحيرة ثم قال:

- أنا.. «هنري».

أغمض «هنري» عينيه الزرقاوين وظل صامتا لثوانٍ ثم قال بأسى:

- لم يحن الوقت لقول ذلك بعد.. وربما لن يحين..

ثم رفع عينيه الباردتين وظل ينظر إلى «ماريمو» بحزن كبير وقد تردد صوته وهو يختفي تدريجياً قائلاً:

- تلاشت جميع الفقاعات.. ولم تستطع سوى إيجاد نفسك المكسورة في المرأة.. لقد فشلت كالعادة..

ظل «ماريمو» يتخبط في حيرته؛ فكل شيء قائم، لكن إحدى الفقاعات الصغيرة استقرت بين يديه فابتسم براحة وكأنها شاركته عزلته في هذا الظلام الموحش وقال بابتسامة بريئة:

- سأدعوك بالأمل..

لكن تلاشت تلك الفقاعة فجأة، ما أصابه بالخوف والفرع وبدأت الجدران

تقترب وتضيق..

نهض من فراشه بسرعة وهو يلتقط آخر أنفاسه؛ حيث تشتت الحلم ولم يبق سوى جدران الغرفة الهادئة..

هدأت نفسه المتوترة فحك شعره بانزعاج وقلق كبيرين وهو يتنهد قائلاً:
- إنه مجرد حلم، لكن ماذا يعني؟! نظر إلى «موني» الذي كان نائماً على الأريكة وهو يغطي نفسه بغطاء ثقيل.. وقال باستياء:

- ربما، لم يحلم الحلم نفسه!!

نهض من فراشه ونظر إلى ساعته التي كانت تشير إلى السادسة ثم انتبه قائلاً:

- يجب أن أذهب الآن إلى المدرسة، وبعد المدرسة سوف أذهب لرؤية ذلك الرجل الذي يعزف الكمان.. لكن!! صمت قليلاً وقد ظهرت الحيرة على وجهه وهو يقول:

- يجب أن أذهب إلى الحديقة العامة لمقابلة «أنجيلا» لأعرف منها كيف كانت نهاية حياة «جولي».

قاطع تفكيره صوت طرقات على الباب فقال بصوت مرتفع:
- ادخل.

أطل «فرانس» من فتحة الباب بعد أن دفعه برفق وكانت ملامحه جادة جداً، ما أثار دهشة «ماريمو»..

دخل وهو يحرك شعره بيده وينظر إلى أرجاء الغرفة وقد بدا عليه الارتباك.. ثم قال بتردد:

- آسف لما حدث بينك وبين تلك الفتاة؛ لذا أُرغب في مساعدتك..

انفجرت أسارير «ماريمو» وقال بصوت مرتفع:

- حقاً.. «فرانس» شخص طيب..

قفز عليه «فرانس» وألجم فمه بيده قائلاً بحنق وصوت هامس:

- أيها الأبله.. سيكون هذا سرا بيننا.. لا أريد تدخل من «ماكس» وذلك القط المتغطرس.. هيا.. سنخرج الآن..
تواردت المواعيد على ذهن «ماريمو» بشكل يجلب الصداع، إلا أنه رضى أخيراً للذهاب مع «فرانس» إلى المدرسة، ثم يذهب إلى مواعيده الأخرى بعد ذلك تباعاً.

* * *

مشى «ماريمو» قلقاً برفقة «فرانس» الذي كان يبدو عليه السرور في طريقهما إلى المدرسة، لاحظ «فرانس» القلق على وجه «ماريمو» فسأله قائلاً:

- ما بك؟ ألم ترق لك التسريحة الجديدة؟ إنها الأفضل لهذا العام.. حقيقة بدأت أغار من كثافة شعرك..

كان شعره مرتفعاً من الأمام بشكل متداخل وجميل.. أخفض «ماريمو» بصره قائلاً باستياء:

- سيغضب «مونتي» لأنني لم آخذه معي.. كما تعلم يجب أن نكون معاً، خاصة في وجود «أنجيلا».

توقف «فرانس» وقد صارت ملامحه جادة وهو يقول بطريقة مسرحية:
- إن كنت برفقة فتاة فلا تصطحب معك حيواناً أليفاً؛ لأنه سوف يشغلك عنها وذلك يغضب الفتيات ويفسد الأمر.

تذكر «ماريمو» لحظة مقابلة «مونتي» لها وذهب بذهنه بعيداً عما يرمي إليه «فرانس» ثم قال:

لقد خافت منه «أنجيلا».. وبدا هو متضايقاً منها.. ربما يفسد الأمر فعلاً..
أوماً «فرانس» برأسه عدة مرات ليوضح أنه خير في الأمر.. ثم بدأ في إعطاء النصائح قائلاً:

- ما يجذب الفتيات أولاً القوة؛ فمثلاً تحمل طاولتين معا وتدعي أنك تريد نقلهما إلى مكان آخر مراعاة لراحتهن.. حينها سينظرن إليك وكأنك فتى أحلامهن.

وأكمل قائلاً:

- ثانياً: الوسامة.. من مراقبتي لشخصية «كلاود» المقيمة استنتجت أن الفتيات يجذبهن الشاب الوسيم حتى لو أهانهن كما يفعل، لكنني مع وسامتي أقدم الفتيات.

- والأمر الثالث: استغلال الفرص السانحة، كما لو وقفت كثيراً بجوار شخص قبيح حتى تبرز مدى وسامتك وتبدأ المقارنة تثير أذهانهم؛ لهذا أرافق «ماكس» دائماً!!

ضم «فرانس» ذراعيه حول نفسه متأثراً وهو يقول بثقة كبيرة:
- الحب.. إنه أعلى مهاراتي؛ فلا توجد فتاة يمكنها الهرب من تأثير سحري الخاص..

قاطعه «ماريمو» وهو يشير بيده قائلاً باندعاش:

- لقد أتى ذلك العازف مبكراً اليوم.

استشاط «فرانس» غضباً وصرخ قائلاً:

- لم تكن تسمع لي!

ثم انتبه إلى ما يشير إليه «ماريمو»؛ حيث كان هناك رجل يجلس على خرقة بالية مفروشة على الأرض مسنداً ظهره إلى الحائط مرخياً قبعته على عينيه محاولاً النوم.. وقد تناثر شعره الأحمر الطويل على كتفيه..

وقف «فرانس» يحدق إليه باهتمام ثم قال في نفسه باستغراب:

- هذا الرجل ما هو إلا سلاح بشري.. لكن ما الذي أتى به إلى هذا المكان؟! ترى هل هو مكلف بمهمة ما هنا؟!

ارتسمت على وجه «ماريمو» ابتسامة وهو يقول بسعادة:

- سوف نأتي جميعا اليوم بعد المدرسة إلى هنا ومعنا «أنجيلا» لنستمع بعزفه على الكمان.. وسوف ترى كم هو رائع..
أشار «فرانس» بيده على شكل تقاطع وهو يهز رأسه نافيا قائلاً:
- لا.. يجب أن تكون أنت وهي وحدكما.. فجو كهذا يحتاج لانفراد تام..
أوماً «ماريمو» برأسه موافقا.. وذهبا سيرا باتجاه المدرسة.. رفع صاحب الشعر الأحمر قبعته عن وجهه برأس إصبعه وأخذ يحدق إليهما وهما يبتعدان وعلى شفثيه ابتسامة متلذذة ثم همس قائلاً:
- سلاحان معا! سوف أعوّض فترة الجوع السابقة وسأكل حتى أصاب بالتخمة هذه المرة..

* * *

دخل «ماريمو» و«فرانس» الفصل الذي لم يكن فيه سوى «أنجيلا» وصديقتها «كيومي».. تبادلوا معهما تحية الصباح..
وكز «فرانس» جانب «ماريمو» بيده وهو يهمس قائلاً:
- أي تحية باردة هذه؟ قل لها شيئا تعبر فيه عن مدى جمالها اليوم؛ فهي تضع مشبك شعر جميل.. ويمكن أن تكون قد وضعت من أجلك..
نظر «فرانس» إلى وجه «ماريمو» المتسم بالغباء والبرود وعقد حاجبيه قائلاً:

- لا فائدة منك.. سوف أريك مثالا عمليا لتتعلم، ثم تقدم نحو «كيومي» بثقة وانحنى عليها قليلا، ما أصابها بالارتباك، وهمس قائلاً بصوت حنون:
- عندما رأيت نور الشمس اليوم اعتقدت أنها أجمل ما رأيت.
ثم رفع عينيه بنظرة دافئة إلى عينيها ووضع يده تحت ذقنها وأكمل قائلاً:
- لكنني عندما رأيتك اليوم عرفت أن هناك ما هو أجمل..
كان الذهول يغلف وجه «كيومي» واحمرت وجنتاها فخفضت عينيها

بارتباك وتلعثمت وبالكاد قالت:

- شكرا لك.. سيد «فرانس»..

أزاح يده بحركة استعراضية ثم أكمل قائلاً باللهجة نفسها:

- العفو يا أميري.. إلى أن نلتقي مجددا.. سأظل محبا..

عقدت أصابعها وقد أخذ الخجل منها كل مأخذ.. قائلة:

- «أنجيلا».. أخبريني أنني لا أحلم!

التفت إلى «ماريمو» وقد ملأ الغرور رأسه فوجده يمسح السبورة.. فصرخ قائلاً:

- أيها الأحق.. ما الذي تفعله؟!

نظر إليه «ماريمو» باستغراب ثم قال:

- أنا أساعد «أنجيلا»؛ فهي ترتب طاولات الفصل.. وعليك أنت أن تنظف الأرضية..

صُعق «فرانس» مما سمعه وهو ينظر بتقزز إلى أدوات التنظيف التي كانت بيد «ماريمو» وقال باحتجاج:

- أليست هذه المدرسة لأبناء الطبقات العليا؟ لماذا ننظف الفصل بأنفسنا؟
جاءه صوتها قائلاً بغموض:

- التفاحة..

التفت إليها فارتبكت ورفعت رأسها قائلة:

- أعني أنه نعم هناك عمال للتنظيف بالمدرسة، لكنهم يتعبون كثيرا،
ونحن نقوم بمساعدتهم أحيانا ونعتبرها رياضة صباحية لتنشط أذهاننا
وتساعدنا على فهم دروسنا.

* * *

انعكست صورهم على عيني ذلك الخفاش الذي كان متشبهاً بغصن إحدى الأشجار القريبة بمخالبه، ثم فرد جناحيه ليطيّر مغادراً نحو الشارع؛ حيث ذلك الرجل المتربع على خرخته البالية وبجواره آلة الكمان وحطّ على كتفه.. قال له الرجل همل:

- ماذا فعلت «سورو»؟ هل وجدت أحداً غيرهما يستحق الأكل؟! لقد أصبحت حاسة شم الأسلحة لديك ضعيفة.. كما أنك لم تعثر لي على السيد «ون» بعد.

لمعت عيناه من تحت قبعته وهما تراقبان نزول «كريمسون» و«ماكس» من تلك السيارة الفارغة، ثم تبعهما نزول «كلاود».. اعتدل الرجل جالساً وهو يحدّق باهتمام كبير إليه، وقد تقاطر العرق من جبينه قائلاً في نفسه:

- اللعنة.. أي سلاح هذا؟! إنه كالبقعة المظلمة كما أنه مشفر أيضاً.. كيف يتأقّ لسلاح مثله أن يتسكّع في الشوارع هكذا على أي حال؟! تنهد الشاب ومسح عرقه بكم قميصه المتسخ قائلاً بحنق:

- لا يمكنني مواجهته.. لكن هناك أملاً.. إن استطعت التهام صاحب الشعر الأخضر..

قالها وقد ارتسمت على شفّتيه ابتسامة كريهة..

* * *

انتهى الدوام المدرسي فنهضت «كريمسون» وهي ترتب أغراضها في حقيبتها
ثم نظرت إلى «ماريمو» قائلة:

- هل ستعود مشيا أم سترافقنا؟!

أجابها وهو يحمل حقيبته:

- سأعود متأخرا فلا تنتظروني على الغداء..

صمتت «كريمسون» وهي تنظر إلى «أنجيلا» وكأنها أدركت ما في ذهنه، ثم
حملت حقيبتها على مضمض وذهبت لتلحق بالآخرين، أما «فرانس» فقد
أشار بيده إلى «ماريمو» مشجعا وهو يغمز له فبادله بالمثل..

مضت عدة دقائق.. ثم خرجت «أنجيلا» برفقة «ماريمو» وهي تقول
متسائلة:

- ألن تذهب لتحضر القط؟! لقد لاحظت أنك لم تطعمه وقت الاستراحة..
حك «ماريمو» خده وهو يقول مبتسما:

- أنا أريد أن تحكي لي عما حدث في الماضي على مهل، ومن الممكن أن
يفسد وجوده الأمر..

أطرقت «أنجيلا» برأسها وتنهدت ثم قالت بقلق:

- آسفة.. أنا لا أستطيع الكلام اليوم.. أشعر بالتوتر وكأنني أحاول أن أنبش
قبرا؛ لذلك...

رأى «ماريمو» الحيرة على وجه «أنجيلا» وهي تحاول ابتلاع كلماتها، فقال
بصوت عميق:

- غدا يوم عطلة.. والحديقة العامة ستكون مزدحمة بالناس وسوف
تشعرين بالهدوء ويزول عنك هذا الخوف..

ارتبكت «أنجيلا» لرقته وهمست بحزن:

- حقا أنا آسفة.. لكنني أعدك أن أخبرك بكل ما أعرف غدا..

تركها «ماريمو» وخرج من المدرسة وهو يضع حقيبته المثلثة بالكتب على

كتفه وهو يشعر بالإحباط..

فجأة وقف أمامه «فرانس» وهو يصيح قائلاً:

- لا تقل إنها رفضتك ثانية..

أجابه وعلى وجهه ابتسامة هادئة:

- لا بأس.. لقد أعطتني موعداً غداً مساءً وسيكون ذلك أفضل..

شعر «فرانس» بالحزن من أجله وتساءل في نفسه متعجباً:

- لماذا أهتم لأمره هكذا؟! ومنذ متى وأنا أفعل ذلك لأحد؟!

قاطع شروده صوت «ماريمو» يقول باستغراب:

- ظننتك ذهبت مع البقية!!

ارتبك «فرانس» وكأنه فأر تم اصطياده وقال بتردد:

- أردت أن أطمئن عليك..

قاطع حديثهما ذلك اللحن الذي اخترق القلب قبل السمع.. وعندما التفتا إلى مصدر الصوت كان عازف الكمان واقفاً وخلفه الجدار ذو الألوان الصاخبة وقد أخفى ملامحه تحت شعره الكثيف وقبعته المرخاة على عينيه.

ابتسم «ماريمو» بفرح عندما رآه وكأن هذا أفضل شيء حدث له اليوم، ثم أسرع الخطي نحوه متجاهلاً نداء «فرانس» الذي اضطر إلى اللحاق به مرغماً..

أوقف الرجل العزف فور وصولهما أمامه وأنزل الكمان من بين يديه.. فقال له «ماريمو»:

- لِمَ أوقفت العزف؟! فقد كان جميلاً..

خلع قبعته وانحنى قائلاً بلهجة رسمية:

- أعرفكما بنفسى أولاً.. أدعى «ستراد يفاري»، نسبة إلى مخترع آلة الكمان، وأرجو أن تتادوني «فاري»، ولقد لاحظت إعجابكما بعزفي.. ويشرفني ذلك

أيها السيدان المحترمان.

ثم اعتدل واقفا وعلى شفثيه ابتسامة واسعة بها شيء من الثقة والغرور
لتظهر عينه العوراء وملامحه الرجولية التي يظهر منها أنه في منتصف
العقد الثالث من عمره تقريبا..

كان «فرانس» ينظر إليه بريية وقد عقد حاجبيه بضيق قائلاً في نفسه:

- أشعر أنني رأيت هذا الرجل في مكان ما..

كانت ملامح الإعجاب واضحة على «ماريمو» الذي مد يده قائلاً:

- أدعى «هنري س...».

قاطعته «فرانس» وقد أدخل يديه في جيبيه قائلاً بصوت جاد:

- سلاحك بدأ يتوهج داخل جسدك.. أتريد القتال سيد «فاري»؟!

ارتسمت ابتسامة خبيثة على وجه «فاري» ثم قال بسرور مصطنع:

- أحب أن أتعامل مع الأسلحة الذكية.. ما رأيك أن نلتقي عند المحطة
المهجورة؟!

ابتسم «فرانس» بسخرية ثم قال بنظرات قاتلة:

- قبل هذا.. ما غرضك بالضبط؟!

ظل «ماريمو» ينقل نظراته بينهما حائراً، من اتقاد تلك الشرارة من الكراهية
والتحدي بينهما..

أجاب «فاري» ببساطة بعد أن مسح بإصبعه على شفثه السفلى:

- أنا جامع أسلحة.. وسلاحكما يثير اهتمامي، خصوصاً صاحب الشعر
الأخضر..

قال جملته هو يرمق «ماريمو» بتلذذ ثم قال باستياء:

- سرقت الملف الأحمر لأرى رد فعلك تجاه تلك الفتاة، وعندما لم أجد

رد فعل عرفت أنك فقدت ذاكرتك ونسيتها كما حدث معي ونسيتني..

«هنري سايمون»..

بدت ملامح الغموض على وجه «ماريمو» ثم قال بصوت جاد:
- وما الذي يعنيه «هنري سايهون» لك؟!
رفع «فاري» عينه المضيئة المتسعة ليحديق إلى «ماريمو» قائلاً بصوت جشع
أشبه بالفحيح:
- لقد كان كل منا تجربة قام بصنعها الرجل نفسه.. ومن خلال معلوماتك
وقوتك سأصل إلى السيد «ون».
صرخ «فرانس» محذراً «ماريمو» ودفعه بجسده ليقع على الرصيف وهو
يقول:
- لا تنظر في عينه؛ فهي سلاح قاتل..
هدأ «فاري» فجأة ثم أمسك بعينه وشد عليها بقبضته قائلاً بلهجة حزينة:
- أنا جامع أسلحة.. عشت متنقلاً من عصابة إلى أخرى بفضل السيد «ون»
الذي حطمني ورمى بي كقطعة خردة قديمة.. وهو يسعى الآن إلى قتلي
كما قتل الكثير من تجاربه الفاشلة.. لهذا عندما أجده سوف أقتله لأثبت
له أنني لست مجرد قطعة خردة.
ثم رفع رأسه نحو السماء ومد يديه ذات القفازين الأسودين وصرخ قائلاً:
- سأحقق ما أريده رغماً عن أنف السيد «ون».. ولن يستطيع أن يقف
في طريقي..
اعتلت الدهشة وجه «ماريمو» وهو يراقب تصرفات ذلك الرجل الذي
تحول من عازف بسيط يعزف ألحانا عذبة إلى مجرم يتلذذ بالقتل والرغبة
العارمة في الانتقام.. فأغمض عينيه واستجمع ما قاله «فاري» في ذهنه ثم
تحركت شفاته قائلاً بهدوء:
- السيد «ون».. تجربة.. ما العامل المشترك هنا؟!
قطب «فرانس» حاجبيه بشدة هو يقول بانفعال مشيراً إلى «ماريمو»:
- مستحيل.. السيد «ون» مجرد خرافة.. وأي متغطرس يريد أن يعطي

لنفسه قيمة يدعي أنه من صنع السيد «ون».
أمسك بيد «ماريمو» وشده حتى يقف وسحبه معه وأخذ يجري قائلاً
بصوت مرتفع:

- لنذهب حيث مكان أوسع بعيدا عن الأعين.. فالمحطة قريبة من هنا..
إنه رجل مجنون.. لكنه مثير..

ركض خلفه «ماريمو» وما زالت تلك الحالة من الشرود تسيطر عليه..
كانت روائح دخان المصانع تملأ المكان الذي تقف على قضبانه المحطمة
عدة قطارات قديمة صدئة..

كان المكان مثاليا جدا للاختباء والمواجهة؛ حيث الكثير من المداخل القديمة
والمهجورة تحت الأرض.

لهث «فرانس» وهو يلصق جسده بأحد الجدران قائلاً:
- ذلك المجنون لم يأت.. أتعلم؟ هذا المكان ما زال موجودا لأنه مخبأ
لخرذة الأثرياء..

لاحظ «فرانس» تعالي أنفاس «ماريمو» بشدة وهو بجانبه، فالتفت إليه
ليفاجاً بأنه ملتصق بالجدار ويحاول نزع شيء عن عنقه وكأن أحدا يخنقه.
قطب حاجبيه بشدة وانتزع الوشم من على وجهه ليتحول إلى سيف رفيع
سدد به طعنة أمامه بقوة، فتركه ذلك الشيء.. سقط «ماريمو» أرضا وهو
يمسك بعنقه ويسترد آخر أنفاسه قائلاً:

- هناك شيء خفي كاد يمتص دمي.. لقد أحسست بأنفاسه الساخنة..
أيعقل أن يكون..؟!

نظر «فرانس» حوله والعرق يتقاطر من جبينه وهو يصيح قائلاً:

- أيها الجبان.. اظهر وقااتل كرجل..

سمع صوت ضحكته التي تردد صداها الخبيث قائلاً بثقة:

- اعثر عليّ أولاً وعندها تستحق أن ترى وجهي..

اصطكت أسنان «فرانس» قائلاً في نفسه بحنق:

- إنه بالإضافة إلى عينه تلك.. يستطيع إخفاء نفسه.. لا عجب إذًا في أنه اختار هذا المكان..

مشى برفقة «ماريمو» إلى حيث وسط الساحة التي تلاعب الهواء ببعض مخلفاتها من الأوراق والأتربة فاحتكت بتلك الجدران الصدئة..

أغمض «فرانس» عينيه بتركيز قائلاً له بصوت منخفض:

- يجب أن نركز على مكانه ونهرب حال هجومه؛ فهو ليس شبحاً ولا بد من أن تكون عنده نقاط ضعف..

سمعا صوت صرير جر مقطورة ضخمة.. اندهش «ماريمو» وهو ينظر إليها وهي تسبح في الفضاء وكأن رجلاً يقف وهو يحملها ويلقي بها تجاههما بقوة على الرغم من ثقل وزنها..

تراجع «ماريمو» بسرعة وظل «فرانس» في مكانه وهو ينظر إلى الأمام بابتسامة واثقة فصرخ فيه لكي يتحرك بعيداً عن مكانه بسرعة..

ثارت سحابة هائلة من الغبار وظلت تلك المقطورة تقف بشكل عمودي بعد أن اهتزت الأرض تحت ثقلها..

وقف «فرانس» إلى جوارها وقد خرجت من تحت كم قميصه سلاسل رفيعة أحاطت بالمقطورة ثم صرخ قائلاً:

- سوف تموت.. الآن..

دار بجسده ليسحبها بشكل أذهل «ماريمو» وألقى بها أمامه بعد أن حل سلاسله الطويلة عنها لئلا تصطدم محدثة دويًا هائلاً تنثر على أثره دم غزير..

ظهر «فاري» شيئاً فشيئاً وهو يمسك بيده المبتورة من منتصفها متألماً ووقف ينظر إلى «فرانس» بحقد شديد ثم زفر من شدة الألم قائلاً:

- كيف فعلت ذلك؟ لا تقل لي إنك...

ابتسم «فرانس» واعتدل واقفاً ونظر في عينيه مباشرة قائلاً بصوت واثق:

- أحد الباقين من الحراس العشرة.. مثلك تماما..
ضحك «فاري» بسخرية وهو يغمض عينيه ثم قال بهدوء:
- الحارس يمتلك موهبة جسدية لا تنتهي.. كما أنه يمتلك قدرة الشفاء
الأبدية.. فأني سلاح تملك يا فتى؟!
قال جملته الأخيرة وهو يحرق باهتمام إلى «فرانس» الذي قام بفتح أزرار
قميصه ثم خلعه وألقى به قائلاً بسخرية:
- هيا بنا لنبدأ.. ونرى مدى قوة كل منا.
خرجت يد أخرى حمراء اللون عروقتها بارزة ولها مخالب مزقت الجلد
بخروجها وهي تنبض بشدة من يد «فاري» المبتورة.
تألم بشدة وهو يسترد أنفاسه ناظراً إلى هدفه المائل أمامه في شخص
«ماريمو» الذي ظل يقف بغموض دون أن يقوم بأي حركة..
مسح «فاري» الدم عن شفثيه ثم وجّه حديثه إلى «فرانس» بصوت عالٍ
ممزوج بالكراهية:
- بما أننا زميلاً عمل ونقاط الضعف معروفة لدينا.. فليس عليّ سوى
هزيمتك ثم امتصاص دم ذلك السلاح ليصبح ملكي، وعندها فقط سأكون
الأقوى، في انتظار مقابلة ذلك المدعو السيد «ون»..
جاءه صوت «فرانس» من خلفه تماماً وهو يقول ساخراً:
- أحقق.. فلا وجود لذلك السيد «ون» الذي تحلم به.
التفت «فاري» بجسده، إلا أنه بلفتته تلك قيد نفسه بسلاسل «فرانس»
بشكل محكم، التي كانت كل سلسلة منها مربوطة بمقطورة في مكان
واتجاه مختلف.. ضغطت السلاسل عليه أكثر فأكثر وكأنها كائن حي..
وقف أمامه «فرانس» والدم يتدفق من فمه وهو يترنح محاولاً فصل تلك
السلاسل المنبثقة من جسده.. حتى انتزعها بألم من صدره وبطنه لتلتئم
جروحه سريعاً وهو ينظر إلى «فاري» قائلاً بتحدٍّ:

- أن تتقطع إلى أشلاء.. هذه نقطة ضعف الحارس المميّنة..
سحب السلسلة الأخيرة لينخفض أحد المكابس بقوة.. فتحرّكت القاطرات
طائعة له، مما أدى إلى ضغط تلك السلاسل على جسد «فاري» الذي أطلق
صرخة مدوية لم تدُم طويلاً حتى تمزق إلى أشلاء وتناثر دمه على وجه
«فرانس» الشاحب..

هدأ المكان بعد أن ارتخت تلك السلاسل وبقيت سحابة من التراب وصوت
أنين تلك القاطرات القديمة..
التفت «فرانس» بجسده إلى حيث يقف «ماريمو» ومشى نحوه وهو
يبتسم قائلاً:

- انتهى الأمر أخيراً.. ما بالك تقف هادئاً هكذا؟!
رد عليه «ماريمو» بصوت هادئ شابهته الكآبة قائلاً:
- لقد كان عزفه رائعاً..

صمت «فرانس» لوهلة ثم أغمض عينيه قائلاً بانهزامية:
- أردت أن أحملك لا أعرف لماذا.. ربما يكون ما ذكرته الآن هو السبب
نفسه.. فأنا أشعر أنك مرآتي..

صُدِم «ماريمو» من قول «فرانس» الأخير وترددت في ذهنه تلك الكلمة
الأخيرة «مرآتي» وربطها بالفقايع الصابونية.. وتحركت شفتاه قائلاً بهمس:
لقد عرفت ما تقصد.. «هنري سايمون».

قطع شروده ذلك الخفاش الذي حط على دماء سيده وأخذ يخوض فيها،
والأمر العجيب أنه أخذ يشرب منها بنهم..

صرخ «ماريمو» من أعماقه بغیظ شديد فاضطرب الوشم على جسده
وتحرك دون أن يخرج.. وقطع ذلك الخفاش إلى قطع صغيرة جداً ظلت
تتحرك من فرط سرعته..

عبس «فرانس» ثم قال بتعجب:

- لقد كان يحاول أن يشرب!
هدأ «ماريمو» وأغمض عينيه قائلاً بتقرز:
- لقد اعتنى به يوماً.. كيف يجروُ على فعل ذلك؟!
ضحك «فرانس» وهو يلتقط سترته من على الأرض قائلاً:
- حسناً فعلت.. فالدم وسيلة لتواصل الحراس، وذلك الخفاش واحد منا..
وكان «فاري» سينتقل إلى جسده بعد أن يشرب من دمه، «فاري» كان
ملقباً بمصاص الدماء.. حتى بعد أن انحلت رابطة الحراس العشرة لم أنس
وجه «فاري»..
هدأت ملامح «فرانس» وارتسمت على فمه ابتسامة شابها الحزن ثم قال
بهدوء:
- هذا هو العالم ويجب أن تخوض غماره دون الالتفات إلى غيرك.. لكن..
نظر إلى «ماريمو» بابتسامة صافية قائلاً:
- لكنني أردت حمايتك دون أن أفكر؛ لذلك يبدو أنك مختلف..
شرد «ماريمو» وطارت تلك الفقايع في ذهنه مجدداً وهي تنفقى على
جسده بشكل رهيب.. أزاها عن ذهنه وأطلق تنهيدة عميقة ثم نظر إلى
«فرانس» قائلاً:
- أمن المفترض أن أفهم عالماً كهذا؟!

* * *

أمسك بساق كأسه الزجاجية بين إصبعيه لتلامس برودة العصير يده من خلال قفازه الأبيض قائلاً بهدوء:

- تم إنهاء التجربة في مرحلتها قبل الأخيرة؛ فلقد تعطل قلبه وبقي هو فقط..

أتساءل إن كنت تستطيع لفت انتباهي إلى شيء ما «ماريمو».. وكيف سيكون لقاء الغد؟!

قالها السيد «ون» ثم نظر من شرفته إلى غروب الشمس متأملاً.

* * *

تعالَت أبخرة القهوة الساخنة التي ملأت الجو بعقب رائحتها اللذيذة وهي تصطف على تلك الطاولة الرخامية البيضاء..

أمسكت بالكوب الثالث ورشفت منه وهي تحدق باهتمام إلى شاشة الكمبيوتر، ثم استرخت على الكرسي الجلدي خلفها قائلة:

- كما توقعت.. كنت تستخدم دمك بدلا من اللون الأحمر في تلك اللوحات.. لم أعرف ما هي فصيلتك بحكم تغييرك بالأمس، لكنني علمت بها عن طريق الكمبيوتر في معملك الشخصي.. وقد اضطررت لذلك ولذا تقبل أسفي لقيامى باختراقه دون إذنك..

ارتسمت على وجه «ماريمو» علامات الراحة؛ فهو إذاً لم يُرق دم أحد لكي يلون به، لكن تلك النتيجة لا تكفي لإثبات براءته من مقتل «جولي»، فهمس قائلاً:

- ما زال لدي الكثير لأعرفه؛ فقد حدث شيء مثير بالأمس.. فهلا سألت سؤالاً؟!

دارت «كريمسون» بالكرسي لتقابل «ماريمو» بوجه جاد وظلت تحدق إلى ملامحه الفلقة لثوانٍ ثم قالت:

- «فرانس» حكى لي ما حدث بالأمس.. فهل تقصد السيد «ون»؟!
أوماً «ماريمو» برأسه وقد علا وجهه ذلك الشرود وهو يقول بلهجة واثقة:
- أنا موقن بوجوده.. «فاري» كان يقول الحقيقة.. فقد قالها في لحظته
الأخيرة.. لحظة ما قبل موته.

قطبت حاجبيها باستنكار ثم قالت بصوت مرتفع:
- السيد «ون» مجرد خرافة تقال لمن يمتلك أسلحة نادرة في جسده.. يجب
أن تفهم ذلك.. فالسيد «ون» ليس...
صاح «ماريمو» بكل ما أوتي من قوة وهز يده بقوة قائلاً بعصبية:
- أنا موقن بوجوده.. ولن يكذبني أحد..
تلاحقت أنفاسه وهو يراقب وجه «كريمسون» المندهش لتصرفه فاسترخى
وأمسك برأسه بين كفيه قائلاً باضطراب:
- أنا أعلم أن هناك شخصاً يدعى السيد «ون» موجوداً في مكان لونه
أبيض..

اتسعت عيناها ثم نظرت إلى الجهة الأخرى وهي في غاية الحيرة قائلة:
- كلامك يوحي بأنك زرت المكان على الأقل.. ربما يكون ذلك دليلاً ملموساً
على أن وجود السيد «ون» حقيقي..

ثم رفعت عينيها الجادتين نحو «ماريمو» قائلة بإصرار:
- يجب أن يكون هو خطوتنا المقبلة.. فلا وجود لدخان من دون نار
وستتبع ذلك الدخان فحسب، وربما نأخذ وقتاً طويلاً حتى نصل إليه..
ثم ضحكت وهي تشير إلى «ماريمو» بقلمها قائلة:
- قد يكون الأمر سهلاً جداً أو صعباً جداً.

ثم قامت ونقرت جبينه برأس القلم ضاحكة وهي تقول:
- يجب عليك أن تقلق على نفسك.. تلك الكمية من الدماء في الصور لا
يُستهان بها..

ارتسمت ابتسامة دافئة على وجه «ماريمو» الذي همس قائلاً:
- أجل، سوف أبدأ بالبحث عن نفسي..
انفتح ذلك الجدار على شكل مكعبات صغيرة منقسمة اختفت على
الجانبين، فظهرت تلك الحجرة ذات الضوء الأحمر..
مشى بين لوحاته وهو يحمل «مونتي» الذي كان يتثائب على رأسه وهو
يقول:

- اللعنة «ماريمو».. لا أنكر أن غدا عطلة، لكنني بحاجة إلى النوم..
أشار «ماريمو» إلى عدة لوحات وهو يقول باهتمام:
- غالبية تلك اللوحات رسمتها لنفسي وأنا أقوم بتعذيبها.. أو لنفسي عندما
كنت طفلاً ويد أخرى كبيرة تقوم بتعذيبي.. لكنني لم أعر على أي أسلحة
في غرفتي، كما أن «هنري» كان بلا أسلحة جسدية..
ظل «مونتي» مشدوها لما يسمعه من «ماريمو» الذي كان جادا فعلا في
البحث عن حقيقته المدفونة..
فتحت «كريمسون» علب الألوان الزيتية وقامت بسكب إحداها لتسقط
منها أمواس حديدية صدئة، ثم قالت باستنكار:
- كنت تخفي ما تعذب به نفسك هنا.. على الرغم من سرية هذه الغرفة..
فهل كنت تشك أن أحدهم كان يتجسس عليك؟
نظر كل من «كريمسون» و«ماريمو» إلى بعضهما وقالا في اللحظة نفسها:
- الأم..

وضع «ماريمو» يده تحت ذقنه مفكرا بعمق وقد أغمض عينيه قائلاً:
- من الصورة التي رأيتهما لها، كانت مهتمة بي جدا، أما أنا فقد كانت على
وجهي مسحة من البرود.. وهذا يدل على أنها لم تكن تغفل عني كثيرا..
مسحت «كريمسون» بأطراف أصابعها على لوحة معلقة وهي تقول:
- اليد العنيفة الضخمة كانت مرسومة في لوحاتك عندما كنت طفلاً، لكنها

اختفت عندما كبرت.. ترى هل هناك سبب لذلك؟!
نظر كل منهما إلى الآخر وقالوا في صوت واحد وهما يشيران إلى بعضهما:
- «المفتش جيفري»..
فغر «مونتي» فاه ثم قال بملل:
- تحيا الحماسة..

* * *

رن هاتفه بصوت مزعج، إلا أن شخيره العالي طغى على ذلك الرنين..
ارتبكت أنفاسه وفتح عينيه المحمرتين ببطء ورفع السماعة ووضعها على
أذنه قائلاً بملل:
- الرقم خاطئ.. حاول مرة أخرى..
جاءه صوت «ماريو» قائلاً بحماسة:
- «سيد جيفري».. أنا «هنري سامون» أريد أن أسألك عن شخص من
عائلتي..
اضطرب «جيفري» وقام واقفا وهو يقول بحماسة أكبر:
- سيد «هنري».. حقا أنا سعيد لهذه الثقة.. أمرك سيدي، سأجيبك على
الفور..

* * *

ظهرت رسالة من المفتش «جيفري» على شاشة كمبيوتر «ماريمو» الشخصي وقد كتب فيها:

- إدوارد روبنسون، يبلغ من العمر ٤٣ سنة، تزوج بالسيدة «ماريا سامون» بعد موت زوجها، وكان عمر السيد «هنري» الصغير حينها ٦ سنوات..

وبسبب تغيب السيدة كثيراً لإدارة شركات «سامون» التي ورثتها عن زوجها والد «هنري» فقد نشأ الصغير تحت رعاية زوج والدته.

وقد مات السيد «إدوارد روبنسون» منذ سبعة أشهر بنوبة قلبية، وقد كانت ظروف موته غامضة؛ إذ إنه وُجد ورأسه قد حُسر في التراب.. وأغلق ملف التحقيق دون معرفة حقيقة ما حدث وأخذ سره معه..

آسف سيد «هنري» هذا هو كل ما دَوَّنته عن ذلك الرجل في مذكراتي الخاصة، بالإضافة إلى تلك الصورة التي تضمه ووالدتك يوم زواجهما.

ضغطت «كريمسون» على نهاية الصفحة فظهرت على الشاشة صورة والدته ومعها رجل تبدو على ملامحه الشدة والغلظة.

دق قلب «ماريمو» بشدة وهو يتأمل تلك الملامح المربعة.. وعقد «مونتي» حاجبيه وهو يتذكره قائلاً بفزع:

- ذلك الرجل!! كان كابوساً.

التفتت «كريمسون» نحوه قائلة باهتمام:

- أي أن والدك مات وأنت صغير، وتزوجت والدتك من هذا الرجل، الذي من المحتمل أنه قام بتعذيبك، مما سبب لك عقدة الخوف من الأماكن الضيقة..

أوماً «ماريمو» برأسه وتلمس الشاشة قائلاً بقلق:

- لقد كان كذلك.. أنا..

تردد في ذهنه بكاء طفل صغير وضرب شديد وصوت غليظ لرجل، ثم ظلام دامس.

تنهد «ماريمو» وقال بخوف:

- كان يضربني إلى أن أفقد وعيي ثم يلقي بي بعدها في ذلك السرداب، لأستيقظ وسط ظلام دامس.. ثم يطل عليّ بعدها قائلاً بصوته الجهوري المرعب: ألم تمّت بعد؟ أعتقد أنه كان يريد موتي لكي يرث مجموعة الشركات.. كما أنه كان يحطم لوحاتي، وقد قام بمحاولة خنقي ذات مرة.. انسابت الدموع من عيني «ماريمو» دون أن يشعر وهو يشير إلى نفسه قائلاً بصوت مرتجف:

- كنت أظل صامتا لكي لا يضربني أكثر.. وكان يدس لي منوما في اللبن قبل أن تأتي أمي من الخارج لأغطي في نوم عميق حتى الصباح فلا تعرف شيئا ولا تشك بأمره.. لقد كرهتها مثلما كرهته.. ولذلك تلك الصورة - وأمسك الصورة التي احتضنته فيها أمه بسعادة غامرة بينما كانت ملامحه جامدة.. ثم تحركت شفتاه قائلاً:

- لقد عانيت كثيرا.. ولهذا...

أكمل «مونتي» عبارة «ماريمو» قائلاً بصوت مكسور:

- اهتممت بأمر «جولي» أكثر من اهتمامي لأمرها.. ما جعلها تقرر إعطائي قلبها حتى ترضيني.. فرمها تكون قد أدركت الأمر أخيرا.. صمتت «كريمسون» ولم تستطع مواصلة «ماريمو» بكلمة، لكنها مدت يدها بتردد لتربت على كتفه قائلة:

- عندما تنبش لمعرفة ماضيك المجهول، يجب أن تتوقع الأسوأ دائما..

رفعت يدها عن كتفه وأدارت ظهرها وهي تقول:

- هيا، لدينا ما نريد اكتشافه.. فلا تضيّع الوقت.. لديك موعد مهم مع «أنجيلا» غدا.. سوف يكشف عن المزيد..

دخلت إلى المرسم واتجهت مباشرة نحو لوحة معينة كانت هي الوحيدة التي رُسم فيها رجل عجوز كانت هناك محاولة واضحة لمحو ملامحه

وقالت:

- أثارت تلك اللوحة فضولي منذ أن وقعت عليها عيناى؛ فهي لرجل عجوز لا يمت لزوج أمك في الشكل بأي صلة، ومن الواضح أن ملامحه كانت تبدو عليها سمات الطيبة قبل محوها، كما أنه كان يمد لك يده وكأنه يدعوك لشيء ما ربما كان سيغير حياتك.. ويبدو أنك قمت بمحاولة محوها بعد مدة من رسمها وتلوينها بدمك.. فهلا تذكرت لماذا فعلت ذلك؟ هل لأنك قد خاب ظنك به؟!

مكث «ماريمو» يتأمل الصورة وهو يقطب حاجبيه محاولا إبعاد ذلك الصداق الشديد الذي أخذ يضغط على رأسه ثم قال بصوت متقطع:

- أنا.. لا أعرفه.. لا أستطيع تذكر أي شيء يتعلق به..

قامت «كريمسون» بتهديته وهي تشير بيدها قائلة بهمس:

- لا عليك.. ما فعلناه اليوم هو فوق قدرتك على التحمل.. سأتركك لتنام، وحاول ألا تفكر فيما عثرنا عليه اليوم مؤقتا حتى تنتهي من موعدك مع «أنجيلا»..

ضغطت على زر بالحائط فأغلق المرسم، ثم اتجهت نحو باب غرفته وسحبت مقبض الباب لتغلقه وهي تقول: تصبح على خير..

ألقى «ماريمو» بنفسه على سريره وظل يحملق إلى السقف بتأمل ثم قال بهدوء:

- «كريمسون».. شخص طيب..

أغمض عينيه وراح في نوم عميق.. كان «مونتي» قد سبقه إلى النوم بالدور الأعلى من السرير..

نما وهما يتشاركان الماضي والحاضر.. وكذلك الشخص نفسه..

في الصباح كان الجو صافيا وجميلا والعصافير تغرد على الأغصان القريبة من نافذة غرفة «ماريمو»..

فتح الباب بقوة وهو يحمل في يده حقيبة ثم صرخ قائلاً:
- انهض.. باقى ساعة واحدة على موعدك المقبل.. أجننت لتنام حتى الآن؟!
نهض «ماريمو» بتكاسل فوجد نفسه واقفا على الأرض بجوار «مونتي»
الذي ظل يشخر وهو غارق في دوامة من الأحلام..
رفع «فرانس» أصابعه قائلاً:

- هذه المرة سأجعلها تُجن بك عندما تراك في مظهرك الجديد وكذلك
«مونتي» إن كنت مصرا على اصطحاب الحيوانات الأليفة.. فسوف أُعَيِّر
من مظهره هو الآخر.

تسللت الكلمة الأخيرة إلى سمع «مونتي» الذي استشاط غضبا ووقف وهو
يصرخ قائلاً:

- أيها الأحمق.. أنا إنسان أساسا.. فلا تدعني بالأليف.. وإلا ستندم على
ذلك..

استرسل «فرانس» محدثا «ماريمو» وهو يقول بثقة خبير:
- تسريحة شعرك كانت رائعة.. ربما العيب في طريقة ارتدائك لملابسك؛ لذا
يجب أن تكون رسمية ولكن بشكل مختلف..
كظم «مونتي» غضبه المتأجج لهذا التجاهل المقيت، دفع «فرانس»
«ماريمو» إلى خارج الغرفة قائلاً:
- يجب أن تغتسل بسرعة..

شاهدهما «ماكس» وهو قادم من الممر فقال بلهجة حزينة:
- يبدو أن «فرانس» وجد صديقا جديدا.. لقد نسي أمرى تماما!

* * *

هب هواء بارد تطايرت له خصلات شعرها المناسبة على وجهها الجميل وهي تجلس هادئة على الكرسي الذي يكفى لثلاثة أشخاص في الحديقة العامة..

نظرت بجانبها حيث تساقط الثلج فمدت يدها المختفية داخل قفازها الصوف وردي اللون لتزيل الثلوج وتسقطها على الأرض.. احمرت وجنتاها وهي تراقب المكان الخالي، وعقدت حاجبيها بحزن وتساقطت دموعها الدافئة وهي تهمس قائلة:
- لا بد لي من فعلها.

قاطع شرودها صوت «ماريمو» من بعيد وهو يناديها.. مسحت عينها على عجل ونظرت نحوه حتى وصل إليها وهو يلتقط أنفاسه قائلاً:
- آسف لتأخري..

ابتسمت «أنجيلا» وأومأت برأسها نافية وهي تقول:
- لا لم تتأخر.. لقد أتيت للتو.. هذا هو موعدنا..
داعب «ماريمو» شعر «مونتي» الذي كان يشعر بالملل وقال بحماسة:
- لقد جلبت «مونتي» معي؛ لأننا معا قد نتذكر ما حدث بشكل أفضل..
كانت تنظر إليهما ولاحظت أن «ماريمو» كان يرتدي بذلة سوداء وقميصاً أبيض، ما أضفى عليه مزيداً من الوسامة..
جلس «ماريمو» إلى جوارها قائلاً:

- بالأمس عملت جاهداً مع «كريمسون» حتى اكتشفنا أشياء كثيرة عن طفولتي، وسوف أبذل ما بوسعي لمعرفة المزيد..
صمتت «أنجيلا» وهي تنظر إليه بدهشة ولم تحتمل النظر إلى عينيه طويلاً فخفضت رأسها بسرعة وهي تقول بارتباك:
- هل أنت مُصر على أن تعرف ماضيك؟

همهم «ماريمو» ثم قال بصوت عميق جاد:
- أنا لا شيء.. وإن لم أعرف ما حدث في الماضي سأخسر المستقبل أيضا..
يجب أن أكيف نفسي مع هذا العالم الغريب وأكوّن مفاهيمي الخاصة..
رفعت عينيها لتلتقيا عينيه فصرخت قائلة بصوت باك:
- لكنني خططت لقتلك.. فلماذا تثق بأن ما تبحث عنه عندي؟!
اتسعت عينا «ماريمو» وقال باستغراب:
- عن أي شيء تتحدثين؟!
ضمت «أنجيلا» يديها وأطرقت برأسها وهي تقول بحزن شديد:
- أمس الأول.. استعدت ذكرياتي مع شقيقتي «جولي».. وعزمت على أن أقوم بقتلك وقد أحضرت معي سلاحا، لكنني لم أجروُ على فعل ذلك؛ لذلك اعتذرت عن موعد الأمس وعدت إلى المنزل وأنا في حالة ضياع؛ لأنني لا أستطيع إيقاف تفكيري بشأنك وبشأن أختي.. لا أستطيع..
ابتسم «ماريمو» ابتسامة خفيفة وهو يقول:
- بالطبع لا نستطيع تغيير الماضي بارتكاب أفعال تدمر المستقبل.. ربما قمت بشيء سيئ في الماضي لكنني لا أدري ما هو.. وأرغب الآن بتغييره..
فرمما أستطيع تغيير صورة «هنري سايمون» إلى الأفضل..
ظلت «أنجيلا» تنظر إليه بذهول قائلة في نفسها:
- لم يهتم بأني فكرت في قتله، بل ظل يبتسم ويتفاهل بالغد.. كيف لي أن أكون مثله؟!
- أنا آسفة..
قالتها «أنجيلا» وهي تنظر إلى «ماريمو» ثم قالت بحزم:
- يجب أن أضع حدا لأفكاري المزعجة.. كما أنني أريد أن أعرف سبب مقتل شقيقتي؛ لذا سأخبرك بكل شيء..
نظر إليها «ماريمو» مستعدا لسماعها وترددت في ذهنه مقولة «كريمسون»:

«يجب أن تتوقع الأسوأ دائما عندما تقوم بنبش ماضيك المجهول».

أغمضت «أنجيلا» عينيها وأخذت نفسا عميقا من الهواء البارد لعله يطفئ تلك النار المتأججة في قلبها ثم قالت بهدوء:

- كانت «جولي» أكبر مني، وكانت بالنسبة لي كل ما لديّ ومثلي الأعلى بعد وفاة أبونا في حادث سيارة.. ظلت تعتني بي بشكل مبالغ فيه، كانت تدرس وتعمل في وقت واحد لتدير شركائنا، ومع ذلك رفضت أن يعتني بي أحد غيرها.. كانت تعلمني كيف أواجه هذه الحياة العصبية ولم أفكر يوما أنها قد تكون مريضة..

شدت «أنجيلا» بقبضتيها على معطفها الوردي وهي تكمل قائلة بألم:

- لقد كانت مريضة بمرض لا شفاء منه.. علمت ذلك بعد أن اطلعت على أوراق مراجعاتها للطبيب خفية.. فتلقيت منها للمرة الأولى صفحة على وجهي، فقد كانت غاضبة، إلا أنها سرعان ما بكت واحتضنتني وهي تقول لي إنها ستشفى قريبا فلا داعي للقلق..

و ذات مرة كنا نجلس معا في الحديقة وأخبرتني أنها تحب شخصا ما، لكنها لا تريد أن تخبره بذلك لأن حياتها قصيرة.. ازداد فضولي فألححت عليها لمعرفة اسم الشخص الذي يحتل قلبها وهل يستحق قلب تلك الأخت الرائعة، فقالت لي إنه «هنري سامون» وضحكت بعدها بخجل وهي تقول:

- إنه أصغر مني بقليل، وهو يخفي قلبا طيبا خلف قناع من الفظاظة.. وأود مساعدته بالحب.. وربما أستطيع فعل ذلك قبل أن أواجه لحظة موتي..

نظر «ماريمو» إليها بذهول ولم يستطع أن يتذكر شكل «جولي» وهل تواصل معها حقا يوما ما!!

استرخت «أنجيلا» ونظرت إلى الثلوج المتراكمة قائلة بحزن:

- لأول مرة أراها تتحدث وكأنها يئست حقا من الشفاء، وقد كانت دائما

الحديث عنك والنطق باسمك كلما سنحت لها الفرصة..
وذات يوم رأيته تقف أمام باب مدرستنا - وهذا ليس من عادتها - ولكنها كانت تنتظر.. وعندما رأته ازدادات جمالا وتوردا وظلت تنظر إليك بسعادة ولا أنكر أنني كنت سعيدة لأجلها.. نادته عليك وعرضت عليك أن تقوم معها بجولة على الأقدام لتحديثك ببعض الأمور، لكنك تجاهلتها وذهبت نحو سيارتك، ليس هذا فقط بل أيضا قلت لها شيئا لم يصل إلى مسامعي، لكنني لمحت تأثيره على وجه «جولي»؛ فقد اختفت ابتسامتها، إلا أنها كانت دائمة التمسك بالأمل، وكانت تقول لي دائما لن أهدأ قبل أن أكشف هذا القناع المزيف عن شخصيته وأجعله يعيش حياة متميزة؛ فليدبه الكثير ليقوم به..

عقدت «أنجيلا» حاجبيها وبدا عليها الاضطراب وهي تقول:
- لكن حدث ما لم يكن في الحساب؛ فقد تدهورت حالتها كثيرا.. وكانت تعيش على المسكنات.. وبدأ شعرها يتساقط.. وشحب وجهها.. ومع ذلك ظلت تسأل عنك وتذهب إلى بيتك فيردها الخدم فترحل مرغمة، وكانت تعد أيامها المتبقية وهي خائفة ألا تنجح في تغيير حياتك.
هدأت ملامح «ماريمو» وحرك عينيه ناحية الثلوج المتراكمة وتخيل «جولي» وهي تمشي على الرصيف مبتعدة..

أكملت «أنجيلا» قائلة بلهجة شابها البكاء:
- وبعد أسابيع كانت «جولي» قد فقدت صحتها بالكامل وظلت طريحة الفراش وهي تردد كلمة واحدة: «أنا فاشلة؛ لم أستطع شفاء جروح (هنري).. سوف أموت قريبا ولم أره يبتسم بعد، لقد كرهت انتظار الموت على هذا الفراش البارد..» ما قالت جعلني أخشى عليها أكثر وأكثر وكنت أمنعها من محاولة زيارتك؛ لأنني كنت قد كرهتك جدا وطميت لو أستطيع الصراخ في وجهك لتفهم مشاعرها، فكل ما كانت تريده أن ترى ابتسامتك

التي صنعتها بنفسها قبل أن تودع هذه الحياة.. لقد ظنت أن ما تريده سهل، لكنه كان صعبا مع شخص مثلك..

مسحت «أنجيلا» دموعها بظاهر قفازها ثم نظرت إلى «ماريو» الذي كان يستمع إليها بكل مشاعره وقالت بجدية شابها القلق:

- في أحد الأيام، اختفت فجأة من فراشها، وفوجئت جدا لذلك؛ فهي لم تكن تستطيع المشي، وكان شباك غرفتها مفتوحا وقد تطايرت ستائره في الهواء.. جريت مسرعة إلى الخارج أبحث عنها في كل مكان؛ فقد كانت مريضة جدا ولا يمكنها الاختفاء بهذه السرعة.. وعندما لم أجد لها انحصر تفكيري بك، ذهبت إلى منزلك بسرعة لأفاجأ بعدم وجود أحد غير الخدم، وقد أخبرني أحدهم أنك ذهبت إلى رحلة جبلية لتمارس هوايتك في الرسم وأنت هناك منذ خمسة أيام.. استعلمت عن المكان تحديدا بعد أن تأكدت أن «جولي» ذهبت إليك؛ لأنهم أخبروني أن فتاة أخرى سألت عنك قبلي..

أطرقت «أنجيلا» برأسها وهي تدفع بكلماتها لتخرج مرغمة حتى قالت بانكسار:

- استغرق الطريق عدة ساعات، وذهشت كثيرا من وجود سيارة إسعاف وعدة سيارات شرطة، فاستفسرت عن الأمر.. وضُعت عندما رأيت «جولي» غارقة في دمائها، لم أستطع تصديق ما أرى.

فهل ماتت «جولي» حقا؟! وما سبب تلك الدماء؟! لم أبكِ لأنني لم أصدق الأمر.. وتوسلت إلى رجال الشرطة أن يخبروني بما حدث، لكنهم قالوا لي ببساطة:

- لقد تعثرت ووقعت في الوادي المملوء بالحجارة فارتطم رأسها ولم يتحمل جسدها النحيل؛ إذ إنها ظلت تنزف حتى ماتت منذ ساعات..

ضمت «أنجيلا» قبضتيها بشدة وقد تناثرت دموعها على رداثها وهي تقول:

- تركتها وركضت إليك.. فلما وصلت وجدتك تلملم أدوات الرسم وتلقي

بها عن الجرف مع لوحاتك.. وأنت تصرخ بحنق..
كنت في حالة مزرية وكأنك وحش هائج.. لكن هذا لم يمنعني من الاقتراب
منك وسؤالك بمنتهى الجراءة:

- ما الذي فعلته بها؟!

نظرت إليّ بحقد كبير وأنت تبكي.. ثم صرخت بعدها قائلاً:

- لقد قتلتها.

تردد صدى صوت صرخاتك في أرجاء المكان، ولم يسمعها أي منهم، وكأن
الجميع أصيبوا بالصمم حينها.. وطُوي ملف التحقيق على أن الحادث
والضعف الذي سببه المرض هما سبب الوفاة..

انسابت الدموع الحارقة على وجه «أنجيلا» الذي أصبح جامدا كالتمثال..
صمتت لوهلة ثم حركت شفيتها قائلة:

- تقبلت الأمر مرغمة.. وبدأت أنت تعاملني بقسوة شديدة وتكيل لي
الشتائم كلما رأيته؛ لأنني أشبه «جولي» التي كنت تمقتها.. فكرت مرات
ومرات أن أقوم بقتلك انتقاماً لها ولنفسي منك، لكنني لم أستطع فعل
ذلك..

ثم أغمضت عينيها بشدة وصاحت قائلة:

- لا تزال رسالتك محفوظة في هاتفها حتى الآن وكان نصها: «(جولي)..
سأريك شيئاً مهم.. وأخيراً استطعت ذلك».. عرفت حينها أنها قد تحدثت
معك ولو لمرة واحدة، وبعدها فعلت ما فعلته بها.

ارتجفت أطراف «ماريمو» وعلا الخوف وجهه وهو يسترجع تلك الأحداث
التي تصادمت في ذهنه كشلال ماء هادر.. وتمثلت صورة «جولي» وهي
تسقط وتمد يدها إليه ودموعها التي اختلطت بالمطر.

انتفض «ماريمو» فجأة واقفاً وسط حيرة «موني» ودهشة «أنجيلا»..
وأمسك بيدها وشدها لتقف قائلاً بصوت مرتفع:

- خذيني إلى ذلك الجبل.. فهناك.. شيء مهم..
وقفنا على ذلك التل الصخري وقد كانت الرياح عنيفة.. ظل «ماريمو»
يبحث في الأرجاء كطفل حائر.. بينما وقفت «أنجيلا» تراقبه بقلق.. ثم
سألته قائلة:

- ما الذي تبحث عنه؟! لقد مر عام على ذلك الحادث..
نزل «ماريمو» عن التل ببطء متشبثا بالصخور حتى وصل إلى نهايته واستقر
على الأرض التي غطتها الثلوج..
حفر بكلتا يديه بقوة كبيرة فتناثرت الثلوج وتبعها الوحل حتى اصطدمت
أطراف أصابعه قدميت على طرف شيء صلب مد يده وشده بقوة كبيرة
لتخرج فيها تلك اللوحة.. تراجع إلى الخلف حتى اعتدل واقفا وهو ينظر
إليها بابتسامة باهتة وأنفاس متلاحقة..

كان مرسوما فيها شجرة مملوءة بثمار التفاح وخلفها هرم من البشر بداية
بـ«هنري» و«أنجيلا» و«جولي»، ثم ناس ليس لهم ملامح..
ضحك «ماريمو» من قلبه، ثم تحولت ضحكته إلى صمت مطبق، ثم ما لبث
أن صرخ بكل ما يملك من قوة صرخة مؤلمة تردد صداها بين الجبال التي
شهدت قصة لم يكن لنهايتها مثيل..

* * *

وضعت يدها على زر الكهرباء فأضاءت الغرفة التي كانت مساحتها صغيرة وبها سرير أبيض فقط وخالية تماما من أي أثاث آخر.. ثم قالت بهدوء:
- هذه غرفة «جولي».. ولم يتم العبث بها؛ لأنني لم أفتحها من يومها..
فعندما عدت بحثت فيها قليلا لكنني لم أجد ما يثير الاهتمام ففضّلت غلقها..

دخل «ماريمو» الغرفة ثم جثا على ركبتيه بجانب الفراش ووضع اللوحة المهترئة أرضا.. ثم مرر يده على منتصف خشب السرير وطرق بأصابعه فخرج منه درج بسرعة أدت إلى تناثر الأوراق خارجه.
فوجئت «أنجيلا» بالأمر، بينما ابتسم «مونتي» ابتسامة حزينة.. أما «ماريمو» فقد أمسك بالورقة الأولى وقرأها بصوت مرتفع وقد كان مكتوبا فيها:

- «هنري» أنا سعيدة لأنك بخير.. فها أنت تقرأ رسالتي في المخبأ السري الذي لا يعرف به أحد غيرنا.. أنا الآن في عالم آخر، لكنني سعيدة لأن معنى حصولك على رسالتي أنك تحولت إلى تفاحة وأنت تعطي ما في قلبك من بذور صالحة إلى مجتمعك الذي ستنمو فيه الكثير من أشجار التفاح الصالح الذي له قلب يعطي ما به من بذور صالحة بدوره لآخرين..
أستطيع الآن القول إنني أحببتك، لكنني كذلك أردت أن تتحول إلى شخص أفضل يوما ما.

التقط «ماريمو» ورقة أخرى وقرأها بصوت أعلى: أنا أموت الآن.. أشعر ببرودة الموت تسري في عروقي.. لكن وصلتي الآن رسالتك الأولى وقرأت فيها: «جولي».. سأريك شيئا مهما.. وأخيرا استطعت ذلك.. لم أستطع كبح جماح نفسي.. فمشيت بل ركضت إليك، فهل فهمت سبب اهتمامي بك؟! هل وصلك ما كنت أرمي إليه؟! أرجو أن يتأخر الموت ولو قليلا حتى أراك.. سأتي إليك الآن.

وضع «ماريمو» الرسائل من يده وأطرق برأسه بشرود تام وقد لمعت عيناه بالدموع وتحركت شفتاه قائلاً:

- لقد فهمت ما تريده مني «جولي».. وبدأت فعلاً أغير حياتي وأتعلم أن أفيد غيري وأولهم أنتِ و«جولي».. كنت أخطط لكي أعالجها عند طبيب علمت أنه قد اخترع علاجاً جديداً لحالتها، وبذلك كنت سأجعلك سعيدة، وأصبح التفاحة الأولى التي ستعطي بذورها لتنتج عدة تفاحات صالحة، ورسمت ما أخطط له في هذه اللوحة.

مسح بيده على اللوحة وهو ينظر إليها وفي عينيه يظهر دفء مشاعره وقال:

- لقد أتت إليّ ولم أكن أعلم أنها مريضة جداً وأنها تحتضر.. وعلى الرغم من قسوتي وجفائي معها من قبل ظلت تبكي بسعادة وهي تقترب مني ومن لوحتي من الخلف إلا أن قدمها زلّت لتجثو على ركبتيها.. سمعتها تناديني وهي تصرخ، فسقطت اللوحة من يدي، وركضت إليها، لكنها كانت قد سقطت عن الجرف، لتموت، وتتحطم بداخلي البذرة الصالحة لأنني فاسد ولن أنتج بذوراً صالحة من قلب فاسد..

وبعدها كرهتك لأنك كنت تمثلين فشلي.. ولأنك تشبهينها إلى حد كبير لم أكن أطيع النظر إلى وجهك؛ لأنني أقنعت نفسي بأنني السبب في موتها وقتل روحك معها.. وبعدها رسمتها وهي مشنوقة وتنزف دمي لأنها ماتت لأجل شخص وضع مثلي..

قال «ماريمو» جملته الأخيرة بصوت عالٍ وهو يضع رأسه بين كفيه وأخذ يرتجف ويبكي..

وضعت «أنجيلا» يديها على كتفيه وأجهشت بالبكاء.. وكأنها عندما أيقنت ببراءة «هنري» أيقنت بموت «جولي» أيضاً..

* * *

فُتح الباب الزجاجي لمُدخل القصر الداخلي، ودخل ومن خلفه «مونتي» في سكون تام، سمع صوتاً أنثوياً من بعيد يقول وقد انتشله من تفكيره: - هل قابلت «أنجيلا»؟! هل عرفت منها أي معلومات جديدة؟! رفع «ماريو» عينيه إلى حيث جلست «كريمسون» على الأريكة وأمامها الكثير من أكواب القهوة.. وقد بدت شاحبة.. ابتسمت بلطف، وعندما لاحظت صمته الغريب انقبضت ملامح وجهها ورفعت أحد حاجبيها قائلة باستفهام: هل أنت بخير؟! أوماً برأسه ثم قال بصوت حزين: - لو أنك علمت أن شخصاً ما ضحى بحياته من أجلكِ وقد كنت لا تستحقين ولو نظرة شفقة منه وبقيت أنت على قيد الحياة، لكنك لم تقومي بما كان يرجوه منك، وكأنك قتلتِ هذا الشخص مرات ومرات قبل أن تقتلي نفسك وتلقيها في الجحيم، فماذا تفعلين؟! ثم ارتبك قائلاً: - لا أستطيع التعبير عما أشعر به بشكل جيد.. صُدمت «كريمسون» مما قاله، وكأنه أصابها في الصميم وترددت في قلبها عدة كلمات: - «تضحية، لا تستحقين، نفسك البائسة، تلقيها للجحيم». تلعثمت الكلمات في ذهنها قبل أن تتلعثم على شفيتها، وكان أقصى ما استطاعته هو كبخ دموعها عن النزول.. أدار ظهره مغادراً وهو يقول بهمس: - آسف.. سأخرج قليلاً، أريد أن أستنشق بعض الهواء.. قاطع خروجه صوت «كريمسون» وهي تقول بهدوء: - سأقلقك بسيارتي.. فالسائق نائم الآن.. أعرف مكاناً جيداً سيناسبك..

* * *

كان الجو جميلا على الرغم من برودته المنعشة التي داعبت شعره ووجهه بلطف وهو جالس يتأمل ذلك البحر بأواجه الهادئة وهي تضرب الصخور على الشاطئ برفق..

كان «مونتي» مسترخيا بجانبه مستمتعا برؤية الأمواج وهي تضرب الصخور محدثة صوتا متناغما..

ظلت «كريسون» تراقبه من بعيد وهي تجلس في سيارتها وقد أمسكت بالمقود بكفين مرتجفتين قائلة بانفعال:

- ماذا عليّ أن أفعل لمساعدته؟! لقد أراد الخروج وحده ولا أريد أن أقحم نفسي في أحزانه.

ارتخت يداها على المقود وأسندت رأسها بحزن عميق على ظهر الكرسي من خلفها وهي تتذكر ذلك الرجل ذا الشعر الأبيض ووجهه المبتسم لها بحب..

استجمعت قواها وفتحت الباب ووقفت وهي تنظر نحو «ماريمو» الذي ظل ينظر إلى البحر..

شدت معطفها الأزرق بيدها ثم تقدمت نحوه وهي تقول بصوت مرتفع:

- أليس المكان جميلا؟!

انتبه «ماريمو» لصوت «كريسون» فالتفت إليها باستغراب.. فتوقفت وهي تقول بعينين راجيتين:

- أود الحديث معك..

أفسح لها المكان الذي بينه وبين «مونتي» وابتسم بعذوبة وهو يقول:

- سأكون سعيدا بوجودك..

ابتسمت «كريسون» وهزت رأسها فتحرك شعرها قائلة بشيء من الانزعاج:

- «كريسون» اسم معقد نوعا ما.. بإمكانك مناداتي باسمي الحقيقي:

«سارا».. اسم قديم لكنه عزيز عليّ..

دُهِش «مونتي» لجرأتها بالبوح باسمها الحقيقي، لكنه أحس بنوع من الراحة لذلك..

جلست وسطهما وأخذت تتأمل البحر وقد تلاعب الهواء بخصلات شعرها الوردية القصيرة على جبينها ثم قالت بحماسة:

- أتعرف؟ لقد عشت ماضيا مؤلماً أنا أيضاً؛ لذا لنقُم بمساعدة بعضنا البعض.. لقد خسرنا بما فيه الكفاية.. ولن نسمح بخسارة المزيد.

عقدت أصابعها ونظرت إلى البحر الهادئ نظرة حزينة وقالت:

- كنت دوماً أعتقد أنني في أمان تام لأنني - وبكل بساطة - ظننت أن الناس جميعاً كالعجوز «روبرت» تماماً..

نظرت إلى «ماريمو» نظرات عميقة وابتسمت قائلة بهمس:

- لكنني وجدت له شبيهاً واحداً فقط.. هو أنت؛ لهذا سأبدل كل جهدي لمساعدتك.. ثم قالت في نفسها بدفء:

- لن أنسى أبداً أنك قتلها يوماً «فأنا رجل»..

ظل «ماريمو» صامتا وقد بدا عليه الاستغراب ثم قال باهتمام:

- من ذلك العجوز؟!

ارتسم الحزن على وجهها ثم تنهدت بعمق وهي تضع يدها على صدرها قائلة:

- بداخلي أربعة قلوب تنبض باستمرار دون توقف؛ فهي تتناوب النبض حتى أظل على قيد الحياة.. والعجوز كان سبباً في قدراقي الحالية؛ لذلك يجب أن أعيش الحياة التي كان يرغب لي أن أعيشها.. والتي كان يريد لها لي أصحاب القلوب الثلاثة الباقون أيضاً.. اتسعت عينا «ماريمو» وهو يعثر على الجملة التي كان يبحث عنها بالضبط.. أطلق ضحكة عالية ثم صمت وأخذ يحرق إليها بسعادة قائلاً بصوت تأججت فيه العزيمة:

- رغبة «جولي» أن أعيش الحياة التي أرادت لها لي.. هذه هي الجملة المناسبة

لوصف ما تذكرته من أحداث ماضية بعد حديثي مع «أنجيلا»..
ثم ابتسم بدفء وأطلق تنهيدة بسيطة وعاد لينظر إلى البحر قائلاً:
- من النادر أن تصادف شخصاً يهتم بحياتك أكثر مما قد يهتم بحياته هو.
ونظر نحو «كريمسون» المشدوهة ثم قال بصوت هامس وابتسامة صافية:
- يبدو أن هناك شيئاً يجمعنا.. وهذا يشعرني بالراحة..
سيطرت الحيرة على ملامح «كريمسون» التائهة في نظرات «ماريمو» التي
تشبه نظرة العجوز «روبرت» تماماً الذي كان يفهمها دون أن تنطق..
ارتسمت على شفثيها ابتسامة حانية وقالت بهدوء:
- سأطلعك على كنزي الثمين.. بما أننا نمتلك المفتاح نفسه..

* * *

غربت الشمس مكونة احمراراً يتوهج بحزن وضعف وكأنها حُبست خلف
ذلك السياج من السحب.. كانت الشوارع هادئة وقد أُخمد للتو الحريق
الذي شب في المنزل الذي قُتل معظم ساكنيه.. وفُرقت الناس بعد ذلك
مشاغل الحياة..

في تلك الزاوية المظلمة.. لم تستطع تحمل ذلك الألم الذي ينهش أحشاءها..
إنه الجوع.. صرخت باكية بكاءً تذوب له القلوب.. كان ذلك الرجل يمر من
المكان ومعه صبي صغير، حين تطرق إلى سمعه صوت بكاء شديد لطفل
رضيع توقف والتفت ناحية الصوت الذي كان يأتي من ناحية أحد الأزقة
الضيقة..

مشى نحوه دون تردد ولحق به الصبي الصغير وهو يقول باستغراب:
- هل سمعت ذلك الصوت سيدي؟! يبدو أنه يأتي من الزقاق..
همهم الرجل وهو يدخل نحو الظلمة حتى دخل المنزل المحترق.. وفي أحد
الأركان وجد طفلاً رضيعاً يبكي وهو يحرك أطرافه خارج فراشه..

قال الصبي الصغير بحماس وهو ينظر إلى الطفل:
- لا بد أنه من الناجين من ذلك الحريق.. أهو بخير؟!
حمل «الرجل» الطفل بقبضة يده الكبيرة ثم همس قائلاً بصوته المبحوح:
- إنها طفلة، وهي بخير؛ لذا لنتركها وشأنها..
عقد الصبي حاجبيه بحزن ثم قال بتردد:
- لكن إذا تركناها فرمًا تعطيها الشرطة لأحد الأغنياء لتصبح فأراً لتجارهم..
ألم تقل ذلك من قبل؟!
أطلق «الرجل» تنهيدة وهو يعيد الطفلة إلى مكانها قائلاً بحزم:
- إنها فتاة.. من الصعب إيواؤها.. كما أنني لم أذكر تسليمها إلى الشرطة..
فوجئ الصبي الصغير بما قاله ولم يستطع منع نفسه حتى صرخ قائلاً:
- هل ستتركها تموت؟! هذا المبنى المحترق كان مأوى للأيتام وهي ليس لها
أحد يحميها.. هل ستتركها لأنها فتاة؟ سأخذها أنا..
نهض «الرجل» وغادر المكان وهو يحرك يده بلا مبالاة قائلاً بصوت متحد:
- إن استطعت حملها سنأخذها لتعيش معنا..
ارتسمت السعادة على وجه «جون» واستدار بسرعة ناحية الطفلة التي
ظلت تبكي بلا توقف فتبدلت ملامحه.. لف حولها الغطاء ثم حاول رفعها
حتى احتواها ببطء وحذر بين ذراعيه، متنهداً براحة ثم ربت عليها بحنان
قائلاً:
- لا تقلقي أيتها الصغيرة، العجوز رجل طيب القلب وسوف يجعلك
تعيشين معنا..
صفق الجميع بحرارة وهم يسخرون من «جون» ومحبوبته الجديدة..
وظل هو محمر الوجه وهو يصرخ لإسكاتهم، أوقفهم بكاء الطفلة فالتفوا
حولها جميعاً وأخذوا يداعبونها، لكنها استمرت في البكاء فأبعدهم عنها
قائلاً بصوت مرتفع:

- ابتعدوا عنها، إنها جائعة.. سأذهب لأشتري الحليب، فلا تقتربوا منها..
فجأة ألقى إليه السيد «روبرت» - الذي اتكأ على تلك الأريكة القديمة
وأرعى قبعته الصوفية على وجهه - بحقيبة ورقية وهو يقول:
- لقد اشتريته من المبنى المجاور.. سوف يكفيها لعدة أيام..
أخذ «جون» يتفحصها باهتمام فوجدها تحوي بضع زجاجات من حليب
الأطفال فقال بامتنان:
- شكرا سيدي.. كنت أعلم أنك سترحب بها.. في منظمتنا..
ابتسم السيد «روبرت» ثم أشاح بوجهه متصنعا النوم.. غير أن الدخان
كان ينبعث من السيارة التي لا تفارق فمه.

* * *

كانت تصرخ بحماسة وهي تحكي مشهدا لضرب أحد الأشخاص قائلة:
- وبعدها رميت العصا بين قدميه فعرقلته ووقع أرضا.. واستطعت بذلك
خطف سلاحه.. وبعدها هربت سريعا.
ضحك «روبرت» وهو يداعب شعرها الوردي المبعثر ثم نظر إليها باهتمام
وهو يقول:
- لا تورطي نفسك مع رجال أكبر منك سنا.. قد تصابين بأذى..
عبست وأبعدت قبضته الضخمة عن رأسها بيديها الصغيرتين وهي تقول:
- أنا أقوى من الرجال جميعا.. وأستطيع هزيمة أي رجل مهما كان قويا.
اعتدل «روبرت» جالسا على الأريكة وهو ينظر باهتمام إلى «جون» الذي
دخل للتو ويبدو عليه الإنهاك الشديد وسأله قائلاً:
- هل نجحت المهمة؟!
أشاح برأسه فتنثر شعره الأشقر المبلل على وجهه الملطخ بالوحل وهو
يحاول مسحه بظاهر يده وقال بأسى:

- لقد أصيب «مايك» واستولت عليه العصابة لعلمها أنه سلاح قوي.. ولم نستطع سوى خطف القليل من أسلحتهم المنفصلة..
همهم «روبرت» ثم أغمض عينيه قائلاً بابتسامة ساخرة:
- هذا خطؤه.. كان يجب أن يأخذ حذره.. لا تفكر بالذهاب لمساعدته..
أسمعت؟!!

لم يستطع «جون» إخفاء غضبه وهو يرد على مضض:
- حاضر سيدي العجوز..
ضحكت «سارا» وهي تشير إليه بسخرية قائلة:
- أيها الأحمق.. ألا تستطيع أن تدير مجموعة من خمسة أشخاص فقط؟
غضب «جون» ورفع قبضته مهدداً وهو يقول بصوت غاضب:
- اخرسي.. ولا تتدخل في عمل الكبار أيتها الطفلة..
حدقت إليه «سارا» بنظرات قاتلة وهي تقول بتحدٍ:
- أستطيع كطفلة أن أدير أمر المجموعة في أي مهمة أفضل من شاب أحمق مثلك..

ضحك «روبرت» بصوت عالٍ وضرب ظهرها بعنف وهو يقول:
- حسنا.. تلك الفتاة تقرأ ما يدور في ذهني..
ظهر الحزن على وجه «جون» فأدار ظهره وانسحب من الباب الخلفي..
نقر «روبرت» جبينها وهو يتنهد بعبوس مصطنع قائلاً:
- يبدو أنه غضب.. لِمَ لا تذهبين لمواساته؟!
فغرت «سارا» فاها باعتراض ثم شدت قبضتيها وهزتها قائلة:
- وما شأني به؟! لم أفعل له شيئاً..

عقد «روبرت» حاجبيه بامتعاض ثم قال:
- أنتِ فتاة طيبة وتستطيعين التخفيف عنه بالاعتذار..
زمت شفتيها بقوة واحمر وجهها من الغضب ثم صاحت:

- أنا لست فتاة.. كم مرة يجب أن أقول ذلك؟! أنا سأصبح رجلاً أقوى من الجميع هنا.. كان شعر الفتاة الوردي قصيراً كالأولاد وكانت ترتدي ملابس لا تمت لملابس البنات بصلة..

تنهد «روبرت» معلناً تراجعاً عن محاولة إقناعها بكونها فتاة.. فرقد على الأريكة القديمة وأخذ يحدق في حلقات الدخان التي تخرج من السيجارة التي في فمه ثم قال بهدوء:

- لا يمكن لنا تغيير الحقائق أبداً.. والحقيقة أنك فتاة..

في الليلة نفسها، دخل «روبرت» وهو يتكئ على جدار المنزل الخشبي وقد أصاب البلل ثيابه التي احترقت أطرافها ودخل من خلفه شاب بني الشعر رث الملابس، كان بالكاد يستطيع أن يلتقط أنفاسه من التعب، وهو يقول:

- آسف سيدي.. ما كان عليك مواجهتهم بمفردك لأجلي..

أطلق السيد «روبرت» ضحكة ساخرة ثم مشى وهو يعرج نحو باحة المنزل المظلمة وهو يقول:

- لم أخطر بنفسي لأجل أحد قبل الآن.. لكن لديك سلاحاً جيداً يا «مايك» وأنا أحتاج إليه.. لا تخبر أحداً بما حدث..

قطب «مايك» حاجبيه بضيق ثم تنهد مستسلماً..

كانت «سارا» تطل من جانب الباب الخلفي وقد بدا عليها الغضب والانفعال.. ثم ركضت نحو الخارج بعد أن لاحظها «روبرت» بنظراته المستفهمة..

مدّ لها «جون» يده التي تحمل دمية بسيطة رخيصة الثمن ثم داعب شعره الأشقر قائلاً:

- لم يكن معي ما يكفي إلا لشراء هذه الدمية.. وقد رأيتك تحدقين بها بالأمس.. فعرفت أنها تعجبك..

عبست «سارا» ووضعت يديها خلف ظهرها لتكبح جماح رغبتها بأخذها

قائلة بصوت مرتفع:

- أنا لا أَلعب بالدمى؛ فهي للفتيات فقط.. وسأصبح رجلا يفخر به «روبرت» أكثر مما يفخر بك وب«مايك» أيضا.
ضحك «جون» بسخرية ورمى بالدمية إليها وهو يقول:
- لا تكابري.. خذيها.. واعتبريها هدية من أخيك الذي يثق به ذلك العجوز..
لم تشأ أن يرى لحظة ضعفها المتجسدة في نزول دموعها، فأشاحت بوجهها وتركت المكان بسرعة.. وتركتته حائرا..

* * *

انبعث الدخان من سيجارته وهو يراقب غروب الشمس من فوق سطح المبنى وقد التمعت خيوطها الذهبية على شعره الأبيض..
وقفت إلى جواره وقد قاربته طولا وظلت تحديق إلى الغروب من خلف البنايات القريبة ثم نظرت إليه قائلة بهدوء:
- ذكرت لي أنك أعطيتني سلاحا جسديا.. لكنني لا أستطيع استخدامه أو الشعور به.. هل تخدعني أيها العجوز؟!
ارتسمت ابتسامة صافية على شفتيه وتحركت سيجارته في فمه وهو يقول:
- لا عليك.. فأنت ماهرة في استخدام الأسلحة المنفصلة وقيادة السيارات باحترافية عالية.. ألا يكفيك ذلك؟!
شدت على قبضتيها وتبدلت نظرتها لتصبح جامدة ثم قالت:
- الجميع هنا يمتلكون أسلحة جسدية من إبداعك.. وأعطيتني أنا خرقة بداخلي حتى توقف إلحاحي عليك لإعطائي إياه.. هل تفعل ذلك لأنني فتاة؟!

صمت «روبرت» قليلا ثم نظر إليها نظرة عميقة وقال بهمس:

- لقد قمت بحمايتكم لمدة طويلة، لكنني سأموت يوماً.. وحينها أريدك أن تأخذي مكاني في قيادة الجميع، وسوف يساعدك على ذلك السلاح الذي زُرع بداخلك..

دُهمت «كريمسون» لما قاله، ثم قالت بانفعال:

- وكيف سأفعل وأنا لا أعلم ماهية ذلك السلاح؟!

همهم «روبرت» وهو ينظر حيث غربت الشمس ثم قال بابتسامة حانية: - ستعلمين عندما يحدث شيء مؤسف..
لم تستطع تفسير كلماته الغامضة وفُضِّلَت الصمت لحين حدوث ذلك الشيء.. المؤسف..

صرخ «مايك» منادياً وقد غطته الدماء وهو يحمل «جون» الذي جُرح جرحاً مميتاً بين يديه.. كان «جون» شاحب الوجه فاقداً للوعي..
التف الجميع من حوله وهم يحاولون حمله منه، لكن «مايك» كان يصرخ فيهم وهو يبكي:

- لم يقبله أي مشفى قريب.. إنه يموت..

ولأول مرة كان العجوز «روبرت» يقف بجمود والدموع تملأ عينيه وهو يراقب «جون» يعاني سكرات الموت ويلفظ أنفاسه الأخيرة..
وفجأة التفت ببطء نحو «كريمسون» وقد انسدل شعره الأبيض على ملامحه الغامضة قائلاً:

- ضعي يديك فوق قلبه.. الآن!!

لم تمتلك «كريمسون» أي رد فعل سوى أنها قامت بوضع يديها بسرعة على قلب «جون» لتغرقا بدماؤه المتدفقة، ثم قالت بصوت مرتجف: - ماذا أفعل الآن؟!

زم العجوز «روبرت» شفتيه وهو يدفع عبراته ومد يده ومسح على شعر جون قائلاً بهدوء:

- حاولي الاستيلاء على قلبه قبل أن يفارق الحياة..
صُدم الجميع مما قاله وظلوا يصرخون بشدة غير مصدقين، بينما أصرت
«كريمسون» على فعل أي شيء لإنقاذه.
ضغطت على قلبه لينبعث منه ضوء مفاجئ.. ثم بدأ يتوقف عن النبض..
شعرت «كريمسون» بثقل غريب في صدرها..
تجمدت ملامح «جون» فتأملته وهي غير مدركة لما حدث ثم خرج صوتها
المرتجف قائلة:
- «روبرت».. إنه لا يتحرك.. هل فشلت في إنقاذه؟! متى سينبض قلبه من
جديد؟!

نهض «روبرت» وأدار لها ظهره مغادرا وهو يقول بصوت هادئ:
- هذا هو سلاحك.. لقد سلبت قلبه.. ولقد مات «جون» وانتهى أمره..
تعالى أنفاس «مايك» وتعالى صراخه وهو يقول:
- ما الذي تقوله أيها العجوز؟! ولماذا قمت بشيء حقير كهذا؟!
ظل البقية يحركون «جون» وينادونه.. بلا مجيب..
نهضت «كريمسون» وجرت باتجاه «روبرت» وسددت له لكمة قوية
أسقطته أرضا.. ثم شدته من ثيابه بقوة وهي تصرخ باكية:
- أي سلاح أعطيتني؟! لقد قتلت «جون».. ما الفائدة من سلاح كهذا؟! وما
الذي نستفيد به جميعا من قتل...
قاطعها «روبرت» الذي ما زال محافظا على هدوئه قائلاً:
- ضعي يدك على قلبك ولا تفكري بشخص سوى «جون».. هيا افعلي ما
أمرك به..

ارتخت يداها وتركت ثيابه، ولم تستطع أن تمتلك خيارا آخر.. مدت يدها
المرتجفة إلى قلبها وأغمضت عينيها لتفويض الدموع منهما..
سيطرت الدهشة على الجميع لما يرونه أمامهم؛ فقد تبدلت «كريمسون»

وأصبحت صورة طبق الأصل من «جون».. حولوا أنظارهم نحو جثته، ولكن!! لم يكن هناك سوى بقعة من الدماء..

* * *

- أتصدق؟ لقد سرقت قلبه وجسده وسلاحه في لحظة واحدة..
قالتها «كريمسون» وهي تنظر إلى أمواج البحر الهائجة بفعل الرياح التي ضربت ملامحها الحزينة الشاردة.. ثم تحركت شفتاها قائلة:
- أتعلم شعوري وأنا أحمل بداخلي جسد شخص ميت ينبض قلبه لأجلي؟
حتى أنا لم أدرك ما الذي أفعله بأربعة قلوب حتى الآن..
كانت الحيرة والتأثر باديين على وجه «ماريمو» وهو يراقب قسمات وجهها الحزين.. فانتبهت ونظرت إليه بارتباك قائلة:
- آسفة لأنني حكيت لك عن ذلك وأنت لديك ما يكفيك من الهموم؛ لذا لا عليك..

تحركت شفتاه لا إراديا وسألها باهتمام:
- والقلوب الأربعة الأخرى.. كانت لمن؟!
همهمت «كريمسون» وهي تخفض وجهها بشرود كئيب ثم قالت بهدوء:
- كنا في مهمة وقُتل «مايك».. وعثرت عليه مصادفة وهو يحتضر.. وعندما حاولت نقله تعلق بي وهو يرجوني أن آخذ قلبه وبسرعة، حتى يظل بجانب «جون»، ففعلت ذلك بلا أدنى شعور بالذنب.. ولم أشعر إلا بدفء قلبه وهو ينبض من جديد.. ربما لأنه أراد ذلك..
والقلب الأكبر..

صمتت وهي تزم شفتيها المرتجفتين، ولم تستطع منع دموعها الدافئة من الجريان على وجنتيها المحمرتين وهي تقول:
- إنه قلب العجوز.. «روبرت».

تمثلت بذهن «ماريمو» صورة ذلك العجوز، فدهش لذلك.. وقال:

- مستحيل.. العجوز «روبرت»!

شدت «كريمسون» على قبضتيها بشدة وأطل الحقد من عينيها وهي تقول
بحق:

- لقد كان الأمر قبل سنتين من الآن عندما انضمت إلى منظمتنا فتاة أخرى
في مثل عمري.. فرح «روبرت» لأنه أراد وجود فتاة أخرى برفقتي؛ لأنني
لم أكن أتعامل مع الحياة كأنثى.

كانت تُدعى «ليلي» وكانت سلاحا بشريا قويا جعل «روبرت» يفخر بها
دوما، ولا أنكر أن ذلك أصابني بالغيرة.. ما جعلني أشك بكل ما تفعله
وأصفها دائما بالخائنة، وكان يضحك من غيقي تلك لثقتي بها بعد أن أنقذها
من مهمة كادت تؤدي بحياتها.. لكنه فقد بصره وهو ينقذها؛ حيث ألقى
واحدا من أعدائها مادة كيميائية في وجهه أفقدته البصر..

ابتسمت «كريمسون» بحب وهي تقول:

- كان يضحك ويدخن وهو يقاتل باحترافية.. كما لو أنه لم يتأدَّ قط.. كان
أروع رجل رأيته.. كان يجمع المشردين من أمثالي تحت جناحيه..

وضعت يدها على جبينها واحتدت عيناها قائلة بصوت مُلئ بالكراهية:
لقد قتلته «ليلي» بعد أن ضحى بعينه لكي ينقذها.. كانت قد أشهرت
سلاحها وكادت تطعنني حتى تسرق سلاحي.. لكنه وقف في وجهها
ليحميني.. صرخت بعنف وهي تطلب منه أن يخلي بيني وبينها، لكنه ظل
واقفا وهو ينزف بشدة بعد أن أصابته بسلاحها في مقتل.. اندفعت نحوها
بجنون وقتلتها وانتزعت قلبها من بين أحشائها.. لكن ليس حبا هذه المرة..
وإنما كرها شديدا.. فكان قلبها هو القلب الثالث..

هدأت ملامحها ثم ضحكت بسخرية وهي تهز رأسها وقد اكتسى وجهها
بالدموع وتقول:

- وعندما سألته عن سبب تضحيته بنفسه لإنقاذي، أجابني بابتسامته المعهودة التي كنت أراها على شفثيه طوال ١٥ سنة قضيتها تحت حمايته وقال بصوت مرح:

- «لأنني رجل».

وبهذه الكلمة ختم حياته وكأنه يخبرني بأن الواقع لا يمكن تغييره.. بل سيظل يضربنا بسياطه كالعبيد حتى نطيعه.. ولم يكن بيدي سوى أن آخذ قلبه بناء على طلبه.. وكان هو القلب الرابع.

نظرت إلى «ماريمو» ثم وضعت يدها على قلبه وهي تبتسم بدفء قائلة: - لم يكن بيدي اختيار القلب الذي أعطيته لك.. فكل منها يدق لعدد من الساعات ثم يتسلم منه العمل قلب آخر ليكمل عدداً آخر من الساعات.. وهكذا، وعندما وجدتكَ كان الدور على قلب «جون»؛ لذا أعطيته لك..

ثم همست قائلة بصوت مختنق بالدموع:

- أرجوك.. حافظ عليه..

وضع «ماريمو» يده على يدها وشد عليها وكأنه أدرك أنها ضحت بظهور «جون» ثانية بإعطائه قلبه.. وكأنه مات مرة أخرى..

- ابكي «كريمسون».. كفاكِ كتماناً.. أخرجي ما بداخلك لتستريحِي.

قالها «ماريمو» وقد غطى شعره الأخضر عينيه بشكل غامض..

ارتجفت بعنف ولم تستطع كبج جماح دموعها فانفجرت باكية وكأنها ما زالت تلك الطفلة الرضيعة التي كانت تبكي جوعاً..

أمسك كتفها بشدة وقال بصوت جاد هامس:

- أعدكِ بأنني لن أحافظ على قلب «جون» فقط.. بل وعلى القلوب الأربعة الأخرى أيضاً.

أرخت جفنيها ببطء وهذأت ملامحها المشدوهة وابتسمت بدفء وكأنها بين يدي ذلك العجوز العنيد..

ظل «مونتي» ينظر إلى البحر وهو يخفي ابتسامته لما وصل إليه «ماريمو»
من الثقة الكافية ليصبح شخصا جديدا..

وأخيرا.. أشرقت الشمس لتمحو كآبة العتمة.. وتلألأ موج البحر بنورها
الذهبي المتألق..

فجأة قال «ماريمو» بقلق:

- أليس اليوم هو الاثنين؟ لقد حان موعد المدرسة!!

ضحكت «كريمسون» وهي تمسح دموعها بظاهر كفها، بينما تنهد «مونتي»
بسخرية، وقالت:

- لن تتغير مطلقا.. أيها الغبي..

وقف «ماريمو» على الصخور ومد ذراعيه وملأ رئتيه بنسيم البحر الرطب
ثم قال بصوت مرتفع:

- لقد كانوا أحياء لأجلنا.. وماتوا بعد ذلك لأجلنا أيضا.. أقل ما يمكننا فعله
هو تحقيق آمانياتهم وما كانوا يريدونه منا حقا.. وبإصرار..

ثم التفت إلى «كريمسون» التي علت وجهها الدهشة وابتسم بثقة قائلاً:

- شكرا لك.. الآن فقط عرفت هذا المعنى..

تحركت شفتاها قائلة بذهول:

- شكرا؟!!

وضعت يدها على قلبها ورددت في نفسها:

- لقد أحييت في شعورا كنت قد نسيتَه منذ مدة طويلة.. شعورا لم يُرد لي
«روبرت» أن أنساه؛ لذلك أنا من يجب أن أشكرك.

رفعت عينيها الممتلئتين بالعزيمة وظلت تحديق إليه وهو يتنسم الهواء
الذي تلاعب بملابسه وشعره الأخضر وابتسمت بدفء..

* * *

في المدرسة، وضع «فرانس» هاتفًا خلويًا أسود اللون أمام عيني «ماريمو» المستغربتين وهو يصيح قائلاً:

- من الآن فصاعداً يجب أن أعلم بكل تحركاتك؛ لذلك يجب أن تمتلك هاتفًا..

ثم تأفف ممل وهو يدور الهاتف بين يديه قائلاً:

- إنه لك، ولقد اشتريت له غلافًا أخضر أيضًا.. مطبوعاً عليه قط أسود يشبه قطك المتغطرس.. في الحقيقة.. يبدو أنني أصبت بحالة كرم.

أخذه منه «ماريمو» بسرعة وقد بدت عليه السعادة وهو يقول:

- أنت شخص طيب حقًا.. هل توجد به أرقام الجميع؟

أوماً «فرانس» برأسه بثقة وهو يشير بيده قائلاً:

- أجل.. جميعهم عدا «كلاود»؛ فأنا لا أمتلك رقمه..

التفت «ماريمو» إلى «كلاود» خلفه وقال:

- هل لك أن تعطيني رقم هاتفك الشخصي؟!

تسلطت أعين الفتيات على «كلاود» وبدأت تظهر أصوات الأوراق وخربشة الأقلام..

لم يزعج «كلاود» عينيه عن كتابه الذي ظل يقرأه وهو يقول بهدوء:

- سأصل بك.. وعندها سيكون رقمي على هاتفك لتحفظه..

أصابته حالة من الاستياء جميع فتيات الصف.. وبدأن يتهاوسن.. بينما عمّت الراحة قلوب الفتيان..

أوماً «ماريمو» برأسه موافقًا.. وأخذ بعدها يتصفح جهازه الجديد بشغف..

بينما كان «فرانس» ينظر أمامه حيث كان «أنجيلا» الخالي وقال باستغراب:

- آنسة «كيومي».. لماذا لم تحضر «أنجيلا» اليوم؟!

ارتبكت بشدة وسقط القلم من يدها وترددت بأخذه وهي تقول:

- لقد قالت إنها ستغيب يومين.. فهي بحاجة إلى الراحة..
أشاح «فرانس» بوجهه متسائلاً في نفسه:
- يبدو أن الأمس كان حافلاً؛ لذا أحتاج إلى جلسة طويلة معه..
ظلت «كيومي» تحديق إليه وقد تلألأت عيناها قائلة في نفسها:
لأول مرة ينطق اسمي.. «فرانس»، لقد خطفت قلبي..
انتبه «فرانس» ليجد «ماكس» جالسا وكأنه إنسان آلي خالٍ من أي
إحساس.. أشار إليه ملوحاً بيده وهو يقول:
- ما الذي دهاك؟!
نظر إليه «ماكس» ببرود ثم عاد لينظر أمامه كالسابق..
أصيب «فرانس» بالاشمزاز والقشعريرة تسري في جسده ثم قال بصوت
مرتفع:
- لا تقل إنك حزين.. فهذا لا يناسبك إطلاقاً..
تنهد «ماكس» تنهيدة قسمت قلب «فرانس» إلى نصفين وأدرك أنه عاتب
عليه بشدة..
اقترب «فرانس» ووضع ذراعه على كتف «ماكس» قائلاً:
- لا عليك.. سأشتري لك تليفونا خلويًا مثله تماماً..
ظل «ماكس» ينظر إليه بضيق ثم أبعد يده عنه قائلاً بغضب:
- لقد تغيرت الأحوال بالطبع.. كان يجب أن أموت بعد أن فقدت سلاحي
الجسدي..
ترقرقت عينا «فرانس» بدموع كاذبة ثم أمسك بكتفي «ماكس» بشدة
قائلاً بصوت مؤثر:
- كنت سأقضي نحبي من الحزن عليك..
تلألأت عينا «ماكس» بالدموع الصادقة وصرخ قائلاً:
- لا عليك يا رجل، يمكنني نسيان الأمر.. أنا آسف فعلاً..

أشار «فرانس» إليه وأقسم بشرف الجلالة إنه سيظل صديقه إلى الأبد.
أوماً «ماكس» برأسه بسعادة.. وظلت «كريمسون» تبتسم بقلق من أجله..
وهامت «كيومي» بخيالها وهي تقول بصوت حام:
- كم هو مخلص لأصدقائه..

* * *

أغلق الباب الزجاجي من ورائه بإحكام فالتفت «ماريمو» ليجد «كلاود»،
فقال له باستغراب:

- من الغريب أن تأتي بعد المدرسة إلى منزلنا!
تنهد «كلاود» وهو يرفع خصلات شعره الطويلة عن وجهه قائلاً بهل:
- ألا يجدر بك الاهتمام بشركات وأموال أسرتك؟!

ظل «ماريمو» ينظر إليه وقد علت وجهه علامة استفهام كبيرة.. بينما استراح
«كلاود» على الأريكة ووضع حقيبته على الطاولة الزجاجية المقابلة.. قائلاً:
- أعني: أوضاع شركات «سايمون».. منازلك الصيفية وسلسلة الفنادق..
والخوت والطائرات الخاصة.. والعاملين السابقين..

ثم مسح بإصبعه على الطاولة ليلتقط الغبار ونظر إليه وهو يقول بهدوء:
- وأخيراً خدم المنزل.. أو كبير خدم أو ما شابه.. كلها تحتاج لعناية منك..
فغر «ماريمو» فاه ثم حك شعره وهو يقول بتردد:

- ليست لدي فكرة عن الإدارة؛ ففي السابق كانت أُمي تدير كل شيء..
قطب «كلاود» حاجبيه وأطلق نظراته القاتلة فارتعب «مونتني» قائلاً في
نفسه:

- هذا الشخص مخيف!

ابتسم «كلاود» بشكل ساحر ثم قال بلطف:
- لا تقلق.. لقد اهتممت بكل شيء.. أحضرت موظفين آليين للشركات،

وهذا أفضل حتى نستطيع الاطمئنان إليهم.. وأحييت عمل الفنادق من جديد.. واستدعيت الخدم القدامى، وسيكونون هنا هذا المساء.. وأرجو أن تعذري؛ فقد اضطررت لاستخدام توكيل مزور لحل تلك الأمور العالقة..

ضحك «مونتي» بسخرية وهو يحاول فتح مشروب غازي قائلاً:
- حقا إنك محترف تزوير.. كيف خدعت هذه الشركات كلها بورقة واحدة؟!
- الأغبياء موجودون بشكل كبير، ومن الممكن أن يكون أحدهم حولك..
قالها «كلاود» بسخرية وهو ينظر إليه براءة، بينما استشاط «مونتي» غضبا.. ثم انتبه ليقول في نفسه مندهشا:
- هذه أول مرة يرد فيها أحدهم على حديثي معه.. هل من الممكن أن يكون «كلاود»...

قاطع شروده صوت «كلاود» الذي كانت نبرته غريبة وهو يقول:
- هل تنوي اكتشاف ذاتك حقا؟!
جلس «ماريمو» على الأريكة المقابلة وقال بلهجة جادة:
- لقد عرفت القليل عن الماضي.. أنا أخيرا إنسان له ذاكرة.. ويجب أن أحدد هويتي وأي مستقبل سوف أعيشه..
استرخى «كلاود» وهو يراقب عيني «ماريمو» ثم نهض قائلاً بهدوء:
- يجب أن تتحلى بقوة أكبر مما أنت عليه..
ضحك «مونتي» في نفسه وهو يقول ساخرا:
- يقصد بذكاء أكبر مما أنت عليه..
رن هاتف «ماريمو» فأخرجه من جيبه الخلفي ونظر إلى الشاشة فلم يجد عليها رقما، فقال في نفسه باستغراب:
- ما هذا؟ ليس هناك رقم أو اسم للمتصل!
لكن الهاتف ظل يرن بشكل منتظم..

فتح «كلاود» الباب وقبل أن يخرج قال له:

- لا تعبت كثيرا.. وكن جادا.. أراك غدا..

أغلق الباب من خلفه بينما مد «ماريمو» يده إليه وكأنه يطلب مساعدته، فما زال الهاتف يرن بلا اسم أو رقم فحوّل عينيه إلى «موني» الذي ارتعب وقال بحنق:

- ما هذا الوجه الكئيب؟ لم لا ترد على هاتفك؟!

نظر «ماريمو» إلى الشاشة مجددا وهي لا تزال بيضاء بلا حرف أو رقم، ثم قال باستغراب:

- لسبب ما لا أريد أن أجيب..

أعاد الهاتف إلى جيبه الخلفي فصرخ «موني» بانزعاج:

- لن أستطيع النوم في هذا الضجيج.. رد لنعرف من المتصل؛ فهي مجرد مكالمة..

اتجه «ماريمو» نحو السلم وهو ينظر إلى هاتفه قائلاً بقلق:

- «فرانس» مع «ماكس»، و«كريمسون» ذهبت لجلب الغداء.. ماذا عساي أن أفعل؟!

توقف عند الشرفة المطلة على ساحة المنزل الخارجية ليرى «كلاود» وهو يستقل سيارته فتردد في ذهنه صوته وهو يقول:

- ألا يجدر بك الاهتمام بأعمال عائلتك؟

لوى شفثيه ثم رفع الهاتف بقوة وضغط زر السماعة الخضراء.. ووضع الهاتف على أذنه وظل صامتا..

لم يرد عليه أحد فقال «ماريمو» باستغراب:

- مرحبا.. من أنت؟ ولماذا لا ترد؟

رد صوت غريب وله وقع عجيب على النفس قائلاً:

- أنا السيد «ون».. أريد محادثتك في أمر مهم..

ارتجفت يد «ماريمو» من الخوف والرهبة.. وأول ما طرأ بذهنه أنه مقلب من الأعيب «فرانس» أو «ماكس».. لكن قطع ذلك الظن رؤيتهم جميعاً وهم يتحادثون بالأسفل مع «كلاود».

شعر بوخز في قلبه الذي أخذ يدق بشدة.. وسمع صوت السيد «ون» قائلاً:
- ليس غريباً أن يدق قلبك بتلك السرعة.. فهو ليس قلبك بأي حال..

تحركت شفتا «ماريمو» قائلاً بحدة مرتبكة:

- ما الذي تريده مني؟! فأنا...

قاطعها السيد «ون» بحدة مرتبكا :

- أنت سلاحي، أنا من جعلك سلاحاً بشرياً، ومن حقى أن أطلبك وقتماً
أشاء، كما أنني لست من نوعك الذي يهوى البحث، فعندما أريدك أجذك..
صمت «ماريمو» لبرهة من هول الصدمة، فكيف علم السيد «ون» أنه
يبحث عنه؟ أخذ يللمل شتات نفسه ثم قال:

- عن أي أمر مهم تريد أن تتحدث؟!

- أشعر بالملل وأردت بعض التسلية.. وأنت تريد البحث في ماضيك لتعرف
أكثر وأكثر؛ لذا وجدت أنه من المناسب الآن أن نلعب قليلاً.. لكن قبل
ذلك..

صاح «ماريمو» بانفعال قائلاً:

- ماذا لديك؟!

رد بالنبرة الهادئة ذاتها، لكن بصوت لفه الغموض:

- لن أحدد وقتاً للعب؛ لذا سأطلبك في أي وقت.. ولن أطلبك عن طريق
الهاتف فقط، وإنما بوسائل أخرى، وأفضل أن يبقى أمر تلك اللعبة سرا
بيننا.. وبما أنك مصر على أن تعرف ما لدي.. فأستطيع أن أقول لك وبكل
ثقة: إنك لست «هنري سايمون».. والآن وداعاً.. إلى أن نلتقي..

أغلق الخط وظل طنين الهاتف يتردد في أذنيه.. وقف شارداً وقد علا وجهه

الذهول وهو يتذكر كل ما بذله من جهد وكل ذكرياته التي ثبت له بها أنه «هنري سامون».

لم يستطع احتمال كل ما يدور في رأسه فصرخ قائلاً:
- أنت كاذب.

لم يكن صراخه لأجل شخصيته التي مُحيت معاملها من جديد، لكن لأنه شعر بأنه مجرد أداة لا أكثر، كل ما عليها أن تخضع لأوامر سيدها..

* * *

في تلك الغرفة ذات الإضاءة الهادئة، ظل ذلك الشخص يراقب ألوان الغروب التي انعكس ضوءها على واجهات تلك المباني الزجاجية الضخمة.. وهو جالس على كرسي كلاسيكي قائم اللون.

أرعى هاتفه من يده ووضعه على المنضدة بجواره..

قاطع لحظة سكونه تلك صوت خادمه «باركر» قائلاً بهدوء:

- سيدي.. ليس من عادتك التحدث بهذا الأسلوب.. يبدو أنك تقدر ذلك السلاح كثيراً..

ضحك السيد «ون» بخفة مُزجت بالثقة العالية ثم قال بالهدوء نفسه:

- عندما يأتي شخص ما إليك ويقول لك إنك لست «باركر».. ما أول شيء سوف تفعله؟!

همهم «باركر» وهو يفكر ثم وضع يده أسفل ذقنه المجعد وقال بابتسامة قلقة:

- سؤال صعب.. لكنني وبكل تأكيد سأكذب قوله كبدية.. وبعدها سأحاول إثبات العكس بالتقصي أكثر وأكثر عن شخصيتي التي أومن بها..

نهض السيد «ون» من كرسيه ثم قال بجدية شابها الغموض:

- وإن بحثت أكثر فأكثر ولم تجد سوى أنك شخص آخر.. لا معنى له..

ولا مكان.. ولا قيمة.. فأول شيء تفكر به هو العودة إلى ذلك الشخص الكاذب، ثم تصل إلى أن تصدقه.. هكذا تسير الأمور.
- لكنني لا أعرف بعد أي نوع من الأشخاص هو!
أريكت كلماته الخادم «باركر» الذي قال على عجل:
- أتعني أن ذلك الشخص ليس هو «هنري سايمون» فعلا؟
التفت السيد «ون» ناحية «باركر» وفي عينيه نظرة جادة ثم قال:
- إنها قصة طويلة.. تتلخص في عبارة واحدة: ذلك السلاح ليس «هنري سايمون»..

* * *

رن الهاتف فجأة.. نظر «ماريمو» إلى الرقم المدوّن على الشاشة ورد قائلاً
على عجل:
- من أنت؟!
سمع صوت «كلاود» وهو يقول ببعض الاستغراب:
- ماذا دهاك؟! اتصلت فقط لتحفظ رقمي لديك.. أم أنك نسيت الأمر؟!
تخللت أصابعه شعره الأخضر ثم أجبر نفسه على الابتسام قائلاً ببعض الارتباك:
- لا عليك.. فأنا متعب بعض الشيء..
- عموماً، أرجو أن تفتح الباب لأنني أقفلته دون إدراك مني.. و«كريسون»
والبقية ينتظرون أمامه..
دُهِش «ماريمو» ثم قال بسخرية:
- ألن تأتي برفقتهم؟!
- لا أظن؛ فأنا مشغول جداً.. سأحضر غداً.. وداعاً..
أغلق «ماريمو» الخط وظل جالساً على أرض الشرفة وهو ينظر إلى ذلك

الغروب الكثيب ثم قال في نفسه:

لن أستطيع طلب المساعدة من أحد؛ فهو شخص مجهول وقد يؤذيهم..
لكن...

قطب حاجبيه قائلاً بشرود:

- لماذا قال إنني لست «هنري سامون»؟ الشرطة.. المدرسة.. «أنجيلا»..

المنزل.. الصورة.. والأهم الذكريات.. لم تراودني إذًا؟!

مَرَّق شروده صوت تلك النغمة الصارخة لموسيقى «الروك».. وعندما نظر

إلى شاشة هاتفه وجد صورة «فرانس» وقد كُتِب تحتها ملك الوسامة!!

كان يصرخ فيه حتى كاد الهاتف ينفجر:

- افتح الباب أيها الأبله.. ولا تظل واقفا هكذا..

- آسف.. كنت أتحدث مع «كلاود»..

قالها «ماريمو» بشيء من الوجوم.. بينما دخل الجميع.. أغلقت «كريمسون»

الباب من خلفها ثم قالت بهدوء:

- كانت الشوارع خالية وطريق العودة بالغداء كان سهلاً.. إلا أن هذين

الاثنيين أرادا اللعب بنادي «الجيمز» فتأخرنا.. آسفة..

كان «ماريمو» ينظر إلى «مونتي» المسترخي على الأريكة بشيء من

الاهتمام.. فانتبه «مونتي» ليقطب حاجبيه قائلاً بانزعاج:

- ماذا؟! هل هذه أول مرة تراني فيها؟!

صرخ «ماريمو» بانفعال وهو يشير إليه قائلاً:

- أريدك في أمر مهم..

صُعق «فرانس» وقطبت «كريمسون» وجهها وضحك «ماكس» بشدة وهو

يقول:

- يا رجل.. أتخفي أمرا مهما عند قط أليف؟! فنحن يمكننا المساعدة أيضا..

صاح «مونتي» بغضب وهو يرفع قبضته الصغيرة قائلاً:

- تجرأ ونعتني بالأليف ثانية..
ارتبك «ماريمو» كثيرا ثم خفض رأسه بسرعة وشد قبضتيه وهو يقول:
- انس الأمر..
ثم أدار ظهره متجها نحو الباب وهو يهز يديه قائلاً بتنهيده:
- فقط انس الأمر..
ثم قال في نفسه باستياء:
- إن كان «هنري ساميون» شخصا آخر فهو بكل تأكيد سيكون «مونتي»..
إذا أنا ماذا أكون؟!
ولما أمسك بقبضة الباب.. فتح الباب فجأة بقوة ليصطدم بوجه «ماريمو»
فوقع أرضا..
دخلت فتاة صغيرة ذات شعر أشقر ممشط بعناية، بدت في السادسة من
عمرها.. ركضت بسرعة إلى الداخل وهي تقطب حاجبيها قائلة بغضب:
- من أنتم؟ وماذا تفعلون في منزلي؟!
نظر إليها الجميع بوجوم تام.. بينما قال «فرانس» بسخرية:
- ما شأنك هنا؟! أشعر بأنك فاصل مزعج..
تكلم وكأنه يقف على خشبة المسرح ومد يده وهو يبكي قائلاً:
- «ماريمو»، لا تقلق سنكون معا دوما.. يمكنك الوثوق بـ«مونتي» فقط،
ولن أحزن على تهيمشك لقلوبنا..
ضحك «ماكس» بسخرية وهو يقول:
- تقصد: ت ه ش ي م ك..
توجّه «فرانس» ناحية الباب بسرعة وهو يقول بانزعاج وبلاهة مقلدا
«ماريمو»:
- حسنا سأعود سريعا.. فأنا جائع بأي حال.. وأريد حلوى العصا التي
باللون...

ثم صرخ في وجه الفتاة الصغيرة قائلاً:
- من تكونين حتى تدخل في وسط المشهد هكذا؟!
لمعت الدموع في عينيها وعبس وجهها واحمرت وجنتاها وهي تقول
بصوت متردد:
- أنا عائدة إلى منزلي؛ فلقد ظننت أن أمي قد عادت عندما رأيت شركات
«سايهون» قد فتحت أبوابها وبدأت العمل.
وقف «فرانس» وقد أحاطت به أجواء من البلاهة ودموع الشفقة.. بينما
قطبت «كريمسون» حاجبيها قائلة بانفعال:
- من تكونين؟!
أمسكت الفتاة بثوبها الأحمر القصير بموديله الراقى وهي تحييهم تحية
النبلاء قائلة: أنا «ميمي» واسم أمي «ماريا سايهون».. وشقيقي «هنري».
اتسعت عينا «كريمسون» من الدهشة وأمسكت بكتفيها قائلة:
- حقاً؟ هل ما تقولينه حقيقي؟!
- أجل..
هدأت أنفاس «كريمسون» وملأت السعادة قلبها وهي تقول في نفسها:
- حسناً إن ظهور أخت له شيء يبعث على الأمل ويساعده في حل مشكلة
ذاكرته.
قطبت «ميمي» حاجبيها ثم نظرت لعيني «كريمسون» قائلة بامتعاض:
- لكنهما ليسا هنا.. لقد سكن المنزل ناس غرباء كما سمعت..
أخذ صوتها الصغير يختنق بالبكاء لفقدانها الأمل في عودة أهلها.. دخل
خادم شاب من خلفها وهو يحمل معطفاً قائلاً بارتباك:
- آنسة «ميمي».. ما كان عليك الذهاب بهذه السرعة..
أمسك «ماريو» بقدم الخادم، الذي انتبه إلى ذلك الشخص المريع بالأسفل
فصرخ قائلاً بخوف:

- أرجوك أطلق سراحي.. أنا لم أفعل شيئاً..
تشبث «ماريمو» بملابسه لينهض واقفا وسط رعب الخادم الذي أخذ يفقد
وعيه تدريجياً، وقد أمسك «ماريمو» بياقته وهو يصيح:
- ما الذي تعرفه عن «هنري سامون»؟ أجب.

* * *

وضعت «كريمسون» فناجين الشاي على المنضدة الزجاجية وهي تراقب
«ميمي» التي اختبأت بجانب الخادم وهي ترمق «ماريمو» من بعيد..
عدّل نظارته ذات العدسات الدائرية وهو يقول بارتباك واضح:
- في الحقيقة لقد تسلمت وظيفتي منذ أسبوع فقط، ولا علم لي بما حدث
لعائلة «سامون» مطلقاً؛ فأنا سائق الآنسة «ميمي» ومرافقها الشخصي..
لقد هربت الآنسة «ميمي» من مربيتها ورجتني حتى أوصلها إلى هنا
خفية..

تنهد «ماريمو» وقد ظهر الإحباط في صوته وهو يقول:
- يبدو أنك لا تعرف اسم المكان أيضاً..
رد الخادم قائلاً وهو يبتسم بحيرة:
- أكيد.. كما ذكرت أنا سائق.. وأدعى «روبن»..
حوّل «ماريمو» نظراته نحو «ميمي» التي حشرت نفسها بجانب الخادم
أكثر وهي تراه بنظرات مزعجة وسألها بانفعال:
- ما الذي يثبت لي أنك أختي.. فأنا لا أشعر أنني رأيتك من قبل؟!
تذكر صوت السيد «ون» المشفر الذي ظل يتردد في ذهنه: «أنت لست
هنري سامون» فخفض رأسه باستياء ثم قال بهدوء:
- آسف «ميمي».. أنا متعب قليلاً.. سوف أتحدث معك في وقت آخر..

ترقرقت الدموع في عينيها ثم ركضت بسرعة لتتشبث بملابس «ماريمو» وهي تضحك قائلة:

- أنت أخي «هنري» حقاً.. فلطالما كنت تقول لي الكلام نفسه عندما أطلب منك اللعب معي.. أنا سعيدة لعودتك.

رفع «ماريمو» يده بتردد ثم وضعها على رأسها وداعب شعرها بلطف.. قائلاً في نفسه:

- إنها مجرد طفلة.. وأنا لا أشعر نحوها مطلقاً بأنها أختي.. هل هذا موقف آخر لضياع معرفتي بكيونوتي؟

داعب بمخالبه السجادة وهو يقول في نفسه بانزعاج:

- من هذه الطفلة؟! هل أرسلها أحد لتدعي أنها أختي؟! أنا واثق من أنها لا تمت لي بصلة.. لكنها...

نظر إلى وجهها البريء الجميل وعينيها الزرقاوين وشعرها الأشقر وهي تحدث «ماريمو» بفرح ثم قال بشرود:

- إنها تشبه الأم إلى حد كبير.. وتحمل بعضاً من ملامح «ماريمو».. هذه هي المشكلة!!

سألته «ميمي» بصوت بريء مرتفع:

- هل هؤلاء أصدقاؤك الجدد؟!

أجاب «ماريمو» بإيماء بسيطة وبهدوء:

- لقد كانوا معي دوماً..

ثم بدأ يعرفها بهم.. بينما ظلت «كريسون» شاردة فيما يبدو عليه من الكآبة وهي تقول في نفسها:

- لقد تغير حاله بشكل واضح بعد عودتنا من المدرسة، وتحديدًا بعد أن حادثه «كلاود».

أخرجت هاتفها الخلوي خفية ثم ضغطت بعض الأزرار لتظهر خلفية

شاشة «ماريمو»: «قط أسود متغطرس» في هاتفها متمتمة:

- هكذا تم اختراق هاتفه بنجاح.

بحثت في المكالمات الواردة ولم تجد غير مكالمة «كلاود» ومدتها دقيقتان..
فقالت في نفسها باستغراب:

- لقد هاتفه «فرانس» عدة مرات قبل مكالمة «كلاود»، لكنه كان بوضع
الانتظار وكأنه يتحدث مع شخص ما.. فلماذا لا توجد سوى مكالمة
«كلاود»؟

أغلقت هاتفها وقد بدا على وجهها الغموض وهي تضع يدها أسفل ذقنها
وتراقب «ماريمو» وهو يذهب إلى غرفته تتبعه «ميمي»..

قاطع شرودها صوت «فرانس» قائلاً بهمس:

- ما الذي أصابه فجأة؟! لقد كان بخير في المدرسة.. حتى لو رفضته «أنجيلا»
للمرة الثالثة فلا أعتقد أن هذا هو السبب في حالته تلك..
سألته «كريمسون» باستغراب:

- وهل يحبها «ماريمو»؟!

نظر إليها «فرانس» بوجوم ثم عبس قائلاً:

- هذا ليس من شأنك، كنت أحادث نفسي، ولا تخبريني أن فتاة باردة
المشاعر مثلك وقعت في حب «ماريمو».. فلن أسمح لك بإفساد خطتي..
رفعت «كريمسون» أحد حاجبيها باستفهام، ثم قالت بلهجة مشوبة
بالغضب:

- ليس كل من في هذا العالم يحمل تفكيرك الغريب.. فالحياة تحتوي أشياء
أهم من الحب أو التجميل كفتاة..

صرخ «ماكس» وهو يشير إليه معاتباً:

- أيها الأحمق.. كيف تجرؤ على وصف «كريمسون» بهذه الصفة؟ لقد
كانت طيبة وحنونة معي.. وهي الوحيدة التي وقفت بجانبني في مرضي..

حك «فرانس» أذنه برأس إصبعه الصغيرة بامتعاظ واندفعت الكلمات من فمه قائلاً:

- لا أنكر أنها أنقذتني من صدمة موت حبي الأول؛ لذا...
ثم نظر إلى كريسون ورسم ابتسامة هادئة وهو يقول:
- شكراً.. فأنت فتاة رائعة حقاً..

نهضت «كريسون» من مقعدها وهي تقول بتجهم:
- استمرراً في حديثكما العقيم.. سوف أذهب إلى غرفتي..
- لكن.. من تسبب لها في ذلك هي تلك الفتاة المدعوة «ليلى»..
قالها «فرانس» بصوت هامس إلا أنه وصل إلى مسامع «كريسون» التي أكملت المسير نحو غرفتها..

أغلقت الباب من خلفها وارتخت يدها لتتأرجح في الهواء وقد بدا وجهها خالياً من أي تعبير وتحركت شفتاها قائلة:

- كيف لفتاة مثلي أن تحمل ما يسمى المشاعر؟! «ليلى» هي فقط من أجادت وضع قناع التصرف بمشاعر رقيقة ولطف على الرغم من أنها خائنة.. منذ موت «جون» و«روبرت» قررت ألا يحمل قلبي أي عاطفة..
والاعتراف بأن الحياة ستملي عليّ ما يجب أن أفعله وسأظل طائعة لها..
اتكأت على الباب برأسها وأغمضت عينيها قائلة بحزن:
- لا تجعل أمني ينقطع في أن أعاند هذه الحياة يوماً..

قرع الباب من خلفها فاستدارت وفتحته وهي تقول ببرود:
- «فرانس»، ماذا لديك الآن؟!

لكنها استغربت عندما وجدت «ماكس» الذي ظل واقفاً وعلى وجهه مسحة من الحزن فقالت مستفهمة:

- «ماكس»، هل تريد شيئاً؟!

أجاب «ماكس» وهو يداعب شعره المجعد قائلاً بارتباك:

- هل أستطيع قول آسف عوضا عن «فرانس»؟ تعلمين أنه متهور وغبي أحيانا ولا يعرف ما يقول..
- ابتسمت وهي تحرك كفيها دلالة على عدم مبالاتها قائلة:
- لا عليك.. أفهمه جيدا.. ولم أهتم لما قاله مطلقا؛ فهو لم يقل غير الحقيقة..
- شد «ماكس» قبضتيه وقال بانفعال:
- مستحيل.. أنت من قام بمواساتي ودفعي نحو الحياة.. «كريمسون» تظل «كريمسون».. حتى عندما تتبدلين في صورة شخص آخر فأنت دائما تحتضنين هموم الجميع..
- ثم ارتخت قبضته وتاهت نظراته وهو يقول بإحباط:
- أعلم أنني لا أستطيع أن أجِد التعبير المناسب.. لكن أرجو أن يصلك ما أقصده..
- هدأت ملامح «كريمسون» بشكل غريب وابتسمت بدفء ثم قالت بهمس:
- نعم.. أنا أفهم ما تقصده..
- أجاب ضاحكا وهو يقول بحماسة:
- حسنا.. ستظلين فتاة رائعة مهما كنتِ..
- أومأت برأسها ثم قالت:
- شكرا «ماكس»..

* * *

ضغطت على دميته الصوفية بيديها الصغيرتين وهي تراقب «ماريمو» الذي كان مستلقيا على فراشه شاردا.. وقالت بخوف:

- أخي..

انتبه «ماريمو» إلى «ميمي» التي وقفت عند باب الغرفة وعلى وجهها علامات الاستياء فقال باستغراب:

- ماذا؟! أحتاجين شيئا؟!

أشرق وجهها بابتسامة وقالت بانفعال:

- أيعني هذا أنك ستتحدث معي؟

دخل من خلفها «مونتي» الذي بدا عليه الانزعاج.. ظلت تراقبه وهي تقول باستغراب:

- لم تكن تفضل الحيوانات الأليفة..

قصمت تلك العبارة ظهر «مونتي» الذي لم يعد يتحمل سماعها فصاح قائلاً:

- أنا لست حيوانا أليفا.. أنا إنسان مثلك أيتها الحمقاء..

دُهِشت «ميمي» لوهلة ثم انطلقت لتحضنه بشدة إلى جانب دميته وهي تقول:

- رائع.. قط يتحدث؟! وبصوت «هنري» عندما يكون غاضبا أيضا؟! ابتكار رائع..

اعتدل «ماريمو» جالسا وبدت على وجهه ملامح الجدية ثم قال بهدوء:
- «ميمي».. ما الذي تعرفينه عني؟! فأنا لم أرَ لك صورة أو حتى غرفة خاصة بك هنا!

انخفضت لتضع «مونتي» المنهك على السجادة وظلت جالسة وهي تضم ساقيها.. ثم قالت بحزن:

- أنا في الحقيقة ابنة «إدوارد روبنسون»، لكن أأنا أنا وأنت هي «ماريا»..

لكن أبي أبعدني عنها بأن قام بـ...
أمسكت برأسها بيديها الصغيرتين ثم قالت بانزعاج:
- لا أعرف ما حدث..

ضحك «مونتي» بسخرية قائلاً:

- هل فقدتِ الذاكرة مثلي؟!

أومأت برأسها نافية وقد تلألأت الدموع في عينيها ثم شهقت بالبكاء قائلة:
- لكنني كنت أحب «هنري» كثيراً.. على الرغم من أنه كان لا يتحدث
معني.. عشت في هذا المنزل لمدة ستة أعوام.. ثم ذهبت بعد ذلك بعيداً..
قالت عبارتها الأخيرة وقد ظهرت الحيرة على وجهها الصغير.. ثم تحركت
شفتها قائلة:

- كنت تمكث في غرفتك طوال الوقت.. وعندما نلتقي ترمقني باحتقار..
وكنت أبكي لأنني أريد أن أكون معك؛ فأما كانت دائماً بالخارج وعندما
يأتي أبي إلى المنزل كنت تخرج ولا تعود إلا بعد أيام وقد ملأت الجروح
يديك..

قطب «مونتي» حاجبيه قائلاً في نفسه:

- تلك الجروح في يدي.. لا بد من أنني كنت أحبس نفسي في المرسم الخاص
بي إلى أن يرحل؛ فهو مكاني السري على أي حال.. وهذا دليل على احتمال
عداوته لي.

همهم «ماريمو» وكأنه يحاول ربط الأمور ببعضها ثم قال:

- لهذا لا أستطيع تذكرك جيداً.. كما أن إقامتك هنا كانت قصيرة.. آسف
لذلك..

برقت عيناها الواسعتان بدموع السعادة ثم نهضت وذهبت نحو «ماريمو»
وتوقفت أمامه ثم قالت:

- هل أستطيع حقاً أن أكل وألعب وأنام إلى جوارك؟!

ابتسم «ماريمو» بشيء من القلق، ثم داعب شعرها الأشقر الكثيف قائلاً:
- لا بأس.. إن سمح «مونتي» بذلك أيضاً..
احمرت وجنتاها وملأت قلبها السعادة وقالت بهدوء:
- أحقا.. أستطيع ذلك؟! أنا.. سعيدة..
قطب «مونتي» حاجبيه قائلاً بانزعاج:
- طبعاً رأيي ليس مهماً هنا..
استدارت نحوه ثم جثت على ركبتيها وهي تشبك قبضتيها برجاء وهي تحاول منع نفسها من البكاء..
اتسعت عيناه من الدهشة؛ فهذه أول مرة يجرّوه أحد.. فنظر إلى ذلك الوجه البريء.. وقال بسرعة:
- أنا موافق، فلا تبكي هكذا.. أنتِ مزعجة حقاً..
ضحكت «ميمي» وشفقت بيديها وهي تقول:
- أنا سعيدة: فسوف أنام بين أخي وقطه الأليف المتكلم..
ظل «مونتي» يتشاجر مع «ميمي» التي ظلت تشاكسه وهي تضحك.. وقد أحاطهما «ماريمو» بنظراته المتأملّة وهو يقول في نفسه:
- إنهما كالأخوين.. هل حقاً ستكون لي هوية؟! إن أصبح «مونتي» فقط هو «هنري».

* * *

نظرت إلى المرأة وهي تسرح شعرها الحريري الأسود الذي وُضع على مقدمته شريط وردي.. نظرت إلى وجهها بتأمل ثم ابتسمت قائلة:
- أشعر بأنني أفضل الآن.. ورحلة التسوق ستروّح عني قليلاً..
انحنّت لتنتعل حذاءها الوردي ورفعت رأسها لتجد «كيومي» أمام باب غرفتها وهي تلوح قائلة بصوت مرتفع:
- مرحباً «أنجيلا».. كيف حالك؟

عانقتها «أنجيلا» بشدة وضحكت قائلة بصوتها الرقيق:
- لا بأس أنا بخير.. لقد أتيت في الوقت المناسب..
تركتها «كيومي» ورفعت أحد حاجبيها وهي تقول باستغراب:
- ماذا تقصدين؟!
- بما أنك هنا، فسنذهب معا للتسوق..
احمرت وجنتا «كيومي» بشدة وعقدت أصابعها بارتباك وهي تقول:
- هيا وسوف أشتري مواد إعداد كعكة الشوكولا؛ فغدا «يوم الحب»
وسوف أهديها إلى أحدهم..
اتسعت عينا «أنجيلا» بسعادة، ثم أمسكت بيدي «كيومي» وهي تقول:
- أتقصدين «فرانس»؟! هل اعترف لك بحبه؟! أنا سعيدة لأجلك..
عبت «كيومي» بشعرها وهي تقول بتردد:
- لقد كنت معي عندما قالها.. لقد قال لي سأظل محبا؛ فهو يحبني إذا..
ارتخت يدا «أنجيلا» عن ذراعي «كيومي» وبدأ عليها الحزن وقالت بصوت
هامس:
- لكن، ربما كان يقول ذلك على سبيل المزاح.. ألا تعتقدين ذلك؟!
صمتت «كيومي» وحولت عينيها بعيدا عن «أنجيلا» ثم قالت بهدوء:
- مهما يكن، سأهديه ذلك القالب، وإن قبله سأعرف شعوره الحقيقي..
أومأت «أنجيلا» برأسها ورسمت ابتسامة لطيفة على شفتيها وهي تقول:
- هذه هي الطريقة الصحيحة لمعرفة شعوره الحقيقي.. هيا لنخرج
ونتسوق، وسنحضر أيضا غلافا جميلا لنغلفها به.
عانقتها «كيومي» وهي تصرخ بسعادة قائلة:
- أنتِ صديقتي المقربة حقا..

* * *

- لماذا نذهب إلى السوق المركزية؟!
قالها «فرانس» باستغراب وهو مستلقٍ على الأريكة الملونة أمام ألعاب الفيديو، ثم أكمل حديثه قائلاً:
- أليس لديك ثياب كافية؟ كما أن الخدم سيصلون مساءً، وبالتأكيد يريدون مقابلة صاحب المنزل..
أشار «ماريمو» إلى «ميمي» وهو يقول بامتعاض:
- ليس لديها ثياب؛ فقد هربت للمجيء إلى هنا.. وسائقها لا يمكنه المساعدة.. و«كريمسون» ستنتظر الخدم هنا، وكلها نصف ساعة ونعود..
تنهد «فرانس» وهو يتفحص أسطوانات اللعب ويرميها واحدة تلو الأخرى وقال:
- سنحضر معنا «ماكس»؛ فربما يكون هناك مكان للعب بينما تكمل تسوقك.. أتساءل: لمَ لا تخرج وحدك؟! لا أتذكر أنني ذهبت للتسوق قبل الآن، ولذلك ربما أتوه في الطريق إلى هناك.
لم يستطع «فرانس» كتم ضحكته ثم قال وقد ملأت الدموع عينيه وهو يلوح بيده:
- لا تقلق، بإمكان الشرطة إيجادك، من لون شعرك.. وعندها سأكون والدك المحب الذي يقف بانتظارك.
ثم أشار إلى «ماكس» قائلاً:
- وسأذهب بالطبع برفقة أمك الحنون.
ابتسم «ماريمو» قائلاً: شكراً «فرانس»..
صُدم «فرانس» وظل يحرق به باستغراب قائلاً في نفسه:
- من عادته أن يقول «فرانس» شخص لطيف أو أي شيء من هذا القبيل..
هذه أول مرة يقول فيها شكراً.. الآن أنا على يقين أن شيئاً ما قد حدث له.

* * *

- والّاو، إنه جميل.. أنا أريد شراءه..
قالتها «ميمي» وهي تنظر للدمية الجميلة على شكل دب صغير..
عبث «ماريمو» بشعره وهو يقول هملل:
- لقد جئنا إلى هنا لشراء ملابس فقط.
نظرت إلى «ماريمو» بعينين لامعتين وقد احمرت وجنتاها وهي تقول
بسعادة:
- لم أتسوّق بنفسي من قبل، والآن أنا هنا ومعى أخي الحبيب أيضاً؛ لذلك
فالتسوق شيء شائق جداً..
تنهد «ماريمو» مستسلماً ومشى خلفها وهي تنتقل من محل لآخر وتجمع
الكثير من الملابس والهدايا واللعب التي أثقلت كاهله..
مر «ماريمو» بكل من «فرانس» و«ماكس» وهما يلعبان بحماسة محدثين
صخباً عالياً في مقهى لألعاب الفيديو.. فنظر إليهما بشيء من الحزن رغبةً
منه في مشاركتهما اللعب.. لكن تلك الطفلة كانت قائدة متسلطة.. فقال
في نفسه متنهداً:
- الآن عرفت كيف استطاعت ترويض ذلك الخادم.
- عذراً هلاً أفسحت الطريق قليلاً.. سيدي..
التفت «ماريمو» ليجد «كيومي» ومن خلفها «أنجيلا» التي قالت بابتسامة
متفاجئة:
- سيد «هنري».. إنها مصادفة لطيفة..
لم يستطع أن يسلم عليهما بسبب جبل المشتريات الذي كان يحمله،
فابتسم قائلاً:
- مرحباً.. لقد أتيت برفقة أختي الصغيرة..
نظرتا إليه بدهشة وسألته «أنجيلا»:
- أليدك شقيقة صغرى سيد «هنري»؟!

شدت «ميمي» قميص «ماريمو» وهي تقول بصوت متعب:
- هيا، لقد انتهيت من التسوق.. وأريد الذهاب إلى مدينة الملاهي..
انتبهت لنظرات «كيومي» و«أنجيلا» ووجهيهما الضاحكين فاحمرت
وجنتاها قائلة:

- من هما؟!!

أجابها قائلاً:

- «أنجيلا» و«كيومي».. إنهما زميلتا في المدرسة..

حيتهما قائلة:

- أنا «ميمي».. سعدت بلقائكما..

ابتسمت «أنجيلا» بحب قائلة في نفسها:

- من كان يظن أن «هنري» يخرج برفقة أخته للتسوق؟ لديه حقاً روح
رائعة.

حملت «كيومي» بعضاً مما كان يحمله «ماريمو» من مشتريات «ميمي»
وهي تسأله بضحكة مصطنعة مأكرة:

- ألم يأت أحد من أصدقائك معك؟!

أشار «ماريمو» بيده وهو يقول بصوت مرتفع:

- جئتما أخيراً.. لقد تأخرتما.. كنا في الطريق إليكما..

لم تستطع «كيومي» الالتفات من شدة الخجل:

- «فرانس» هنا، يا لها من مصادفة، لقد جمعنا القدر.

توقف كل من «فرانس» و«ماكس» وهما يشرحان أجواء اللعب الرهيبة
دون الانتباه لوجود الفتاتين حتى قال «فرانس» بدهشة موجهها حديثه
إليهما:

- ما هذه المصادفة الرائعة؟

وكز جانب «ماريمو» مرفقه وعلى وجهه نظرة خبيثة.. بادلته «كيومي»

بعض الحديث بخجل.. بينما نظر «ماكس» إلى «ميمي» المتعبة فانخفض
لمستواها وسألها:

- هل أنت بخير؟!

عركت «ميمي» عينيها وهي تومئ برأسها وشدت على قميص «ماريمو»
أكثر.. ثم قالت بهمس:

- أجل..

رفع «ماريمو» رأسه فجأة ونظر حوله بارتباك وتساقطت الأشياء التي كان
يحملها من بين يديه.. فتساءل «ماكس» بدهشة:

- ماذا هناك؟!

اندesh الباقون وهم ينظرون إليه وقد احتدت نظراته وهو يخفض رأسه
ويرهف السمع، ثم اتسعت عيناه فجأة وقال بصوت مرتفع:

- هذا المكان سيفجّر..

صُغق الجميع مما قال، ولم تدّم تلك اللحظات حتى سُمعت الأصوات
الآلية لغلق جميع المخارج والمداخل..

تفرقت بعض العائلات عند بوابة الخروج وانتاب الجميع حالة من الفزع
وبكى الأطفال خوفاً وأسرع بعض العاملين لمحاولة فتح البوابات، لكن
«ماريمو» أشار بيده بقوة وهو يصيح:

- ابتعدوا! فجميع الأجهزة هنا هي زر لتشغيل المتفجرات..

سبق الفعل صوت «ماريمو» لتنفجر الواجهة الرئيسية والخلفية للبوابات
ومخارج الطوارئ واهتزت الأرض بعنف وثارَت سحب من الغبار غطت
أولئك الناس الذين تفرقوا في كل مكان وهم يصرخون هلعاً.

انهارت البنايات الخارجية المجاورة بفعل قنابل أخرى لتسد المخارج تماماً
ومن الجهات الأربع بخطة محكمة..

كان «ماريمو» منبطحاً أرضاً وهو يحتضن «ميمي» بحرص، التي بدت غير

واعية لما يجري..

التفت إليه «فرانس» وهو يصيح قائلاً:

- هل هناك قنابل مجنونة أخرى؟ ماذا يحدث هنا؟!

كانت «كيومي» تبكي وقد احتوتها «أنجيلا» بين يديها وهي تقول بقلق:

- يبدو أن البوابة الرئيسية قد سُدت ولن يكون هناك مخرج!!

ظل «ماكس» مذهولاً وهو يتابع نظرات «ماريمو» الغريبة وقد تحولت

عدستا عينيه إلى خريطة صفراء اللون بها الكثير من النقاط، ثم قال بهدوء:

- لم ينتهِ الأمر بعد، إنه يخطط لقتل شخص من الموجودين هنا..

ثم اصطكت أسنانه بغيظ وأغمض عينيه بشدة لينطفئ نورهما وظلت

كلمات السيد «ون» تتردد في أذنيه:

- لا وقت محدد لي للعب؛ لذا سأطلبك في أي وقت.. وطلبي لك لن يكون

بالهاتف فقط وإنما بوسائل أخرى أيضاً.

رائحة الغبار المثلقل بالرماد تملأ المكان، وتعالَت صيحات الناس إثر تلك

الانفجارات المتتالية وقد تفرقوا في كل مكان حول ساحة المركز التي اهتزت

بعنف.. ظل «ماريمو» ينظر حوله بارتباك كبير؛ فالمركز بالكامل كان أشبه

بخريطة متفجرات، وأخيراً أدرك وجود بوابة للخروج لمع نورها في عينيه..

التفت بسرعة وصرخ قائلاً:

- على الجميع التوجه إلى البوابة الخامسة بالجهة الشمالية؛ فهناك فتحة

تتسع للخروج..

سمع بعض الناس صوته فتدافعوا بشكل جنوني نحو ذلك المكان الذي

أصبح من المستحيل الخروج منه..

بدأ عدد الناس ينقص بشكل كبير فارتاحت ملامحه لذلك وظل يراقب تلك

البوابة باهتمام ثم قطب جبينه قائلاً:

- علينا الخروج بسرعة؛ ففوق البوابة جدار مجاور على وشك الانهيار..

حمل «ميمي» التي عانقته بقوة وهي ترتجف من الخوف ثم نظر إلى البقية قائلاً بشيء من الإحباط:

- قد يكون الخروج منها مستحيلاً فلم يعد باقياً على انهيارها إلا ثانيتين..
صرخ «فرانس» وهو يحرك يديه بعصبية قائلاً:

- ماذا تعني؟! سنخرج من هنا بكل تأكيد.. علينا أن نسرع فقط.. هيا..
استدار «فرانس» وركض بسرعة على تلك الأرض الرخامية التي ملئت بالحجارة، لكن الجدار انهار بقوة ليحطم تلك البوابة ويردمها بالكامل..
عمّ الهدوء المكان إلا من صوت تساقط الحجارة الصغيرة من على ذلك الحاجز المنيع الذي ضربه «فرانس» بقبضة يده صارخاً:

- اللعنة.. كيف لك أن تعلم بشيء كهذا؟!
التفتت «أنجيلا» بنظراتها المندهشة إلى وجه «ماريمو» الذي شابه الحزن، وهو يرد أخيراً بصوت هامس:

- لأنني سلاح..
ارتبك «ماكس» بقلق وهو ينظر حوله قائلاً:
- يا رجل.. ألا يجب أن يكون هناك مصعد يعمل؟ فرمما يحترق هذا المكان أيضاً..

انتبه «ماريمو» لكلماته فرفع رأسه بسرعة للأعلى ليتحول المكان في ذهنه كخريطة هندسية كاملة حوت الكثير من النقاط الصفراء، ثم قال:
- الطابق الستون هو الوحيد الذي لا يحوي متفجرات.. والمصعد آمن لمدة دقيقة واحدة؛ لذا إلى المصعد بسرعة..

ضغط «فرانس» الزر بقبضة يده ونزلت أرقام المصعد المنيرة ببطء، الذي كان في الطابق العشرين، فقال بغضب:
- إن هذا سيأخذ وقتاً..

لم تمض لحظات حتى فتح المصعد فأمسكت «أنجيلا» بـ«كيومي» الخائفة

ودخلتا معا وخلفهما «ماكس» و«فرانس» ثم «ماريمو» الذي ضغط على الطابق الستين..

وقبل أن يغلق همست «ميمي» في أذنه قائلة بصوت باك:
- دميتي.. لقد أوقعتها..

وضع «ميمي» بين يدي «ماكس» المندھش بسرعة وقال وهو يركض خارجا:
- أعتد عليك.. هيا وسألحق بكم..

أشار «فرانس» بيده وهو يقول بصوت مرتفع:
- أيها الغبي.. ما الذي تحاول فعله؟!

ضاع صوته في صوت انغلاق المصعد وتلاشت صورة «ماريمو» عن أعينهم وهو يختفي بين الغبار الكثيف..

ضمت «أنجيلا» يديها بقلق كبير وسيطر الصمت على البقية.. تنهد «فرانس» بضيق ونظر إلى ساعته ففوجئ بأنه لم يبقَ إلا ثلاثون ثانية لانفجار مركز المصعد..

نظر إلى الأرقام المضيئة في تلك الظلمة فكانت المفاجأة أشد وقعاً؛ فهو لم يقارب الطابق الثلاثين بعد..

بكت «كيومي» وهي تقول بخوف شديد مشيرة بيدها إلى الأسفل:
- الطوابق.. إنها منيرة..

ارتخت ملامح «ماكس» وعقد حاجبيه بقلق؛ فتلك لم تكن أنواراً؛ فجميع الطوابق تشتعل، فإذا انهارت فتحة المصعد عند أحدها سيموتون لا محالة.. وإن علق سيموتون اختناقاً بالدخان شيئاً فشيئاً عند المرور بأي طابق.. وقد ازداد الجو حرارة..

سمعوا صوت «فرانس» قائلاً:

- آسف إن ضايقت أعينكن الجميلة بهذا المنظر، لكن لا خيار آخر أمامي..
مد ذراعه للأمام لينبثق من باطن كفه سلسلة رفيعة تتقاطر دما كانت

تكبر شيئاً فشيئاً حتى مزقت كفه بالكامل والتوت على الأرض..
كانت «أنجيلا» تراقبه مشدوهة وتحركت شفتها قائلة:
- سلاح!! هو أيضاً سلاح..
صرخت «كيومي» وهي تغمض عينيها وتهز يديها بشدة قائلة:
- «فرانس»، ألا تؤلمك تلك الجروح؟!
ارتفعت رأس السلسلة وكأنها أفعى ثم اخترقت بقوة سقف المصعد من
الجانِب الأيمن وظلت ترتفع وترتفع.. بينما بدا «فرانس» هادئاً وهو يقول:
- تلك الجروح لا تؤلم بقدر ألم قلبي إذا فقدتكِ آنستي الجميلة..
احمرت وجنتاها ولم تستطع الرد، بل ظلت تراقبه بإعجاب ونسيت الجو
المحيط تماماً..
اهتز حاجب «ماكس» وهو يقول في نفسه بسخرية:
- المخادع.. كيف يقوم بسحر كهذا؟
شدت «ميمي» قبضتيها الصغيرتين على كتفي «ماكس» وهي تخفي وجهها
قائلة بصوت مرتجف:
- «هنري».. لن يعود.. لقد ذهب وحده..
ربت «ماكس» على ظهرها وهو يقول ضاحكاً حتى يزيل قلقها:
- لا تقلقي فهو رجل قوي.. وسيعود بكل تأكيد..
اتسعت عينا «فرانس» باهتمام لظهور صوت طرق حديد بحديد.. فقال
بسرعة:
- تشبثوا جميعاً في الجانب الأيمن من المصعد فيجب أن نصل إلى الطابق
الستين.. بقي تسع ثوانٍ..
فغر «ماكس» فاه وهو يشير إلى يد «فرانس» التي أصبحت كومة من
السلال قائلاً بصوت متقطع:
- لا تقل لي إنك...

ابتسم «فرانس» بثقة ثم أعاد يده إلى الخلف قليلا لتنسحب السلاسل وهي تعود لجسده بسرعة خارقة أدت إلى سحب المصعد إلى الأعلى بقوة كبيرة..

كان الجميع متشبهين بأرض المصعد.. وقد تناثرت دماء «فرانس» بشدة على وجهه وجسده حتى وصل المصعد إلى الطابق الستين في بضع ثوانٍ.. ظل المصعد معلقا ومد «فرانس» يده الأخرى لتنبثق منها سلاسل ضخمة حطمت الباب بقوة وصرخ بعدها قائلاً:
- هيا، اخرجوا بسرعة..

خرج الجميع ركضا والتفتت «كيومي» لتتناثر دموعها وهي تصرخ قائلة له:

- «فرانس».. اخرج حالا..

ابتسم بهدوء وهو يتأمل نظراتها القلقة ثم قطب حاجبيه قائلاً في نفسه:
- إن تركت المصعد فسيسقط وأهلك معه.. وإن مددت إحدى السلاسل يجب أن يكون ذلك بأقصى سرعة لكي أخرج وإلا قسمني إلى نصفين.. وباقي ثلاث ثوانٍ على الانفجار.

حرك السلسلة لتتشبث بأحد الأعمدة ثم سحب نفسه بسرعة وتخلّى في الوقت نفسه عن السلاسل التي تعلق المصعد فانخفض مباشرة..

صرخت «كيومي» وأغمضت عينيها وارتعب قلب «أنجيلا» وهي تراقب ذلك الموقف.. ظلت عينا «فرانس» على المصعد وهو يسقط؛ حيث لم تخرج ساقه بعد..

فاجأته تلك اليدان السمرائون وهما تمسكان بحافة المصعد العليا بقوة، وخرج «فرانس» أخيراً قبل أن يسقط المصعد وساقه بداخله فيسحقها..

أبعد «ماكس» يديه بسرعة وأمسك بـ«فرانس» ليدفعه بعيداً، حيث صبت النار غيظها وكأنها شلال هادر جرّاء انفجار غرفة المصعد بالكامل..

التقط «فرانس» أنفاسه ونظر إلى «ماكس» وهو يضحك قائلاً:
- أي جرأة تملك يا رجل لتقف في وجه مصعد متفجر وأنت أعزل؟!
تساقط العرق من جبين «ماكس» وهو يضحك بشدة ويرتجف خوفاً في الوقت نفسه، ثم قال مبتسماً:
- «ماريو».. من الواضح أنه لا يدرك ماهية أسلحته ومع ذلك خاطر لأجل من يحب.. وأيضاً ما زلت أمتلك يدين أدافع بهما عمّن أريد..
رفع «ماكس» يديه اللتين جُرحتا بعمق وشدهما بقوة لتسيل الدماء منهما وقد رُسمت على شفتيه الغليظتين ابتسامة واثقة. تنهد «فرانس» وهو يجلس على الأرض ثم أغمض عينيه قائلاً في نفسه:
- «ماريو».. أعطانا نظرة أخرى لهذه الحياة دون إدراك منه.. أرجو أن يكون بخير.
تشابكت جروح «فرانس» بأطراف بعضها البعض لتلتئم بسرعة كبيرة، كما أن السلاسل كانت تعود من جديد لجسده.. حتى بقيت فقط الدماء على وجهه وملابسه.
انخفضت «كيومي» لتجلس أمامه وهي تقول بقلق:
- هل أنت بخير؟
مسح على شعره قائلاً بصوت هامس:
- كانت نظراتك الخائفة عليّ جميلة.. شكراً «كيومي»..
ارتسمت ابتسامة حانية على وجهها وهي تراقب «فرانس» الذي أخذ يلتقط أنفاسه خافضاً رأسه بين كتفيه بتعب.. ثم قالت في نفسها:
إنه أروع مما تصورت.. لقد استولى على قلبي فعلاً..
أخرجت «أنجيلا» من حقيبتها بعض الضمادات واقتربت من «ماكس» قائلة:
- يدك تنزف ويجب أن نضمدها حتى يقف النزيف.. اسمح لي، سأقوم

بذلك..

عبث «ماكس» بشعره بظاهر كفه المجروح وهو يضحك قائلاً بانفعال:
- لا بأس، فلم تضمد لي جروحي فتاة جميلة من قبل.. فأنا قصير وقبيح
كما يقول «فرانس».

ضحكت «أنجيلا» بخفة ورنين جميلين، ثم أمسكت بيده ولفت عليها
المنديل الذي كان ملتفا حول عنقها وهي تقول بثقة:
- ما فعلته للتو يجعل أي شخص يقدرك.. فابذل جهدك لتحافظ على
شخصيتك الرائعة..

اتسعت عيناه من الدهشة وكأنه يحاول استعادة تلك الكلمات في ذهنه..
ابتسم بعدها بسعادة وهو يقول:
- سأبذل ما بوسعي بكل تأكيد.

شدت قبضتيها الصغيرتين بعنف وسالت الدموع على وجنتيها المحمرتين
ثم صرخت بكل قوتها قائلة:

- هل نسيتم «هنري»؟! إنه وسط تلك النار المخيفة ولا أحد سيساعده!!
انتبه الجميع إلى «ميمي» التي كانت تشهق بالبكاء وهي تخفي وجهها
بذراعيها، وقد بدت ملامح القلق والحيرة على وجوههم..
خفض «فرانس» رأسه باستياء وقلق كبيرين ثم اصطكت أسنانه وهو يقول
في نفسه:

- على الرغم من أنه غير من أفكارنا عن الحياة لم تتغير صورته في أذهاننا
كسلاح.

احتضنتها «أنجيلا» بلطف وهي تربت على ظهرها قائلة بصوت حالم:
- لا تقلقي.. لم يذهب لإحضار دميترك إلا وهو يثق أنه قوي وقادر..
سيعود بكل تأكيد..

ثم انتبهت لأنفاس «ميمي» المتلاحقة فوضعت يدها على جبينها مبعدة

خصلات شعرها الملصقة به فوجدت حرارتها مرتفعة.. قالت بقلق:
- حرارتها مرتفعة جدا.. والوقت غير مناسب لحدوث ذلك الآن..
قامت «كيومي» بسرعة نحو شباك الغرفة القريب، لكن «فرانس» حذرها
قائلاً بصوت مرتفع:
- توقفي.. إن فتحته سيندفع ذلك الشلال الهادر من النار في المصعد نحونا
مباشرة.. ليحرق الطابق بالكامل..
ارتبكت «كيومي» كثيراً وهي تنظر حولها؛ حيث كان الطابق أشبه
بالمستودع الضخم المليء بمعدات التنظيف وغيرها من الأجهزة.. فتتهدت
بإحباط..
اقترب «ماكس» من «ميمي» ولمس جبينها الذي كان شديد السخونة
فانتابه القلق، وقال لها:
- يجب أن ترتاحي.. ولا تفكري بالأمر؛ فأنت متعبة..
ألقت «ميمي» رأسها في حضن «أنجيلا» وأغمضت عينيها بشدة.. فمسحت
«أنجيلا» على شعرها بلطف وهي تقول:
- خذي قسطاً من الراحة وسوف نفكر بطريقة للخروج من هنا ومساعدة
«هنري»..
ثم رفعت عينيها القلقتين لينعكس عليهما ذلك الشلال الهادر المضيء وقد
انبعث منه الدخان الأسود الكثيف..

* * *

تعالى صوت صافرة الإبريق.. فسحبت مقبس الكهرباء وأخرجت علبة القهوة الفورية ووضعتها بجانب الكوب.. ومهلت لثوانٍ وهي تنظر إلى البخار المتصاعد من الإبريق بشرود، ثم قالت بهمس:

- لقد ذهبوا للسوق المركزية.. لكن..

قاطعها صوت الباب الخارجي وهو يُقفل، فالتفت بسرعة وهي تأمل برؤيتهم وقد عادوا جميعاً، لكن القادم كان «كلاود» الذي نظر إليها من بعيد قائلاً:

- مرحباً.. أريد كوباً من القهوة أنا أيضاً.. وبلا سكر..
أومأت «كريمسون» برأسها وقد بدا عليها بعض القلق ثم مكثت تعد القهوة وهي تقول:

- لقد خرج الجميع للسوق المركزية ولم يعودوا بعد.. كانت «ميمي» مصرة على شراء ثياب جديدة..

ثم أضافت السكر إلى كوبها وهي تضحك قائلة:

- تصور، لقد حدثت اليوم مفاجأة.. لقد تبين أن «ماريمو» له أخت في السادسة من عمرها.. وهي مفاجأة سارة؛ إذ إنها سوف تساعد بالتأكيد على اكتشاف المزيد من المعلومات عن حياته السابقة..

حملت القهوة واتجهت إلى الصالة، إلا أنها دهشت لأنها لم تجد «كلاود».. لكنها وجدت ورقة على الطاولة الزجاجية مكتوباً فيها عبارة واحدة: «لا تنتظريهم على العشاء»..

خفق قلبها لتلك العبارة على الرغم من بساطتها وكأنها قادمة من الجحيم..

* * *

كانت النيران متأججة بين تلك الأنقاض وقد تحطمت واجهات المحلات الزجاجية بسبب الحرارة..

تقاطر العرق من جبينه وتعالى أنفاسه وهو يزيح الأنقاض الملهتهبة.. وأخيرا أخرج دمية الدب التي أصابها بعض الحروق.. تأملها للحظات وقد تطاير الشرر الذهبي من حوله ثم ارتخت أجفانه وهو يهمس قائلاً بصوت عميق:

- لم أستطع تحمل دموعها.. لقد أحببت هذه الدمية.. فهل هذا دليل على أنها شقيقتي؟! لا أعرف.. ربما.. نظر إلى يديه ففوجئ بتلونها بالكامل باللون الأسود الذي انتشر في جسده أيضا ليصبح أسود قائما.. فقال بتعجب:

- يبدو أن جسدي يتغير تلقائيا عند حدوث خطر.. ترى هل الحرارة هي السبب في ذلك؟!

توهجت عيناه باللون الأصفر الصارخ والتفت خلفه بقوة.. ليتناثر شعره الأخضر على تلك البشرة السوداء والعينين الحادتين المتوهجتين.. كان يجول بعينيه وكأنه يراقب حركة أحدهم.

تردد في ذهنه صدى صوت السيد «ون» وهو يقول: «لن تكون وسيلتي الوحيدة.. أنت سلاحى».

هناك من خلف ذلك الجدار المشتعل الذي بدا شفافا لعيني «ماريمو» وهو يحترق بعنف.. لمح ساقين طويلتين بشكل غريب تمشيان وسط اللهب.. دقق النظر أكثر متعجبا لما يراه؛ فقد كان شخصا طويلا جدا وقد تهدم الطابق الثاني لمروور خاصرته الحديدية وهو يمشي خلاله..

آثر «ماريمو» عدم التحرك، وانخفض ببطء ليخفي نفسه.. وهو يتساءل:

- ما هذا الشيء؟! هل هو المسئول عن التفجير؟! إنه لا يتأثر بالنار مطلقا!! هل هذا هو سبب تلون جلدي؟!

فجأة رن هاتف «ماريمو» رنينا واضحا.. فالتفت عيناها وظلتا تراقبان ذلك

الشخص الحديدي.. لكنه لم يلاحظ أي حركة غريبة منه..
سحب الهاتف ببطء من جيب بنطاله الخلفي.. ووضعه بجانب أذنه ثم
ضغط على زر الإجابة.. فعصف به ذلك الصوت القائل بهدوء:
- إنها مهمتك لهذا اليوم.. «كارنيتورس» وحش نصف آلي.. لديه قدرة
عالية على تعقب الآثار وخطط ناجحة في تفجير أي مكان يريده بدقة..
استجمع «ماريمو» قواه وصمت لبرهة ثم همس قائلاً بصوت حانق:
- ما الذي تريده؟!
- ليس ما أريده، وإنما ما أمرك به.. أنا أرغب بتدمير ذلك السلاح لأنه
أصبح عجوزاً.. فأرسلته متعقباً أثرك بنية قتلك..
تنهد «ماريمو» وارتجفت شفتاه ليبتسم أخيراً قائلاً بصوت عميق:
- حسناً.. فهو لن يتعقب «ميمي» والآخرين..
ظل السيد «ون» صامتاً لثوانٍ ثم قال بصوت كئيب:
- راقب نبض قلبه.. فقلبه ليس ملكي..
أغلق الخط.. اعتلت الحيرة ملامح وجه «ماريمو» وقال في نفسه:
- أنت لا تملك قلبي أيضاً؛ فهل ذلك الوحش يراقب نبض قلبي هو الآخر؟
رفع عينيه المتوهجتين من جديد، إلا أنه فوجئ باختفاء الشخص الحديدي..
بحث بعينه طويلاً بين النار والأنقاض.. لكنه لم يجد له أثراً..

* * *

نظرت «كيومي» بقلق إلى «فرانس» الذي أسند ذراعيه على ركبتيه وهو جالس في تلك الزاوية المظلمة وقالت بانفعال:
- بالتأكيد مبنى ضخم كهذا سيجذب الكثير من الناس لإنقاذنا.. وسيجدون «هنري»؛ لأنهم سيبدأون بالطوابق السفلى.. وقد يرسلون...
جلجلت ضحكة «ماكس» الساخرة ثم تردد صدى صوته قائلاً:
- إنها سوق مركزية لمتوسطي الحال.. من ذا الذي سيعير الأمر اهتماماً؟! سيصلون عندما نتحول لـ...
نظر بحزن إلى وجه «ميمي» التي رقدت إلى جواره وهي تتنفس بصعوبة..
ثم مسح على شعرها قائلاً بهدوء:
- انسوا الأمر.. فأنا أحدث نفسي لا غير..
أصابت تلك الكلمات الجميع بالإحباط؛ فأبي أمل لهم في النجاة وهم محاصرون في هذا المكان المغلف بالدخان الأسود الذي يتسلل من حريق غرفة المصعد؟!

* * *

حرك عينيه بسرعة كبيرة وتلفت حوله.. كان المكان ساكنا إلا من صوت الشرر المتطاير من حوله.. تسارعت دقات قلبه فأمسك به بقوة وكأنه يحضه على الهدوء..

لم يشعر إلا وشيء يجره من قميصه من الخلف بقبضة كبيرة ساخنة.. وصوت آلي مشوب بصوت بشري يقول:

- أنت ما يفخر به السيد؟ إنك مجرد فأر..

رفعه بقوة ليلقيه في الهواء إلى الأعلى، فاتسعت عينا «ماريمو» من الدهشة لرؤية ذلك الشيء بالكامل، كان طوله يزيد على ثمانية أمتار، وله وجه نصف حديدي ونصف آخر بشري أسود اللون.. وبقية جسده من المعادن البارزة وكأنها أسنة رماح.. وله ذراعان منتفختان وساقان طويلتان ورفيعتان..

سدد ذلك المسخ لكمة قوية بقبضته الضخمة إلى «ماريمو» لتقذف به بقوة وسرعة خارقتين.. مهدما بذلك التمثال الزجاجي لنافورة الساحة..

ثم تحرك بقدميه الضخمتين متجها حيث سقط «ماريمو» بلا حراك بين ذلك الزجاج المتناثر.. ظل ينظر إليه بتلك الملامح الجافة ثم قال:

- ما زال قلبك الضعيف ينبض.. ولم تنزف منك الدماء.. لكن هذا شيء لا يدعو للفخر..

ظل «ماريمو» صامتا وهو يسترجع حديث السيد «ون» في ذهنه: «أرغب بتدمير هذا السلاح فأرسلته متعبا أثرك بنية القتل»، ثم قال في نفسه بحدة:

- إنه يثق بقدرتي على هزيمته.. لكنني لا أعلم شيئا عن جسدي.

تحولت يد «كارنيتورس» إلى سيف حاد وضخم، وكرز به بطن «ماريمو» ومشى به حتى وصل إلى عنقه الذي نبض وريده.. ثم ضغط بيده الحديدية بقوة كبيرة.. لكن «ماريمو» ظل يراقبه بهدوء تام.. فاشتد حنقه وضغط بشكل أكبر حتى انكسر سيفه..

أبعد يده وقَلْبها لتعود لطبيعتها وهو يقول بجدية شابهها الغضب بصوته الغريب:

- أيها السلاح الضعيف.. كيف استطاع جلدك مقاومة سيفي؟! نهض «ماريمو» وهو ممسك ببطنه ناظرا ليده السوداء القائمة وهو يقول في نفسه بتعجب:

- لا أشعر بأي ألم.. أَيْكون هذا هو الغرض من تغير جلدي إلى اللون الأسود؟! الأسود؟!

أَمسك بقميصه الممزق ونزعه عن جسده ليتساقط الزجاج منه ثم رفع عينيه نحو ذلك الوحش قائلاً بحزم:

- سأقتلك.. ليس طاعة له.. وإِما تسلية.. فأنا أريد معرفة قدراتي كسلاح.. أغمض عينيه بتركيز وهو يقول في نفسه بقلق:

- لا أعرف شيئاً عنها.. لكن جسدي يتحرك تلقائياً.. ولذا أحصر تفكيري في قتله وكفي.

ارتسمت نصف ابتسامة ساخرة على نصف وجهه البشري وهو يراقب ذلك المخلوق الصغير أمامه، ثم قال بصوت ضخم:

- بمجرد أن أمسك بك مرة أخرى.. ستذهب إلى العدم.. فلا تكن مغروراً.. فسوف أسحقك بقدمي..

ظل «ماريمو» يجمع شتات نفسه ويحاول التركيز ويلتقط أنفاسه المتلاحقة.. سمع ضحكة «كارنيتورس» العالية بصوته الأجش الصاخب قائلاً:

- في الطابق الستين توجد خمسة قلوب تنبض بخوف؛ لذا لا تكن متهوراً.. تمالك «ماريمو» نفسه من الرد على عبارته التي أثارت قلقه فرسم ابتسامة واثقة على فمه قائلاً بسخرية:

- ماذا؟! لقد بدأت تلجأ للحيل السخيفة.. هل بدأت تخاف أيها العملاق؟! أثارت تلك الكلمات غضب «كارنيتورس» بشدة، فمد يده بسرعة فائقة

ليطبق على عنق «ماريمو» ويجره إليه بشدة ثم عصره بقوة حتى سمع صوت عظامه وهي تتهشم..

شعر «ماريمو» بالألم وهو يحاول أن ينتزع اليد العملاقة التي قد تفصل رأسه عن جسده..

مرر «كارنيتورس» يده على كل الطوابق قائلاً بجدية:

- سأجعل هناك مساحة تتسع لأشلائك.. سأبدأ بنسف الطوابق الواحد تلو الآخر حتى يرى رفاقك نهايتك بأعينهم قبل أن يودعوا الحياة..

شد قبضته أكثر وهو يقرب وجهه البشع من «ماريمو» قائلاً بصوت مرعب:
- مهما بدوت قويا.. فأنت مجرد إنسان..

تحللت تلك الكلمات في ذهن «ماريمو» ولم يستطع أن يبدي سوى ابتسامة راحة، ثم قال بصوت هامس بالكاد يُسمع:
- هل أنا كذلك حقاً؟!

ثم مد يده المرتجفة لتتحول إلى الشكل المعروف لوشمه الذي سرعان ما تشكل بهيئة سيف لَوْح به بقوة حتى قطع يد ذلك الوحش لتقع بثقلها على الأرض، ويسقط «ماريمو» بجوارها وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة.. ولم تفارقه تلك الابتسامة..

نهض وهو يجر سيفه الطويل الذي كان ثقيلاً ثم نظر إلى عيني ذلك الوحش قائلاً بثقة وبرود:

- الفارق واضح.. يا صاحب السيف المكسور..

صمت «كارنيتورس» لوهلة ثم همهم ضاحكاً ثم أطلق ضحكاته الصاخبة مجدداً وهو يشير إلى «ماريمو» قائلاً:

- أيها الغبي.. أتنظن أنني أمسكت بك هباء؟! قطع يد لن يضر وحشا فولاذياً مثلي.. لا تنس مهمتي التي صُنعت لأجلها..

أحس «ماريمو» بثقل عجيب في جسده وارتجفت ساقيه.. حاول الصمود

حتى جثا على ركبتيه قائلاً في نفسه بحنق:

- بمجرد أن يمسك بي سأتلاشى إلى العدم.. هل وضع شيئاً ما بداخلي؟!

أجاب ذلك الوحش عمّا يدور في نفس «ماريمو» قائلاً:

- حقا إنه لا يُستهان بقوة جلدك.. لكنك لا تزال سلاحاً ناقصاً وغير مكتمل من الداخل؛ لذا وضعت بداخلك قبلة زمنية متطورة جداً ستنفجر بإرادتي فقط..

هجم عليه «ماريمو» كالمجنون وهو يقطع جسده بشكل عشوائي حتى تساقطت أشلاء ساقيه المعدنية، فأمسك به «كارنيتورس» بقوة ثم ألقى به بقوة مضاعفة وخارقة إلى الأعلى حتى اخترق جسد «ماريمو» عدة طوابق متتالية.. ليستقر في أحدها.. ولما أوشك على النهوض أمسك به الوحش ثانية بشكل سريع ثم ضحك قائلاً:

- لنصعد إلى أصدقائك.. حتى تنفجر بينهم..

كانت النار تأكل فيه كلما مر في طابق من تلك الطوابق التي تأججت فيها النيران.. وفي كل مرة يقطع جزءاً من جسده الفولاذي.. لتمسك النيران في جزء آخر..

كان كل تركيز ذلك الوحش على بلوغ «ماريمو» الطابق الموجود فيه البقية فحسب، فلم يأبه لجسده الذي بدأ ينصهر قطعة قطعة..

* * *

شعر «فرانس» باهتزاز عنيف في الأرض فنظر للأشياء الموجودة حوله وهي تتحرك.. وبدت علامات الخوف على وجه الجميع.. سألت «كيومي»:

- هل سينهار المبنى؟!

نظرت «أنجيلا» إلى تلك النافذة الزجاجية العملاقة واتسعت عيناها قائلة بسعادة:

- هناك بالأسفل يوجد رجال من الشرطة والإطفاء..

قام «ماكس» وهو يحمل «ميمي» المريضة ونظر عبر الزجاج قائلاً:

- لا أصدق ذلك.. لوّحوا لهم بكل قوتكم..

فصاحت «كيومي» وهي تلوح بيدها قائلة:

- نحن هنا.. أنقذونا..

دقق أحد رجال الإطفاء نظره وهو يتطلع من خلال منظار مكبر ولمحهم وهم يلوحون فالتفت خلفه قائلاً:

- سيدي القائد.. هناك ناجون، لكنهم في الطابق الستين من المبنى..

زم القائد شفّيته بضيق ثم قال بوضوح تام:

- لا تهتموا بذلك المبنى وأطفئوا الأبنية المجاورة، واستخرجوا الجثث.. فلا يمكن أن يكون بها أحياء..

ظهرت الدهشة على وجوه بقية الطاقم وقال أحدهم بانفعال:

- لكن.. سيدي...

قاطعته القائد وهو يقول:

- إنها الأوامر العليا.. فقط تجاوزوا هذا المبنى..

ثم أغمض عينيه بضيق وشد قبضتيه وهو يقول في نفسه:

- أي أوامر هذه؟! هل نتخلى عن إنقاذ البشر بسبب أمر من شخص مجهول؟!

ظلت «كيومي» تقفز وتلوح بقوة وهي في غاية القلق لرؤيتها لهم وهم

ينسحبون ذاهبين باتجاه المبانى الأخرى، فقالت بصوت باك:
- نحن هنا.. أرجوكم لا تذهبوا..

قاطعها صوت «فرانس» الهادئ وهو يقول:

- لا تتعبي نفسك.. فأنت تحتاجين لكل جزء من الأكسجين الذي بداخلك
الآن..

استرخت وانزلقت بظهرها على تلك النافذة وهي تغالب دموعها وتضم
حقيبتها الصغيرة..

شد «ماكس» يديه المجرّحتين على «ميمي» التي كانت فاقدة للوعي..
نظر «فرانس» حوله بشكل سريع وهو يقول في نفسه برعب:

- هذه ليست اهتزازات متفجرات مطلقاً.. إنها تشبه طرق الحديد فوق
سندان.. والصوت يقترب منا في كل مرة..

فجأة ارتجت الأرض بعنف لتتكون فجوة ضخمة ثارت منها سحب الدخان
السوداء.. فصرخ «فرانس» وهو يلوح بيده قائلاً:
- ابتعدوا من هناك..

التف الجميع حول «فرانس» وهم يسعلون بشدة، وظل هو بدوره يراقب
تلك الفجوة مدققاً، فالتسعت عيناه بذهول عندما لمح شخصاً يرقد وسط
الدخان..

ولما همّ بالذهاب إليه فوجئ بذلك العملاق يخترق الأرض ويمد يده
الضخمة من فوق «فرانس» ويسحب «ماكس» بقوة، وبلا سابق إنذار
حتى وقعت «ميمي» من بين يديه.

أمسكه من قميصه وهو يصرخ من هول المفاجأة.. لكنه انتبه إلى ما
أخرسه كلياً!

فقد رأى «ماريو» - الذي كان أسود بالكامل وملابسه ممزقة - مستلقياً
على الأرض وخلف ظهره شيء صغير مثبت في جرحه الغائر يومض بضعف..

انهارت «كيومي» لتسقط بين يدي «فرانس» مغشيا عليها.. واحتضنت «أنجيلا» «ميمي» وهي تنتفض برعب وتقول بصوت باكٍ:

- «هنري» و«ماكس».. أنقذهما.. أنقذهما أرجوك..

ارتبك «فرانس» فليس بيده حيلة لأنهما بين يدي شخص ذي سلاح مجهول.. إلا أنه لاحظ إلى أي مدى تحطم جسده الفولاذي حتى بانث منه الأسلاك وخرجت منه الشرارات الكهربائية.. فأخرج من خلف ظهره سلسلة ببطء..

سمع ذلك الوحش صوت سلسلة «فرانس» فقال بصوت مريع:

- إن حاولت القيام بأي شيء سأسحق هذا الفتى بيدي.. وسأسحقك أنت أيضا أيها الفأر..

قال عبارته الأخيرة وهو يركل «ماريمو» بقدمه المحطمة.. فخرج صوته متألما وهو يقول بصوت منهك:

- لا شأن لك بهم أيها الحثالة.. أنا هدفك، فافعل بي ما تشاء واتركهم وشأنهم..

تساقطت الدموع من عيني «أنجيلا» وهي تكتم صوتها.. بينما تراجع «فرانس» وهو يحمل «ميمي» قائلاً في نفسه بقلق:

- اللعنة.. لماذا يتبع شيء كهذا «ماريمو»؟! الحال أصبح أسوأ من ذي قبل.. فسنموت بالدخان أو بيد ذلك الوحش العملاق.

ارتسمت ابتسامة باردة على وجه «كارنيتورس» ثم شدد قبضته بقوة على جسد «ماكس» الذي صرخ بألم ثم وجه حديثه إلى «ماريمو» بصوت متلذذ: - ما رأيك بعقد صفقة معك؟ هيا قبّل قدمي وسوف آخذك ونخرج من المبنى لنموت معا ونتركهم.. ماذا قلت؟!

صرخ «فرانس» بعنف وقد برزت العروق في رقبتة وهو يقول بغضب:

- لا تفعل ذلك.. أنت أرفع من ذلك.. تستطيع قتله.. إياك أن تفعلها..

اختفى صوت «فرانس» تدريجياً من ذهنه ولم يبقَ إلا صوت السيد «ون»

وهو يقول:

- ليست إرادة وإغما طلب.. أنت سلاحى؛ لذا سأطلبك في أي وقت.
شعر بحقيقة أنه مجرد تجربة فاشلة لا أكثر، فزحف بجسده المنهك
وأمسك بقدم «كارنيتورس» وسط صيحات «فرانس» وذهول «أنجيلا»..
ووضع جبينه عليها.. وسرعان ما أزاح ذلك الوحش قدمه وسحق بها رأس
«ماريمو» وهو يضحك، ثم ألقى «ماكس» بعيدا ليسقط متألما وهو يبكي
ويصرخ. ظل وجه «ماريمو» محشورا في الأرض وقد هدأت أنفاسه تماما..
ثم اقترب منه وهو يزيد من ضغطه عليه قائلاً بهمس:

- بقي عشر ثوانٍ لتنفجر.. ولا يمكنني التنقل بهذه السرعة فأنا عملاق؛ لذا
سنظل هنا.. ما رأيك؟!

نبض قلب «ماريمو» بشدة ومد يده ليمسك بقدم الوحش من فوقه وهدأ
المكان فجأة ليقول له ببرود:

- ألم أقل لك إنني.. سأقتلك.. ليس طاعة له.. وإغما تسلية.. فأنا أريد معرفه
قدراي بأي حال؟ وسوف أفي لك بوعدى حالا.

ثم نهض بقوة وأمسك بساقي الوحش المحطمتين بكلتا يديه، وصرخ
بعنف وسط دهشة الجميع، وألقى بذلك العملاق بقوة إلى الخارج ليندفع
مهشما واجهة المبنى الزجاجية..

ولم يكتفِ بذلك؛ بل قفز من الطابق الستين خلفه، وأخرج عدة نصال من
يده هشمت ذلك الوحش بسرعة.. لتنتشر قطع الحديد من جسده الممزق
في الفضاء..

اتسعت عينا «فرانس» وهو يقف على حافة المبنى ويصرخ بشدة قائلاً:
- «ماريمو».. اتركه.. باقى خمس ثوانٍ فقط..

غطى ذلك الجناح ذو الريش الأسود أرجاء المكان حتى أطبق عليه الذهول
وأخرسته المفاجأة..

تطايرت خصلات شعره الذهبية لتحايي لمعة عينيه المشعة بلون ذهبي
أسر، ثم تحركت شفتاه قائلاً بهدوء:

- اذهب إلى الجحيم..

ارتعب ذلك الكائن الحديدي، وبلا وعي منه أطلق نيرانه الخلفية وهو
يبتعد نحو السماء ليضيئها هول انفجاره حتى حرك هواؤه الساخن
خصلات شعر «ماريمو» وهو يراقب «كلاود» الذي أمسك به، وقد خرجت
من ظهره أجنحة سوداء ضخمة انعكس عليها ذلك الضوء الذهبي..

تساءل «ماريمو» بصوت متقطع:

- لماذا؟ لماذا ارتعب وقتل نفسه؟!

خفت بريق عيني «كلاود» ونظر إلى «ماريمو» وهو يمسك بمعصمه وهو
يبتسم قائلاً:

- ألا ينبغي عليك أن تقلق من القنبلة التي في ظهره؟

صرخ «ماريمو» ببلاهة وهو يحاول نزع القنبلة من ظهره..

ضحك «كلاود» قائلاً:

- لا تخف؛ فبموت ذلك الوحش من الطبيعي أن تموت معه تقنياته..

عاد جسد «ماريمو» لطبيعته وهو يراقب «كلاود» الضاحك باستغراب..

تراجع «كلاود» للخلف وأخفى أجنحته، ورفع «ماريمو» ليقف بجواره على
سور الطابق الستين ثم التفت إلى البقية قائلاً:

- لقد استدعيت المفتش «جيفري» لمساعدتنا..

لم تمض لحظات حتى غطت الطائرات المروحية السماء، وقد أطل المفتش
«جيفري» من إحداها وهو يصيح في مكبر الصوت قائلاً بصوت مضحك:

- سيد «هنري سامون».. هل أنت بخير؟! لقد حضرنا لإنقاذك..

ضحك «ماريمو» بسعادة ولوّح بيده.. واقترب «فرانس» وهو يحمل
«كيومي» ليقف بجانب «كلاود» ثم نظر إليه بطرف عينيه قائلاً بصوت

جاد:

- المرة الأولى التي نرى فيها سلاحك.. ويبدو أنه ليس بالشيء الهين.. أيها الملاك..

بإدله «كلاود» النظرات بعد أن علم بمقصده ثم قال بهدوء:

- شخصي كسلاح ليس مهمًّا لأظهره لأحدكم و«الملاك» - اسم يريد الجميع النيل منه - وأنا أريد العيش في هدوء..

ثم نظر إلى «ماريمو» ورسم على شفتيه ابتسامة راضية..

* * *

فتحت عينيها العسليتين وتلمست تلك الدعامات الحديدية الباردة بجانبها براحة يدها.. ثم مرت الأحداث سريعاً في ذاكرتها فنهضت بسرعة وشهقت قائلة:

- حقيبتى.. والشوكولا!

جاءها صوته الهادئ متنهداً:

- الأهم أنك بخير.. لقد فقدتِ وعيكِ..

انتبهت «كيومي» إلى مصدر الصوت؛ فقد كان «فرانس»، الذي جلس على حافة سيارة الإسعاف وهو ينظر إلى الخارج.. فأدركت أخيراً أنها داخلها.. ابتسمت قائلة:

- هل نجا الجميع؟!

فhez رأسه بهدوء ليطمئنهما..

بحثت في حقيبتها فلم تجد الشوكولا، ونظرت إليه واندeshت لرؤيته وهو يأكلها قائلاً:

- كنت بحاجة لأكل قطعة من الحلوى.. وسقطت من حقيبتك مصادفة..
اعتذر لصديقك إن لم يتذوق حلوى يوم الحب لهذا العام..
تلاأت دموع الفرحة في عينيها وهي تراقبه وهو يأكلها ويوجه نظراته إلى
ذلك البناء الضخم المشتعل قائلاً بصوت كئيب:
- اللعنة.. كان يوماً طويلاً.
ابتلعت ريقها بارتباك واضح واستجمعت أنفاسها لتقول بصوت مرتفع:
- أريد أن أقول لك شيئاً.. أريد قوله لك منذ لقائي الأول بك.. فأنا...
نظر إليها «فرانس» وأنزل الشوكولا عن فمه وصمت لوهلة بدت وكأنها
دهر.. ثم عقد حاجبيه بحزن..

* * *

ضمته بقوة بيديها الصغيرتين وهي تحاول التقاط أنفاسها المشتتة.. وقالت
بصوتها اللطيف:
- «هزري».. أنت بخير.. حتى لو احترقت دميتي فأنا سعيدة أنك بخير..
كانت يداها الساخنتان على ظهر «ماريو» كافيتين لأن تجعلاه قللاً، فربت
عليهما قائلاً:
- سنذهب معاً إلى المستشفى، وهناك...
قاطعته صراخها وهي تهز رأسها نافية قائلة بصوت باك:
- لن أذهب لأي مكان.. أريد أن أعود معك إلى المنزل وسأكون بخير..
نظر «ماريو» إلى «كلاود» الذي أوماً برأسه وكأنه يحضه على تلبية طلبها..
جاء إليهم أحد المسعفين قائلاً بابتسامة مرحة:
- الجميع بخير وتم تضميد جراحهم.. ولم يبقَ إلا جرح «ماكس» العنيد..
أشار «ماكس» بيديه وهو يقبضها ويرخيها وهو يضحك قائلاً:
- يا رجل.. ضمادة «أنجيلا» السحرية ستفي بالأمر.. فالجرح ليس عميقاً

على أي حال..

ابتسمت «أنجيلا» ثم حوّلت عينيها الحاملتين إلى «ماريمو» وقد حملتا ما يكفي من مشاعر قلبها الدافئ وقالت له بهمس:
- كنت كالتفاحة..

ارتخت ملامح «ماريمو» بشكل غريب، وكأن تلك الكلمة عصفت بذهنه بالكامل وتبعثرت الأحداث في ذاكرته؛ فهو أولا وأخيرا سلاح لا غير.. فابتسم مرغما وقال:

- شكرا لك.. فأنا أحتاج إلى المزيد من الوقت.. المزيد..
قال عبارته الأخيرة وهو يضم «ميمي» إليه وكأنه يستجدي شعورا بالعطف.. أدار «كلاود» ظهره مغادرا وهو يقول:
- سألتك في المساء..

رفع «ماريمو» كفه مودعا.. ثم استدار ليضرب بيده بقوة على كتف «ماكس» قائلا:
- لقد حافظت على «ميمي» كما طلبت منك.. أنت حقا شخص يُعتمد عليه..

قاطع ضحكة «ماكس» المتفاخرة صوت «أنجيلا» الهادئ وهي تقول:
- سأذهب لأرى «كيومي»، ربما تكون قد استيقظت..
ظل «ماريمو» يراقبها وهي ترحل وعلى وجهه شيء من الراحة.. شتت ذلك الجو اللطيف مرفق «فرانس» المدهب الذي وكز به جانبه وهو يقول:
- أيها العجوز الفاسق.. لا تطل النظر كثيرا..

تألم «ماريمو» وهو يمسك بجرح ظهره.. بينما لاحظ «ماكس» ظهور الكآبة على وجه «فرانس» وهو يخفض يده ببطء.. حتى تركها تتأرجح في الهواء..

* * *

رسمت على وجهها ابتسامة سعيدة وهي تراقب «كيومي» التي وقفت بجانب سيارة الإسعاف وهي بخير ثم اقتربت منها أكثر حتى أمسكت بيدها قائلة بهرح:

- أنا سعيدة لأنك بخير..

ابتسمت «كيومي» وارتفع صوتها وهي تضحك ضحكة مثقلة بعبرات جارفة.. فارتجفت شفتاها فعضت عليهما بشدة ثم تنهدت بقوة لتقول بصوت مرتجف:

- أجل أنا بخير.. شكرا «أنجيلا».

حركت «أنجيلا» رأسها يمينا ويسارا باستفهام، فلم تستطع «كيومي» كبج جماح دموعها أكثر فبكت بشدة وألقت بنفسها في حضن «أنجيلا» وضممتها بقوة نحو صدرها الملهب..

دُهِشت «أنجيلا» لذلك واحتوتها بين يديها قائلة بقلق كبير وصوت متردد:
- ماذا بك؟ ما الذي حدث؟!

* * *

لقد رفضت الأمر فحسب.. أي قسوة تنعتني بها؟! ما كان يجب أن أخبركما على أي حال..

قالها «فرانس» وهو يزم شفثيه بانزعاج، بينما قفز «ماكس» بثقله على ظهره وهو يضحك قائلاً بسخرية:

- يبدو أن «مادونا» لها سحر خاص.. لم أكن أعلم أنك رقيق هكذا يا رجل..
لكمه «فرانس» على وجهه فابتعد عنه متألمًا، وتراجع خطوتين ليدير ظهره مغادرا وهو يقول بحدة:

- لا تتدخل في شئوني..

راقبه «ماكس» وهو يذهب باستغراب كبير، ثم نظر إلى «ماريو» قائلاً:
- ما هذا؟! يحكي لنا ما حدث معه، ثم يطلب عدم التدخل.. لم أعد أفهمه مؤخرًا..

ظل «ماريو» يحدق إلى «فرانس» ثم نظر إلى «ماكس» وهو يتساءل بهدوء:

- ما معنى قوله إنها تحبه أو يحبها.. شيء من هذا القبيل؟ فقد احترت في معناها منذ عرفت موضوع «جولي».. لكنني أظن أنه معنى جميل.
اشمأز «ماكس» وهو يصرخ برعب مبتعدًا عن «ماريو» وهو يقول بصوت مرتفع قلق:

- أنت أكثر غرابة منه.. ستصيبونني بالجنون..

كتمت «ميمي» ضحكاتها وهي تخفي وجهها من خلف «ماريو» المستغرب.

* * *

على تلك الأعشاب اليابسة في مواجهة أشعة الشمس الذهبية، جلست «أنجيلا» وبجوارها «كيومي» التي بدت هادئة وهي تضم ساقها مخفية بعض ملامحها، ثم نظرت إلى «أنجيلا» التي لم تتفوه بكلمة، وقطبت حاجبيها بقلق لذلك الصمت ثم قالت بهدوء كئيب:

- كان لطيفا مع هذا كله.. لكنه أخبرني أنه يحب فتاة أخرى، ولما سألتها عنها قال إنها ماتت.. وكان حزينا جدا.. ففضلت الصمت كي لا...
قاطعتها «أنجيلا» قائلة:

- أتحببته؟!

أغمضت عينها وردت قائلة على مضض:

- هذا مؤكد..

- إذاً قاتلي لأجل هذا الحب..

قالت «أنجيلا» بجدية شديدة وهي تنظر إلى عيني «كيومي» المشدوهتين..
ثم همست بعدها قائلة بصوت عميق:

- هناك الكثير من الأشخاص الذين جاهدوا ليصنعوا الحياة لأجلنا.. لكنهم ماتوا.. فحمل غيرهم راية الجهاد في هذه الحياة.. فلا تخذليهم..

ترقرقت الدموع في عيني «كيومي» ثم أومأت برأسها وهزت كتفيها وهي تقول بابتسامة قلقة:

- صحيح.. لا بد من أنه يشعر بحزن شديد، وأشعر بأنني الوحيدة التي يمكنها أن تساعد.. ولا أدري لماذا أشعر بذلك..

مسحت على ذراعيها بكفيها لتشتت برودة حزنها، وتظل متمسكة بما تحمل من مشاعر دافئة ورقيقة وهي تقول بهدوء:

- ربما كنت متسرعة فيما قلته له.. سأطلب منه أن ينسى ما حدث.. ونظل صديقين..

قطبت «أنجيلا» حاجبيها باستنكار ثم قالت باهتمام:

- لا تكوني غبية.. إن كنت تحببته فعلا فلا تسمحى بأن ينتهي الأمر بشعورك بالإحباط.. بل جاهدي حتى يعترف بحبه لك..

نظرت «كيومي» بشرود إلى السماء التي كانت ساحرة بشروق الشمس الذي أزاح ظلمة الليل لتهب نسيمات دافئة احتوتهما برائحة الزهور

العطرة.. ثم التفتت إلى «أنجيلا» وابتسمت قائلة بصوت جاد:
- لن أستسلم بسهولة.. وسأريك يا «فرانس» من هي «كيومي».
ضحكت «أنجيلا» وارتسمت على وجه «كيومي» البريء ابتسامة مفعمة
بالحياة..

* * *

وضع يده تحت ذقنه قائلاً بصوت لفه الغموض:
- لقد شعر بقدراته كسلاح، وهذا سوف يعطي فارقا واضحا عند قيامه
بالمهمة المقبلة.
ثم نظر نحو تلك الرقعة على المنضدة أمامه قائلاً بهدوء:
- لكنني أريده أن يُظهر لي قوته كاملة؛ فلديه حالياً نقاط ضعف يجب أن
تُحمى.. وأولها النقاط الإنسانية بداخله.
ارتدى قفازه الأبيض ونهض عن كرسيه الكلاسيكي ليظهر معطفه الطويل
ذو اللون الأبيض الناصع..
انحنى أحد الخدم قائلاً بلهجة رسمية:
- سيدي، لقد حضر العالم «بيتر براون» ملبيا طلبك له.. وهو ينتظر في
غرفة الضيوف..
مد السيد «ون» يده بورقة بها بيانات كثيرة وقد وضع في مقدمتها صورة
لطفلة ثم قال بجدية:
- ذهني مشغول حالياً.. دعه يملأ هذه البيانات ولا يغادر قبل تمام
السادسة مساء..

لم يستطع الخادم إخفاء دهشته، لكنه انحنى على عجل ليتسلم الورقة..
دق جرس تلك الساعة الضخمة ليملأ صدى صوتها المكان، معلنا الساعة
السادسة.. نظر إلى ساعته الذهبية ثم أدخلها في جيبه لتتدلى سلسلتها من

معطفه..

نظر إلى البيانات التي في يده بعينه الباردتين ثم همس قائلاً:
- لا يمكن إعادتها بشكل دائم إذا.. كما توقعت..

قاطع تفكيره صوت الخادم «باركر» وهو يقول بقلق:

- عفوا سيدي؛ ففي تمام الساعة السادسة توفي السيد «بيتر براون» بسكتة
قلبية في طريق عودته إلى مختبره الخاص، فهل للأمر أهمية لديك؟!
صمت السيد «ون» لوهلة، ثم أشعل قداحته ليحرق الورقة التي بيده
ويتعالى الدخان من صورة «ميمي» الصغيرة، فانعكست النار على قناعه
وهو يقول:

- «بيتر براون» عُرف بـ«ناقل التجارب».. تمت معرفة علمه المحدود بشكل
كامل، وتجربتي الخاصة على تلك الطفلة ستكون ملكا لي، ولن يستطيع
أن ينقلها بعد الآن..

اعتلت ملامح الحزن والقلق الكبير وجه السيد «باركر»، ثم عدل نظارته
الدائرية وهو يقول:

- آسف.. لكن كم ستمكث هذه التجربة؟ أخشى أن يؤثر هذا على تفكيرك
بأمور أهم..

- مضت ثلاثة أيام وبقا أسبوع واحد فقط.. ليستمتع بوجودها المدعو
«ماريمو»..

تناثر الرماد على تلك الرقعة، ومسح بإصبعه على حافة كأس الماء بشكل
دائري وقال بصوت هادئ:
- وهي أيضا..

* * *

جرت «ميمي» بسرعة في ذلك الممر المظلم وهي ترتدي ثوبا أصفر قصيرا وقد احتضنت دميتهابدا عليها الإرهاق.. حتى وصلت إلى غرفة «ماريمو».. فتحت الباب بقوة وصاحت قائلة بقلق:

- «هنري»، أين أنت؟!

سقطت بعض أدوات الرسم من بين يديه والتفت قائلاً بارتباك:

- «ميمي»!! لقد أرعبتني!

نظرت إليه بدهشة وقد سالت الدموع على خدها وهي تقول بصوت متقطع:

- لقد أخبرني «ماكس» أنك مصاب وأنني جعلتك تحملني طوال الطريق.. فهل تسببت لك بألم؟!

نظر إليها «ماريمو» لوهلة ثم ابتسم بدفء واقترب منها وانخفض ليمسح دموعها عن وجنتيها الدافئتين قائلاً:

- أنا بخير.. ولم أشعر بالألم وأنا أحملك.. بل كنت أشعر بشيء آخر..

أمسكت «ميمي» بيده الموشومة بيديها الصغيرتين وأغمضت عينيها براحة وهي تقول:

- أنا سعيدة لذلك، شكرا لك..

نظر إليها «ماريمو» وشعر بموج هادر من العواطف يجتاح قلبه، فضمها بكلتا يديه وقد تلاعبت العبرات الخائفة بصوته وهو يقول ضاحكا:

- لا أدري، لكنني أشعر بأنكِ أختي حقيقة.. ولا أريد تكذيب هذا الشعور.. وهذا يثبت أنني «هنري».. ولست...

تبدلت دهشة «ميمي» بالضحك، ثم نظرت إليه وهي تمسك بكتفيه قائلة:

- أخي، إنك تتصرف بغرابة اليوم.. هل تفعل ذلك لتجعلني أضحك؟ سأضحك لأجلك إذًا..

ضحكت «ميمي» من قلبها وقد لمعت قطرات العرق على وجهها الشاحب

فنظر إليها «ماريمو» باستغراب، ثم قال باهتمام:
- أنتِ مريضة قلا تُقلقي نفسكِ بي.. يجب أن تنامي مع «كريمسون» حتى
تعتني بك.. فأنا لا أستطيع ذلك..
ركضت «ميمي» إلى الخارج وهي تجر دميتها قائلة بهرح:
- حسنا.. كما تقول دائما.. «ميمي» ستكون فتاة مطيعة..
رفع «ماريمو» يده مودعا وفي عينيه نظرة دافئة.. قاطع شروده ذلك
الصوت البارد قائلاً بسخرية:
- يالها من مشاعر أخوية صادقة.. لست بالشخص البليد مطلقا..
انتبه «ماريمو» إلى «مونتي» الذي كان مستلقيا أسفل الأريكة وهو يقرأ
مجلة «المانجا» فأصابته الدهشة ثم قال:
- منذ متى وأنت هنا؟!
- منذ ساعتين..
علا صوت «ماريمو» وهو يمسك برأسه كناية عن المصيبة قائلاً:
- لقد كنت أرسم لوحة خاصة..
بدله «مونتي» الصراخ وهو يقول بامتعاض:
- كلانا شخص واحد! ولم أعرك اهتماما أساسا؛ لذا اخرس ولا تزعجني..
- قط متطفل..
- أنا لست بقط.. فلا تنعتني بذلك مجددا..
- كان من الأفضل أن تكون قطا فقط..
- ماذا؟!
هدأ «ماريمو» ثم استرخى على فراشه قائلاً ببرود:
- ذهني مشوش الآن.. فلا تجادلني أكثر من ذلك..
رمقه «مونتي» باهتمام شابه بعض الشرود ثم قال بتردد:
- ماذا يحدث؟! لقد شعرت بحزن مفاجئ.. أليس من الأفضل أن يفضي كل

منا للآخر بما يعتمل في صدره؟
انقلب «ماريمو» على جانبه الأيمن حتى يريح جرحه ثم قال بهمس:
- هل تشعر أننا شخص واحد حقا؟!
تنهد «مونتي» وهو يرفع أحد حاجبيه باستياء قائلاً:
- أخبرني بكل ما يحدث معك.. وسيكون الأمر وكأنه بينك وبين نفسك..
أعدك..
مرت عدة دقائق ليطبق «ماريمو» بعدها شفتيه وهو ينظر إلى «مونتي»
المذهول الذي ينتظر إجابته..
أغمض «مونتي» عينيه ليستفيق من ذهو له قائلاً بحزم:
- أن يصل الأمر إلى أن تخفي عني اتصال السيد «ون» بك!! والأهم من
ذلك...
فوجئ «ماريمو» ونظر باهتمام إلى «مونتي» وكأن مصيره معلق على ما
يقوله ذلك القط الأسود الجالس أمامه..
نظر إليه «مونتي» مباشرة دون أن يكمل عبارته ثم قال:
- لا تُعِر الأمر اهتماما..
فغر «ماريمو» فاه وكأن حياته قد تحولت إلى أشلاء ثم قال بامتعاض:
- كيف لا أعير الأمر اهتماما؟! إنه من قام بعمل تلك التجربة التي أوصلتنا
لهذه الحالة.. ويبدو واثقا من أنني لست «هنري سايمون»..
أكمل «مونتي» قراءة الجريدة وهو يقول ببرود:
- ربما يحاول اختبارك نفسيا.. فكل ما قاله محض هراء.. إن كان «هنري
سايمون» موجودا في هذه الحياة فهو أنت وبكل تأكيد، وأنا مجرد قط
دخيل.. وسوف تعود شخصيتي إليك لتكمل شخصيتك عندما تبطل هذه
التجربة، لنعود كما كنت من قبل، «هنري سايمون» صاحب الشعر الأسود
والملامح الباردة الغبية..

نظر «ماريو» إليه بشرود ثم ارتسمت على ملامحه ابتسامة راحة شابهها بعض القلق وقال:

- لا أعرف إلى أي مدى يمكن أن يصدّق كلامك.. لكنني أشعر ببعض الاطمئنان بسببه.. وبالضيق لأنني لا أريدك أن تختفي..

همهم «مونتي» وذهب بفكره بعيدا وهو يقول في نفسه بقلق كبير:
قد يكون كلام «ماريو» صحيحا، في حالة ما إذا كان يريد استعادته كسلاح؛
لذا لا يجب تجاهله مطلقا، ولن أسمح له بذلك أبدا..

* * *

انحنى الخادم «روبين» عدة مرات وقد بدت عليه السعادة وهو يقول:
- أنا سعيد حقا آنسة «كريمسون» لاهتمامك بالآنسة الصغيرة..

عقدت «كريمسون» حاجبيها وتنهدت باستياء وقالت:
- ألا تستطيع العثور على طبيب العائلة؟! فحالتها تصيبنني بالقلق؛ فهي ما زالت طفلة..

بدت الخيبة على ملامح الخادم «روبين» وهو يومئ برأسه ببطء نافيا، ثم قال بصوت متقطع:

- أنا جديد في العمل هنا.. ولقد أتيت...
أشارت إليه «كريمسون» بيدها لتوقف حديثه ثم أمسكت بجبينها قائلة بانزعاج:

- أعلم.. فهذه هي المرة التاسعة التي أسمع فيها ذلك.. فأرحني بصمتك..
وانصرف الآن..

نفذ الخادم الأمر بسرعة..
دخلت «كريمسون» إلى غرفتها وأغلقت الباب خلفها، ثم نظرت إلى حيث رقدت «ميمي» على سريرها ووجهها أحمر من شدة حرارتها..

تضاعف شعورها بالقلق واتكأت على الباب وهي تقول في نفسها:
ماذا عليّ أن أفعل؟! لم أعتد على الاعتناء بالأطفال.. فهل سأستطيع
مساعدها؟! تحدثت بصوت متردد قائلة:

- «ميمي».. سأتحول لإنسانة أخرى؛ لذا لا تخاف..

بتر حديثها صوت «ماكس» في ذهنها وهو يصرخ، لتفיק على تلك الحقيقة
التي طالما أنكرتها..

نظرت إليها «ميمي» باستغراب ثم قالت:

- لا أريد طبيباً.. أريد «هنري»؛ لأنني سأكون بخير عندما يحضر..

أطرقت «كريمسون» برأسها ليغطي شعرها الكثيف عينيها وابتسمت قائلة:

- لقد ذهب «ماريمو» لإحضار بعض الأدوية اللازمة لحالتك.. لا تقلقي؛
فأنا سأعنتي بك..

وضع بعض المشتريات في السلة، ثم أخذ ينظر إلى بقية الرفوف التي حوت
مستحضرات طبية وتنهّد قائلاً:

- لن أستطيع شراءها دون استشارة طبيب.. جل تبريد الحرارة سيفي
بالغرض..

ثم انتبه لما حوله ليتذكر أنه يقف في المحل نفسه الذي دخله بصحبة
«مونتي» في أول يوم بعد تعرضه لتلك التجربة.. أرخى جفنيه قائلاً بصوت
كئيب:

- كنت يومها بارداً كالتمثال.. ترى هل تغيرت إلى الأسوأ.. أم أنه تغيير إلى
الأفضل؟!

نظر من خلال زجاج نافذة المحل؛ حيث تزاхمت ناطحات السحاب بشكل
معقد، وكأنه يأمل أن يعثر في إحداها على ذلك المكان الأبيض الذي خرج
منه..

اهتز جرس المحل لخروج «ماريمو» وهو يحمل كيساً من الحلوى بجانب

بقية المشتريات..

مشى على تلك الثلوج البيضاء الباردة شاردة تماماً، مر من أمامه بسرعة طيف غريب، ودخل إلى الزقاق المظلم الذي عن يمينه..
شعر ببعض الفضول لرؤية ذلك الشيء السريع، ولدهشته سمع صوتاً من الزقاق يهمس بصوت أنثوي رقيق قائلاً:

- تعالَ إلى هنا..

مشى «ماريمو» ببطء وأطل برأسه داخل الزقاق، لكنه لم يجد أحداً سوى أكياس القمامة وبعض قطع الخردة.. فقال بصوت مرتفع:

- أين أنتِ؟!

دخل حيث ابتلعه الظلام، وفجأة أمسك به شيء ما وثبته على الجدار بقوة.. وعندما دقق النظر كانت فتاة جميلة بلامح جادة موحلة وقد ارتدت شيئاً أشبه بالعباءة، بني اللون أطرافه ممزقة، مع غطاء للرأس.
خرج صوتها من بين أسنانها قائلة بحدة:

- أخيراً وجدتكِ.. سوف أستعيد مكانتي بين الحرس..

نظر إليها «ماريمو» باستغراب ثم رفع حلوى العصا بيده قائلاً بابتسامة:

- لا بأس.. سأعطيكِ واحدة..

هدأت ملامح تلك الفتاة وابتعدت عن «ماريمو» خطوتين ثم أخفت ملامح وجهها المترددة بين كتفيها وهي تقول بخوف:

- هل هذا هو سلاحك؟!

نزع غلاف الحلوى، ما سبّب لها الارتجاف، وأخذت تراقبه بحذر وهي تضم كفيها.. مد يده لها بالحلوى قائلاً:

- إن طعمها لذيذ حقاً..

نظر «ماريمو» إلى الحلوى الحمراء ولم يستطع منع نفسه فوضعها في فمه وهو يقول بسعادة:

- لا أستطيع مقاومتها..
هدأت الفتاة ونظرت إليه قائلة بصوت متردد:
- هل أستطيع تذوقها؟!
مد يده ليضعها داخل فمها هذه المرة.. فاتسعت عيناها باندھاش
وأمسكت بالحلوى وهي تقول بسعادة غامرة:
- حقا.. إن لها طعما مذهلا لم أذوقه من قبل..
ثم قطبت حاجبيها بشدة، ما أثار استغراب «ماريمو»، وقالت:
- سوف يحدث شيء سيئ لشخص تحبه..
دُھل «ماريمو» مما قالته وتذكر قدرته السابقة على اكتشاف المستقبل
بواسطة اللعاب ثم قال باستفهام:
- من أنت؟!
لكن الفتاة أدارت ظهرها مغادرة وهي تقول بصوت جامد تردد صداه في
المكان:
- الحياة، الأمل، الموت، اليأس، السلاح، البشر..
اتسعت عينا «ماريمو» من الدهشة وهو يراقب تلك الفتاة التي كانت
تسبح في الهواء بعدما كشف الهواء عن ملابسها ولم يكن لها قدمان وقد
تبخرت في الضباب..
أغمض عيني به قلق ثم ترك المكان ليخرج من ذلك الزقاق، وأمام فندق
ضخم وجد تجمهرا للناس والكثير من سيارات الشرطة.. فاقترب وهو
يتساءل باستغراب قائلاً:
- ما الذي يحدث هنا؟!
أشار أحد الرجال إلى الأعلى قائلاً:
- حالة انتحار.. لقد ألقت فتاة بنفسها من الطابق الأربعين.. وقد حاولت
الشرطة إثناءها عن ذلك، لكن بلا جدوى..

اخترق «ماريمو» الحشود ليراقب المسعفين وهم ينقلون الفتاة المنتحرة،
وَصُدْم عندما وجد أنها تلك الفتاة التي أخذت منه الحلوى للتو، لكنها
نظيفة ولديها قدامان.

تفرق الناس ومضت سيارة الإسعاف إلى سبيلها وظل «ماريمو» واقفا وقد
لَفَّتَه الحيرة.. فكيف صعدت كل هذه الطوابق وكانت معه وتلاشت في
الفضاء أمام عينيه وفي أقل من دقيقة كانت ملقاة على الأرض أمام الفندق
في الجهة الأخرى؟! هل كان الأمر مصادفة وأن الفتاة الأولى كانت تشبه
تلك المنتحرة؟!

هز كتفيه مستسلما، لكن شيئا ما احتل تفكيره.. مَن ذلك الشخص الذي
يجبه وسيحدث له أمر سيئ؟!

* * *

أزاح شعرها الأشقر ووضع يده على جبينها وهو يقول بصوت هادئ
وابتسامة عذبة:

- أنت بصحة جيدة اليوم..

احمرت وجنتا «ميمي» وشدت قبضتيها وهي تقول بسعادة:

- لأن أخي «كلاود» هو من قام بفحصي فسأكون بخير..

ابتسمت «كريمسون» ثم قالت بارتباك:

- لم أكن أعلم أنك تحب الأطفال.. لقد نعتتك بأخيها..

استرخى على الكرسي من خلفه وعقد ساعديه قائلاً:

- لقد درست الطب.. وحالتها هذه تعود لتغيرات الجو؛ فقد كانت تعيش
في الريف..

رفعت «ميمي» يديها قائلة بهرح وصوت ممدود:

- أجل.. لكنني لا أريد العودة إلى هناك مرة أخرى..

رفع «كلاود» إصبعه وابتسم قائلاً:
- كان الأمر مجرد تخمين.. وقد أصبت..
كانت «كريمسون» مشدوهة من تصرفاته الطفولية مع «ميمي»، كما خطر
ببالها شيء آخر فقالت:
- انتظر.. انتظر.. لا تقل لي إنك قد درست في كلية الطب من قبل..
وضع يده على جبينه باستياء ثم عقد حاجبيه قائلاً بصوت كئيب:
- لقد تخطيت الكثير من المراحل لأنهي دراستي الجامعية مبكراً، وحصلت
على شهادة البروفيسور في كلية الطب، لكنني أدرس معكم المرحلة الثانوية
لتمضية الوقت لا أكثر.
اهتز حاجبا «كريمسون» لهذا الخبر.. ثم قالت:
- كم تبلغ من العمر؟!
رمقها «كلاود» بنظرات قاتلة، ثم تحركت شفتاه قائلاً بصوت هادئ:
- ثمانية عشر سنة.. ولا أظن أنها معلومة خافية عنك..
أومأت برأسها موافقة ثم كتمت فضولها وهي تقول في نفسها:
لقد عاد مرة أخرى لطبيعته المبهمة، ومع ذلك فهو لا يستطيع إخفاء حبه
للأطفال.. والدراسة الثانوية..

* * *

فتح الباب أحد الخدم قائلاً:

- مرحبا بعودتك.. سيدي..

جر «ماريمو» قدميه إلى داخل المنزل وهو يعض الحلوى في فمه.. رآه «كلاود» الذي كان ينزل السلم فأشار إليه قائلاً:

- كنت بانتظارك..

نظر «ماريمو» إلى الجميع وقد جلسوا على الأريكة الموجودة بالصالة ووجوههم جادة.. وصاح قائلاً:

- ماذا حدث؟!

أشار «ماكس» إليه ضاحكا وهو يقول:

- يا رجل.. لا تكن عجولا.. فلدينا اجتماع طارئ لا أكثر..

جلس بينهم وقد عادت إليه حالة الشroud، وأفاق على صوت «كلاود» وهو يقول:

للأسف لم نَقُم حتى الآن بالتحرك لعمل شيء منذ أن داهمتنا تلك المنظمة لتفتك بأغلب أعضاء منظمنا السابقة، وأصبح ترتيبنا الحالي بين المنظمات القوية ترتيبا متدنيا، خصوصا أننا نعتمد على أسلحتنا الجسدية دون محاولة تطويرها وزيادة قدراتها..

اتكأ «فرانس» بيده على الأريكة وهو يقول بسخرية:

- وذلك لأن الملاك لا يظهر قدراته كاملة.. لقد سمعت عنه الكثير ولم أكن أتوقع يوما أنه أنت..

وجّه إليه «كلاود» نظرات باردة وهو يقول:

- الأهم من ذلك هو: نقص الدماء لديك.. وجهل «ماريمو» بقدراته.. وتلف

سلاح «ماكس».. وضعف «كريمسون»..

عقدت «كريمسون» حاجبيها باستفهام قائلة:

- ما الذي تقصده بضعفي؟!

حوّل نظراته إليها ليقول:

- أعني ضعفك العاطفي.. أعلم أنك تستخدمين السلاح مرغمة؛ لذا أعتقد أنك لا تطلقين طاقتك الكاملة..

أطرقت «كريمسون» برأسها؛ فقد صعقتها كلماته لأنها لم تدرك ضعفها في يوم من الأيام ولأنه خمن ذلك على الرغم من أنه لا يعلم شيئاً عن ماضيها..

حرك «فرانس» يده بعصبية وهو يقول بانفعال:

- وما الذي تريد منا أن نفعل؟! ولماذا تحشو رؤوسنا بهذا الكلام الفارغ؟! وضع «كلاود» يده تحت ذقنه مفكراً بعمق ثم قال:

- إن حجر برج العذراء هو العلاج الأمثل لسد نقاط ضعف سلاح أي واحد منكم.. ولقد بدأ حراسه بالتحرك.. وهذا يعني أنهم ينوون تسليم هذا الحجر إلى شخص ما.

كان «كلاود» قد وضع مخططاً لمدينة «لوس أنجلوس» بالكامل ثم مشى بإصبعه عليه قائلاً:

- هنا على طرف المدينة المهجور توجد قلعة أثرية بُنيت منذ ألف سنة؛ حيث يوجد الحجر وتقوم بحراسته سبع حارسات يرتدين ثياباً بنية فضفاضة ولهن قوات خارقة مختلفة..

وتقول الأساطير إنه سوف يتم تسليم هذا الحجر إلى شخص معين في ليلة اكتمال القمر من هذا الشهر.. وبعدها تختفي الحارسات من الوجود.. ولذلك بدأت كل المنظمات بالتحرك نحو تلك القلعة.. لتعمل على أن يكون الشخص المختار لتسلم الحجر أحد أعضائها..

دُهِش «ماريمو» مما قاله «كلاود» وتذكر تلك الفتاة وهي تقول له «أخيراً وجدتكَ وسأستعيد مكانتي بين الحرس»، فقام فجأة وغادر على عجل وسط استغراب وحيرة الجميع.

صرخ «ماكس» مناديا، ولكن ما من مجيب..

* * *

ركض بسرعة على أرض تلك الشوارع البيضاء المكسوة بالثلوج والبخار يخرج من فمه وقد تلاحقت أنفاسه من التعب وقد ترددت الذكريات في ذهنه.. بكاء «كريسون» والدماء تغطي «فرانس» وصراخ «ماكس» وهو يتألم في قبضة «كارنيتورس»، فصاح قائلاً:

- إذا حصلت على ذلك الحجر فسوف أساعد الجميع وربما أستعيد شخصيتي الحقيقية..

دخل الزقاق المظلم وهو يركض بسرعة لتتعثر قدمه في شيء ما، فسقط على ظهره في بركة من الدماء..

نظر حوله بذهول وهو يتلمس ذلك الشيء القاسي الذي تحت يده، ولما رفعه أمام عينيه وجد أنها الحلوى الحمراء وقد أكل نصفها وهي تتقاطر دما..

* * *

أغلقت الباب من خلفها وهب هواء بارد ليتطاير شعرها الأسود من حول وجهها الذي حمل ملامح الحيرة وهي تحديق إلى ساعة يد بين كفيها قائلة:
- غدا يوم عطلة.. وربما يبحث «هنري» الآن عن هذه الساعة التي وقعت منه في المبنى المتفجر، وقد كان عليّ أن أتذكر إعطائه إياها قبل أن يرحل..
رفعت «أنجيلا» عينيهما نحو السماء المظلمة ثم التفت نحو غرفة السائق المطفأة الأنوار.. وتنهدت وهي تنزل الدرجات الرخامية لتغادر منزلها ممسكة بحقيبة يدها الصوفية وبدا عليها الخوف وهي تمشي على تلك الأرصفة البيضاء..

لملمت شالها الصوفي لتمنع البرودة الشديدة من الوصول إلى جسدها..
وأغمضت عينيها محاولة تجاهل شعورها بالخوف من الأزقة الخالية
والمحلات المغلقة..

سمعت خطوات من خلفها ففضلت عدم الالتفات، بل تسارعت خطواتها
على تلك الثلوج الباردة لتقترب أخيرا من منزل «هنري سامون».. وعندما
تجاوزت الحديقة ووصلت إلى باب المنزل، سرعان ما التفتت، لكنها لم تجد
أحدا خلفها، فابتسمت وهي تقول:

- كانت محض خيالات..

نظرت إلى منزل «ماريمو» وهي تمسك بالساعة بين يديها وارتسمت على
فمها ابتسامة دافئة ثم همست قائلة:

- أستطيع القول الآن إنني لا أكره «هنري».. بل إنني سأساعده بكل ما
أملك ليكون شخصيته الخاصة..

سمعت من خلفها صوتا أنثويا أشبه بالفحيح يقول:

- ستكونين أنت الثمن «أنجيلا»..

نظرت «أنجيلا» خلفها مجددا حيث حديقة المنزل ذات الأشجار الكثيفة،
ثم عقدت حاجبيها وهي تتقدم نحو الصوت ببطء قائلة:

- من أنت؟! هل يمكنني المساعدة؟!

اتسعت عيناها فجأة وكأنها مصعوقة وسقطت الساعة من بين أصابعها
لتنغرس في تلك الثلوج..

* * *

تطايرت الستائر الرقيقة بفعل نسائم الليل الباردة.. كان مسترخيا تماما على فراشه الوثير غارقا في النوم، ووجهه لا يحمل أي تعبير.. أفاق على صوت قرعات متتالية على الباب، فقطب حاجبيه مستثقلا الإجابة، حتى قال بعدما استجمع بعضا من وعيه للرد:

- تفضل بالدخول..

فُتح الباب ببطء ليشق النور الخارجي ظلمة الغرفة وينعكس على عيني «ماريمو» الخضراوي، فوضع يده على جبينه قائلاً باستغراب:

- «ميمي».. ما الذي أتى بك في هذا الوقت؟! هل أنت بخير؟!

لم يكن يراها بوضوح بسبب النور من خلفها وبدت هادئة تماما، ثم قالت بصوت هادئ شابه بعض الخوف:

- لقد رأيت حلما سيئا وأريد أن أنام بجانبك..

مكث «ماريمو» صامتا وهو ينظر إليها.. انتبهت لنظراته فأغضت عينيها بسرعة وهي تقول بصوت مرتفع:

- آسفة.. لقد كذبت عليك.. لم أر حلما سيئا.. لكنني أردت أن أبقى معك.. فهل توافق؟

تنهد باستياء ثم حشر رأسه في وسادته قائلاً بصوت مكتوم:

- لن أرفض على أي حال.. لكن ما كان عليك الخروج من سريرك في هذا الوقت؟ فأنت مريضة..

قفزت بسرعة بقدميها الحافيتين، وصعدت إلى السرير بصعوبة، ثم سحبت دميته خلفها وألقت بنفسها ورقدت خلف «ماريمو» وسحبت الفراش عليها.. وضعت رأسها على طرف مخدته وهي تضم دميته وعبست قائلة:

- هل تنام في الظلام دائما؟!

همهم «ماريمو» بملل ثم مد يده نحو مفتاح الضوء بجانبه وضغط عليه ليضيء بعض الغرفة، ثم ترك يده تتأرجح على حافة السرير..

- احكِ لي قصة الأميرة صوفيا..
أطلق تنهيدة ثانية ثم التفت إليها وهو منزعج وكاد يتكلم، إلا أنه صُدم
بدموعها الصامتة وهي تخفي وجهها بالفراش، فقال بقلق:
- ماذا؟! هل تشعرين بالتعب؟!
أومأت برأسها نافية ثم قالت بصوت مثقل بالعبرات:
- أنا لم أعد أشعر بالمرض.. لكنني أود الذهاب معك إلى أي مكان تذهب
إليه، حتى سيرك.. فأنا تائهة..
هدأت ملامحه عندما علم السبب.. استرجع «ماريمو» ما حدث بالأمس
عندما عاد من الخارج وفوجئ الجميع به وقد أُشربت ثيابه بالدماء.. فقال
في نفسه بشرود:
- لقد فسر «كلاود» الأمر بشكل غريب.. عندما قال إن تلك الفتاة مجرد
روح ودم وإن جسدها الأصلي بشري حقيقي، وهو من ألقى بنفسه من
ذلك الفندق.. عوضا عن ذلك فإن ما أثار استغراب «كلاود» هو جملتها
عندما قالت لي «أخيرا وجدتك»، و«سوف أستعيد مكانتي بين الحرس»،
وذلك يثبت أنها إحدى الحارسات السبع.
نظرت «ميمي» إليه بعينيها الواسعتين اللتين ترقرت فيهما الدموع ثم
قالت:
- لن توافق كما توقعت «ميمي»..
مسح «ماريمو» على شعرها ورسم على شفتيه ابتسامة وهو يقول:
- لكن ذلك المكان خطير ومخيف.. سأبقى هنا معك وسند...
قطبت حاجبها لتحمر وجنتيها بغضب لطيف قائلة:
- أنا أعرف كل شيء.. فأنت تريد الحصول على الحجر حتى يصبح شعرك
أسود اللون، لكنني أحب شعرك الأخضر هذا وعينيك الخضراوين.. فلا تعد
لشكلك السابق حتى لا تكرهني مجددا..

ثم أطرقت برأسها وضمت دميتهما أكثر وهي تقول بهمس:
- لكن «ميمي» ليست أنانية؛ لذا سأذهب مع «هنري» الأخضر للحصول
على الحجر، وأذكره كم كان طيباً حتى لا ينسى..
ابتسم «ماريمو» بدفء واحتواها بين ذراعيه قائلاً بصوت هادئ:
- إذاً سنذهب معا غداً إلى تلك القلعة.. وسأحميك بروحي.. حتى إن
أصبح شعري أسود اللون سأذكر أنك أختي التي أحببتها ولن أنسى ذلك
أبداً.. أعدك..
همهمت «ميمي» وابتسمت بعذوبة، وأغلقت عينيها ببطء لتنام بين يدي
«ماريمو» وهي مطمئنة.. ثم تحركت شفتاها قائلة:
- سأحبك دوماً أخي..
ابتسم «ماريمو» وكأنها قد أعطته شعوراً غريباً لم يكن يعلم معناه يوماً..
إنه الحب..

* * *

توقف أمام البوابة الرئيسية لمنزل «ماريمو» ثم أمال رأسه مستفهماً وقد
انزلقت خصلات شعره الأشقر على وجهه وهو يلتقط تلك الساعة التي
كساها الثلج..
كانت البصمات المنطبعة عليها واضحة تماماً أمام عيني «كلاود» اللتين
تلاأتا بضوء ذهبي خافت ثم همس قائلاً:
- إنها ساعة «ماريمو».. لكن لماذا طبعت عليها بصمات تلك الفتاة؟ وما
الذي أوقعها هنا؟!

* * *

خلع معطفه الأسود الطويل وثناه بطريقة مرتبة على ذراعه.. ثم أطبق
 بأسنانه على قفازه الجلدي وخلعه، وابتسم قائلاً بلهجة حزينة:
 - هادئ تماماً.. لكنه لن يظل هكذا طويلاً.. وهذا ما يجعل الأمر مؤسفاً..
 - أهنأك شيء مؤسف تخمن حدوثه كالعادة؟!
 قالتها «كريمسون» وهي تشد على رداؤها القطني الذي ترتديه فوق قميص
 نومها ممسكة بكوب فارغ وقد بدا عليها الاستنكار والقلق..
 أغمض «كلاود» عينيه ثم أراح جسده على الأريكة خلفه وقال بهدوء:
 - من الأفضل أن يستمتع بما تبقى لها من أيام معه؛ لذا سأظل محتفظاً
 بالإجابة لنفسي..
 تنهدت «كريمسون» بخيبة أمل ثم أكملت نزول السلم، متجهة نحو
 المطبخ، ليقطع صمتها صوت «كلاود» المتردد وهو يقول:
 - هل استيقظت «ميمي»؟!
 أخفت «كريمسون» ضحكتها وهي تقول:
 - ستنزل بعد قليل برفقة «ماريو».. لقد نامت في غرفته أمس.. إنها
 متعلقة به جداً..
 شبَّك «كلاود» أصابعه وأخفى بها ابتسامته وهو شارد، قاطع شروده صوت
 «ميمي» وهي تصرخ بحماسة قائلة:
 - مرحباً أخي «كلاود».. لقد أتيت باكراً..
 قفزت عليه لتعانقه قبل أن ينتبه، فلم يستطع إخفاء دهشته التي أجبرت
 «كريمسون» على إمساك بطنها بألم وهي تقول في نفسها ضاحكة:
 - وأخيراً.. لديك نقطة ضعف «كلاود».. لم أره مندهشاً بهذا الشكل أبداً..
 يبدو وكأنه شخص آخر مع الأطفال..
 جلست «ميمي» بجانبه سعيدة وهي تقول:
 - منذ الأمس وأنا لم أشعر بالتعب مطلقاً؛ لأنك أعطيتني ذلك الدواء..

انتبهت «كريمسون» لما قالته «ميمي» فقالت باهتمام:

- هل أعطيتها دواء؟!

اكتفى بالإيماء برأسه ثم نظر إلى «ميمي» قائلاً بهدوء:

- لقد أحضرت لكِ معي شيئاً..

رفع بين إصبعيه كتاباً للقصص القديمة وقد رُسم عليه فارس بشعر أشقر وأميرة وقلاع كثيرة..

فانتسعت عينها بفرحة غامرة، وأخذت الكتاب وهي تقول:

- أنا أحب القصص القديمة؛ فالفرسان فيها يشبهون أخي «كلاود»، والأميرات جميلات.. شكراً لك..

ضحك «كلاود» وهو يقول بحماسة:

- لقد خمنت ذلك أيضاً.. ومن الواضح أنني أصبت..

عقدت «كريمسون» حاجبها معبرة عن شعورها تجاه تلك الصورة التي تراها أمامها وهي تضحك ببلاهة..

خرج «فرانس» من إحدى الغرف وهو يعبث بشعره متثابراً.. ثم قال بملل:

- حقيقة الوقت ما زال مبكراً للذهاب إلى القلعة الآن..

أطرقت «ميمي» برأسها وهي تضم كتاب القصص وقد بدا عليها القلق، وضع «كلاود» يده على شعرها قائلاً بصوت دافئ:

- يمكنكِ البدء بقراءة القصة في غرفتك.. وأخبريني لاحقاً بما حدث فيها؛ فأنا لم أقرأها بعد..

شعرت بالحماسة تدب في قلبها، فنزلت عن الأريكة واتجهت إلى غرفتها، ما أثار استغراب «كلاود» الذي حوّل عينيه إلى «فرانس» فوجده كالتمثال من الصدمة وهو يقول ببرود:

- وحش مثلك يمتلك مشاعر رقيقة كهذه.. مستحيل!

سيطرت النظرة الجادة على عيني «كلاود» ثم قال بصوت صارم:

- من الأفضل أن نحافظ على أن تكون خططنا في سرية تامة، وأن تكون بعيدة حتى عن أعين الأطفال.. فلا تثق بكل ما هو حولك حتى إن كان جمادا..

هز «فرانس» رأسه بنصف استيعاب ثم فتح مشروبه الغازي وجلس على الأريكة المقابلة..

نزل «ماريمو» السلم على عجل وهو يحمل حقيبة ضخمة على ظهره، ما جعل «فرانس» يبصق ما في فمه ويسعل وهو يشير إلى «ماريمو»..
نظر «كلاود» خلفه ليري «ماريمو» وهو يحمل تلك الحقيبة الضخمة فتنهد باستياء، ثم أغمض عينيه مستسلما..

صرخ «فرانس» أخيرا وهو يقول:

- أيها الأحمق.. نحن ذاهبون إلى مهمة وليس إلى رحلة على أحد الشواطئ..
أشار «ماريمو» بيده وهو يقول ضاحكا:

- لا أأري كم ستطول المهمة؛ لذا جلبت معي قدرا كافيا من الحلوى..
أقبلت «كريمسون» وهي تربط حزام معصمها وقد بدت مستعدة تماما..
وجاء «ماكس» من خلفها يضم وسادته وهو شبه نائم..

نظر «كلاود» إلى ساعته وقد أشارت إلى الثانية عشرة ثم قال بجدية:
- الوقت مناسب لسرد الخطة بشكل كامل؛ لذا أرجو ألا يقاطعني أحد،
وإن كان هناك سؤال لأحد منكم فليحتفظ به حتى أنتهي..

فتح الخريطة وثبتها على تلك الطاولة الزجاجية ثم عقد ساعديه وجلس باعتدال قائلاً بهدوء:

- الموقع محدد ومعروف ولا داعي لشرحه، ولقد أخبرتكم بالأمس بما يكفي من المعلومات بشأن تلك القلعة، وكذلك الحجر والحارسات السبع.. ولكن ما لفت انتباهي هو ما حدث مؤخرا مع «ماريمو» وتلك الفتاة صاحبة الزي الفضفاض؛ فهي بالتأكيد إحدى الحارسات، وهناك ثلاثة أدلة على

ذلك: هيئتها وزيها، ما قالت له، ثم طريقة موتها..
لقد ماتت بطريقة موت الأرواح عادة، وهي وجود دماء دون وجود جثة..
وعندئذ يموت الجسد الذي تسكنه تلك الروح، الذي تملكه فتاة عادية لا
تعلم بأمر الحارسات شيئاً، وغالباً ما تنتهي حياتها انتحاراً.
احتدت نظراته وصمت لوهلة ثم نظر إلى «ماريو» قائلاً:
- مجيء تلك الحارسة إليك يعطينا أملاً أنك المختار لتسلم الحجر.. ولكن
لمآذا قالت لك عبارة «لقد عثرت عليك أخيراً، وسأستعيد مكانتي بين
الحارسات»؟! ولماذا انتحرت بعد أن أخلت سبيلك بوقت قصير؟! ولدينا
إجابتان عن هذا السؤال يمكننا الاعتماد عليهما ونحن في القلعة..
ثم رفع إصبعيه وهو ينظر إليهما قائلاً بثقة:
- الأول: ربما استيقظت قدرات «ماريو» كسلاح لأنها تعتبر سلاحاً هي
الأخرى، فأصبح لعبه ساماً، ما أدى إلى موتها وانتحار الجسد بعدها.. وهو
احتمال ضعيف.. أما الثاني فهو نشوب نزاع فيما بين القائدة والحارسات
على اختيار الشخص المناسب لتسليمه الحجر، وحين وجدت القائدة
«ماريو» ظنت أنه هو الاختيار الأمثل، لكن حارسة أخرى قامت باغتيالها،
كما أنها قبل موتها نسبت أمر الحجر فلم تعطه له لانشغالها بالحلوى.
أمسك «فرانس» برأسه بعصبية وهو يصرخ قائلاً:
- هذا يعني أن «ماريو» هو السبب في استبعاده من الاختيار.. وبسبب
تلك الحلوى التافهة.. يا لك من أحمق..
وضع «كلاود» إصبعه على شفتيه في تركيز تام وهو يقول بجدية:
- وهذا السبب هو الأقرب للصحة.
دُهِش الجميع لهذه القدرة التحليلية العجيبة.. ابتسم «ماكس» وهو يقول
بصوت دافئ:
- مر زمن طويل على سماع استنتاجات «كلاود» التي لا أفهمها عادة..

لكنها ستفيدنا حتما..

ظل «ماريمو» شاردا ثم تحركت شفتاه ليقول بصوت كئيب:

- ما الفرق بين روح وسلاح بشري وسلاح؟!

نظر إليه «كلاود» ثم أرخى أجفانه وكأنها أثقلت بأهدابه الكثيفة وقال بصوت هادئ:

- سؤالك خارج الموضوع، لكن لا بأس سأجيبك.. الروح شيء لا نستطيع أن نراه أو نشعر به، وعادة ما تنتقل من جسد إلى آخر.. أما الإنسان فهو البشر العادي مثل «ماكس»، أو المسلح مثل «فرانس»؛ فهو في الأصل بشري مر بتجربة أجريت عليه فأصبح سلاحا بشريا، لكنه يعرف ماضيه ولا يقع تحت سيطرة أحد..

أما النوع الثالث فهو سلاح فقط.. لم يكن له ماضٍ أو طفولة بل ظهر فجأة كشاب، وبالطبع هناك شخص ما يتحكم به ويستطيع نبذه في أي وقت وتحطيمه عندما يستغني عنه.

صمت «ماريمو» ثم ابتسم وهو لا يعلم ما معنى هذه الابتسامة.. أهو استسلام.. أم حزن.. أم ربما رضا بواقعه كسلاح يتحكم به سيده.. ظلت نظرات «كلاود» معلقة به، وكأنه أدرك شيئا ما، ثم حوّل نظراته إلى الجميع قائلاً:

- الأمر الأهم أن الروح المقتولة تظل هائمة حتى تعثر على جسد ما لتسكنه ثم تسلبه روحه وجسده معا وتتصرف فيه كيفما تريد، وهذا الصباح... رفع «كلاود» ساعة يد «ماريمو» فنظر إليه الجميع باستنكار، ثم قال «فرانس»:

- أليست تلك ساعة «ماريمو»؟! وما شأنها بالأمر؟!

نظر «كلاود» إلى «ماريمو» الذي كان مشدوها ثم قال بهدوء:

- بطبيعة الحال، عادت تلك الروح المقتولة إلى منزلك كآخر شخص تحدثت

معه، لكنها عثرت على جسد مناسب لها؛ حيث إنها روح عذراء، وهو جسد
الآنسة «أنجيلا» التي جاءت في تلك اللحظة لتعيد ساعتك.

اتسعت عينا «ماريمو» بقلق كبير وهو يستمع إلى كلمات «كلاود» الذي
أمسكت بقلبه حتى كادت تنتزعه وهو يكمل قائلاً:

- من البديهي أن تعود «أنجيلا» إلى تلك القلعة بلا وعي منها تحت سيطرة
تلك الروح.. والشيء المحتمل هو حدوث نزاع جديد بين الحارسات،
وعندها ستقتل الروح مجدداً.. وستدفع «أنجيلا» نفسها للانتحار بعدها
مرغمة وبإصرار كبير دون إدراك منها أيضاً..

ضرب «فرانس» الطاولة بكلتا يديه بعصبية شديدة وهو يصيح قائلاً:
- فليذهب الحجر إلى الجحيم.. المهم ألا يحدث شيء لـ«أنجيلا».. فهي...
قطع صياحه فجأة لينظر إلى «ماريمو» الذي كانت ملامحه جادة وهادئة
تماماً وهو يقول بثقة تامة:

- فهمت.. مهمتنا ستتحول من محاولة أخذ الحجر إلى إنقاذ «أنجيلا»..
أهذا ما حاولت أن تقوله؟

أوماً «كلاود» برأسه ثم قال بغموض:

- ليس هذا هو الشيء الوحيد؛ فأنا لديّ طموح أكبر من إنقاذ مجرد فتاة..
نظرت «كريمسون» إليه باهتمام ثم قالت على عجل:

- ما الذي تقصده؟! أليس إنقاذ «أنجيلا» هو الشيء الأهم؟!

ارتسمت على شفتي «كلاود» ابتسامة واثقة وقال بصوت منخفض:

- سيجتمع الملايين من الأشخاص لمحاولة الحصول على حجر برج العذراء..
وليس هناك إنسان بسلاح كامل.. وربما يظهر..

نظر إليه الجميع باستفهام.. ونظر إليه «ماريمو» بتركيز أكبر.. فقالتها
«كلاود» بحماس:

- الأسطورة الخرافية.. السيد «ون»..

صُغى «ماريمو» وعقد «فرانس» حاجبيه قائلاً بامتعاض:

- هل تصدق بوجود هذا الشخص؟

- نعم، وبكل تأكيد.

قالها «كلاود» بكل ما أوتي من ثقة، ما أدى إلى تباين رد فعل الجميع ما بين دهشة وخوف واستغراب.. أطرق «كلاود» برأسه ليتناثر شعره على عينيه قائلاً بهمس:

- سيكون من الممتع لقاءه..

ثم نظر إلى «ماريمو» بعينه الفيروزييتين من بين خصلات شعره بعدما احتدتا بتركيز مريب.. نهض «ماريمو» بكل ما أوتي من عزيمة ثم قال:

- يجب ألا نضيع الوقت.. «أنجيلا» في خطر.. وسوف تكون مهمتنا هي إنقاذها بغض النظر عن أي شيء آخر..

نهض الجميع ليقفوا حول «ماريمو» وظل «كلاود» جالسا ثم نهض واقفا ورفع يده ووضع إصبعيه أمام جبينه ليحييه وهو يتسم قائلاً:

- أمرك سيدي..

ابتسم «ماريمو» ودّهش البقية من رد فعل «كلاود» وضحك «فرانس» وهو ينظر إلى «كلاود» قائلاً بسخرية:

- ستكون المهمة سهلة بوجود الملاك بيننا.. وأخيرا لن تمثل دور البطل الذي يظهر في اللحظات الحاسمة..

قام «كلاود» من مكانه ومرر يده على الأريكة بانسيابية وهو يقول:

- من المؤسف أنني سأخيب ظنك؛ لأنني سأكون متنكرا ومنعزلا عنكم.. إبعادا للشبهات.. لكن تأكد أنني سأراقبك دوماً وسأحميك..

ثم نظر إلى «ماريمو» ورسم على شفثيه ابتسامة تحدّ، فرد «ماريمو» بابتسامة صافية:

- شكرا «كلاود».. سأبذل ما بوسعي..

ولما أدار ظهره مغادرا سمع صوت «كلاود» المرتفع قائلاً:
- اعتنِ بها جيداً؛ فهي ما زالت مريضة.. ومن الأفضل أن يرافقك «مونتي»
مشياً.

ارتبكت «ميمي» وهي داخل تلك الحقيبة وعصرت «مونتي» بين يديها
بقوة أدت إلى موته مؤقتاً..
رفع «ماريو» يده وضحك بخفة وكأنه أدرك مقصده ثم مشى نحو الخارج
للقيام بأول مهمة لمنظمتهم الصغيرة..

* * *

تعالى البخار الدافئ من بين شفتيه ممزوجاً برائحة الحلوى.. وهو يغمض
عينيه وكأنه يريد أن يجمع شتات ذكرياته القليلة مع «أنجيلا»، ثم نظر
إلى الجميع قائلاً:

- علينا أن ننسى أمر «حجر العذراء»؛ فإنقاذ «أنجيلا» أهم منه بكثير.. لن
ندع أحداً يمسها بأذى مهما حدث.. سيكون هذا وعداً منكم جميعاً ويجب
عليكم تنفيذه..

أوماً «فرانس» برأسه بابتسامة هادئة، ثم نظر من نافذة السيارة؛ حيث
ظهرت أبراج القلعة الرمادية الشاهقة ثم قال:

- إن جو هذه القلعة مشحون بروح شريرة؛ فالجميع أتوا وكل منهم يريد
النيل من الآخر، من أجل حجر أسطوري قد يكون وهماً..

اتسعت عينا «ماكس» بدهشة وهو يرى مجموعات من البالونات الملونة
تطير في السماء وصرخ بفرع وقال:

- ما هذا؟! هل هذه أرواح؟!

نظرت «كريمسون» إلى البالونات التي ابتعدت وكأنها تريد لمس ضوء
الشمس وابتسمت قائلة:

- إنها معركة صامتة؛ فالיום هو مجرد احتفال لمرور ألف عام على وجود

قلعة برج العذراء.. لكن في الحقيقة الغالبية سوف تحضر لأجل حجر العذراء فقط.

أصاب «ماكس» إحباط عجيب وهو يبعثر شعره بيده قائلاً بقلق:
- ظننت الوضع أسهل من ذلك.. معنى هذا أنه يجب أن نتصرف وكأننا
حضرنا للاحتفال، متجاهلين مهمتنا الأساسية ونحن حتى لا نعرف من هو
عدونا الحقيقي..

ارتسمت ابتسامة واثقة على وجه «فرانس» وهو يقول:
- سينتهي الحفل في المساء.. والأسطورة تقول إن الحارسات سوف يقمن
بتسليم الحجر إلى من سيتم اختياره في الساعة الثانية عشرة مساءً؛ لذا
فمن سيظل موجودا حتى ذلك الوقت يعتبر خصما لنا..

كان «ماريو» شاردا وهو يحرق في القلعة، وبدت ملامحه هادئة وهو
يحتضن حقييته ويستند برأسه إلى الخلف، ثم نظر إلى الجميع فجأة قائلاً:
- أرجو منكم حماية ظهري في حالة حدوث أي شيء..

حدق الجميع إليه باستغراب وقطب «فرانس» وجهه قائلاً بضجر:

- هل تريدنا أن نحمي الحلوى؟!

فتح «ماريو» الحقيبة فظهر وجه «ميمي» وهي نائمة نوما عميقا وقد
احتضنت «مونتي» بشدة، الذي فتح عينيه ونظر إلى الجميع ثم قال ببرود:
- لا تحدقوا طويلا..

شهق الجميع باستنكار وقالت «كريسون» بانفعال:

- مستحيل.. لماذا أحضرتها معنا في تلك المهمة الخطيرة؟!

عقد «ماريو» حاجبيه بقلق ثم ابتسم وهو يمسح على شعرها قائلاً:
- كانت قلقة.. ولم أستطع تركها.. كما أنني سأكون قلقا عليها في حالة تركها
أيضا..

ثم سكت وقد تردد في ذهنه صوت تلك الروح وهي تقول: «سيحدث

شيء سيئ لشخص تحبه».. نظر إلى «ميمي» ثم نظر إلى القلعة وقد علت ملامحه الدهشة فهمس:

- لشخص أحبه.. ترى هل كانت تقصد «أنجيلا»؟! لكن.. ألم يكن «هنري» يحب «جولي»؟!

قطب حاجبيه محاولا طرد تلك الأفكار مقنعا نفسه بأنه ليس له شأن في ذلك؛ فهو ليس «هنري» على أي حال.. إنه مجرد سلاح لا أكثر..

* * *

في تلك الظلمة الحالكة وضع قناعه المزخرف على وجهه.. وظل ممسكا به في لحظة تفكير عميق.. أقبل الخادم وهو يحني رأسه قائلاً:

- سيدي.. السيارة جاهزة..

أنزل يده عن قناعه ثم أدار ظهره مغادرا فأوقفه صوت خادمه «باركر» وهو يقول:

- اعتنِ بنفسك جيدا.. ولا ترهق نفسك بالعثور على ذلك الحجر.. سيدي.. أخفض عينيه وصمت لوهلة ثم قال بهمس:

- أنا وحش أيضا.. لا أحتاج للشفقة.. كما أنني لا أسعى خلف الحجر..

مد «باركر» يده وبدا عليه الارتباك وهو يشاهد السيد «ون» مغادرا، وكأنه يحاول تدارك كلماته، ثم استرخى ليبتسم بدفء وهو يراقبه حتى غاب عن ناظره..

* * *

- ما هذا الحشد الكبير؟

قالها «ماكس» وهو ينظر لأولئك الناس الذين اجتمعوا في ساحة القلعة.. كانوا من مختلف الطبقات والوظائف، من رجال أعمال وصحافة، بل وأبناء شوارع ومنظمات صغيرة أيضا..

وهناك الكثير من الطاولات التي رُصت وقد وُضع عليها جميع أنواع العصائر والحلوى الراقية، كما استقرت في المنتصف منصة كبيرة عليها مكبر للصوت.. وقد زُينت ساحة القلعة الأثرية بالكثير من الورود والبالونات والمصابيح الملونة والشرائط المتدلّية بشكل مبهج..

سُمع صوت صرير مكبر الصوت وتلاه صوت امرأة وهي تتكلم عن القلعة قائلة:

- في هذا المساء السعيد نحتفل بصمود هذه القلعة لمدة ألف عام، شهدت فيها على عدة عصور، كما شهدت أيضا الكثير من الأحداث والمعارك، وقد استحققت منا أن نقوم بإعادة ترميمها لإحياء روحها من جديد وجذب سياح العالم إليها.

صفق الجميع بحرارة، بينما ضحك «فرانس» بسخرية ثم قال:

- إعادة ترميمها؟! إنه مجرد غطاء ليتمكنوا من البحث عن الحجر.. فجأة التفت إليه أحد الحضور الذي كان يقف أمامه وكان شكله مريعا؛ فشعره منكوش وأحاطت بعينيه هالات سوداء قاتمة وقد فغر فاه وهو يحدق به..

رفع «فرانس» أحد حاجبيه ثم قال بحدة:

- يبدو أنك تعلم أيضا.. من الجيد ظهور خصم في ذلك الوقت المبكر.. شد «ماكس» قميص «فرانس» محاولا إسكاته، بينما عاد ذلك الرجل إلى وضعه السابق ووقف هادئا تماما..

ابتسم «فرانس» وهو ينظر إلى ذلك الحشد ببرود قائلاً في نفسه:
- أعتقد أن غالبية الموجودين هنا أسلحة، وهي أسلحة متفاوتة في القوة..
ثم حوّل عينيه نحو فتاة سمراء ذات شعر طويل تسرحه على شكل ضفيرة
وتضع على عينيها نظارة صفراء وقد استندت على حافة الجدار وهي تتكى
على سلاح ضخّم أشبه بالمدفع وقال مندهشاً:
- هل تحمل كل هذه الثقة لتظهر سلاحها هكذا؟! كما أن هذا يدل على
أنها لا تمتلك سلاحاً جسدياً.. لكن...
نظر إلى طولها الذي يقارب طول «كلاود»، وهو طول غريب بالنسبة لفتاة،
كانت ساكنة تماماً وقد تطاير الدخان من سيجارتها.. فهمس قائلاً:
- ليست فتاة عادية أبداً.. وكنت أنعت «كريمسون» بالبرود..
نظر «ماكس» حيث استقرت عينا «فرانس»، فصُعق من هول ما رأى
وتحرك من مكانه وهو يصيح قائلاً:
- كنت أعلم أنك تنظر إلى شيء جميل.. هل يمكن للحظ أن يجمعنا أخيراً؟
شده «فرانس» من الخلف وهو يعيده إلى مكانه قائلاً بانزعاج:
- ما الذي تفكر به؟! إنك بالكاد تصل إلى نصف طولها.. فتاة كهذه ستلعب
بك كالكرة..
صرخ «ماكس» وأخذ يكيل الشتائم محاولاً إبعاد يد «فرانس» عنه، بينما
ابتسمت تلك الفتاة السمراء بسخرية وهي تطبق بشفتيها على سيجارتها،
ثم أشاحت بوجهها بعيداً..
ظل بصر «ماريمو» معلقاً بالشمس، وكأنه يطلب منها أن تغيب حتى يحل
المساء..
قاطع شروده صوت رجل وهو يفتح أمامه سجلاً به قائمة من الأسماء وقع
فيه الحضور بأسماءهم.. وهو ينحني قائلاً باحترام:
- أرجو أن توقع أمام اسمك سيدي.. وكذلك بقية السادة المحترمين المرافقين

لك..

نظرت «كريمسون» باستغراب إلى السجل الذي كان يحوي الكثير من أسماء المشاهير ورجال الأعمال فقط.. فاحتدت عيناها قائلة:

- وما الغرض من أخذ توقيعنا بأسمائنا؟!

نظر إليها الرجل بارتباك ثم قال بتردد:

- إنه فقط لحصر من حضروا من الضيوف المهمين.. وقد أشار إليهم راعي هذا الحفل حتى يرعاهم باهتمامه حتى الانتهاء من الحفل الساعة السادسة مساءً..

أمسك «ماريمو» بالقلم وخط اسمه الأول «هنري»، لكنه صدم برؤية اسم لم يتوقعه أبداً كان بالأعلى منه.. وهو عبارة عن رقم واحد لا غير.. فقال على عجل:

- عفوا.. هل هذا اسم سيد هنا؟!

نظر الرجل للسجل ثم قال باستغراب:

- ما هذا الرقم؟! لا أذكر أنني كتبته.. ربما كتبه أحد غيري!

ظل «ماريمو» ينظر إلى الرقم وقد قطب حاجبيه بقلق وجدية.. ثم خط نهاية اسمه «سامون».

تناقص الحضور بشكل تدريجي مع غروب الشمس ولم يبقَ إلا «ماريمو» ورفاقه وتلك الفتاة السمراء وصاحب الهالات وبعض أرباب الشوارع والقليل من الرجال أصحاب البذل الرسمية الذين ربما كُلفوا بهذه المهمة.. وقد غطى السماء الظلام الدامس أخيراً.

نظر أحد الرجال للبقية ثم قال بصوت مرتفع:

- في هذا الوقت يتبين الغرض الحقيقي لكل شخص منكم.. وهو حجر برج العذراء.. لكن كما قالت الأسطورة أي إراقة للدماء قبل ظهوره ستتسبب في قتل الحارسات، ما سيخفي الحجر إلى الأبد.. بعد ظهور الحجر سيكون

لنا شأن آخر.. وهذا من مصلحتنا جميعا هنا..
ظهر صوتها الساخر قوي اللهجة وهي تقول:
- رائع.. أن يعرف أحق مثلك هذا.. ستكون أول جثة ألقى بها إلى
الجحيم..
حدق إليها الرجل وقد لفته هالة من الحقد الكبير وهو يهمس إلى بقية
زملائه..
نظر «فرانس» إلى حيث كانت تقف تلك الفتاة السمراء التي حملت
مدفعها الضخم على كتفها وهي تضع يدها على خصرها فقال بقلق:
- كما توقعت.. فهي تثق بنفسها كثيرا..
ضحكت بشدة وألقت بسلاحها على الأرض لتتهز ثم نظرت إلى الرجل
وقالت:
- لا عليك.. كنت أمزح..
صاح «ماكس» وهو يشير بيده قائلاً بابتهاج:
- رائعة.. ستكسبين الحجر بكل تأكيد..
وكزه «فرانس» في بطنه حتى أمسك به متألماً، بينما نظرت إليه تلك الفتاة
بحدة وهي تقول بضحكة بالكاد خرجت من بين أسنانها المطبقة على
سيجارتها:
- وسوف تكون الثاني.. أيها القصير..
اتسعت عينا «ماكس» بخوف وأحدث ضجة كبيرة وهو يقول:
- لقد كنت أحاول تشجيعك.. لماذا لا تفهمني الفتيات دائماً؟!
كان صاحب الهالات السوداء حول عينيه هادئاً تماماً وهو يراقب جميع
الواقفين بالساحة.. ثم نظر نحو السماء؛ حيث ظهر ضوء القمر بالكاد من
خلف السحب القائمة..
سمعوا صوت خطوات على تلك الأرض الحجرية، فنظروا جميعاً حيث

مصدر الصوت، وكان القادم شابا بشعر أشقر، يرتدي معطفا أبيض طويلا ويضع على عينيه قناعا مزخرفا، يمشي وكأنه طيف، وقد أسر مظهره الجميع.. ظل «ماريمو» ينظر إليه بشرود تام وقلبه يدق بشدة وقد تحول جلد يده إلى اللون الأسود القاتم..

احتدت عينا «فرانس» وهو يقول باستنكار:

- إن قناعه يحمل نفس وشم «ماريمو».. أيعقل أن يكون..

توقف السيد «ون» على بعد أمتار من «ماريمو» ثم مد يده وأشار إلى باب القلعة الضخم لينفتح تلقائيا محدثا صريرا مزعجا.. صاح البعض قائلين:
- ما الذي تحاول فعله؟! لا يمكننا المساس بالقلعة قبل ظهور الحارسات علنا..

تقدم السيد «ون» إلى الممر المؤدي إلى داخل القلعة وسط استنكار الجميع، بينما انخفض «ماريمو» متألما ثم جثا على ركبتيه وهو يقول:
- اللعنة.. أشعر بأنه يعبث بأحشائي لمجرد مروره إلى جواربي.. هل هو السيد «ون» حقا؟! وما الذي يجب عليّ فعله؟! وهل سأعرف منه من أكون؟!

رفع «ماريمو» بصره مجددا، لكن الشاب كان قد اختفى!! وتلفت البقية حولهم بقلق وهم يتساءلون: أين اختفى صاحب الملابس البيضاء والقناع المزخرف؟

أمسك «فرانس» برأسه حائرا وهو يقول بانزعاج:

- على الرغم من إحساسي الدقيق بالأسلحة فلم أشعر بأن لديه سلاحا قط.. لكن كيف فتح الباب واختفى في منتصف الطريق؟ هل هذا وهم أم أنه شبح؟!

نظرت «كريمسون» إلى «ماريمو» الذي كان يعصر نفسه بشدة وهي تقول بقلق:

- هل أنت بخير؟!

اختفى الألم فجأة من جسد «ماريمو» وعادت يده إلى طبيعتها، فتذكر ما كان يجول في خاطره وأسرع بخلع حقيبة ظهره وفتحها بسرعة وهو يقول بصوت مرتفع:

- «مونتي».. «ميمي».. هل...

قاطعته ضحكتها وهي تنظر إليه قائلة:

- أخي.. لقد استغرقت في النوم.. لكن «مونتي» لم ينم..

نظر «مونتي» إلى «ماريمو» نظرات جادة ثم قال بهمس:

- هل شعرت بوجوده أنت أيضا؟ إنه هو من قام بالتجربة.. لا يمكنني نسيان شعوري عندما يكون قريبا مني.. فكن حذرا..

اتسعت عينا «ماريمو» وهو يتذكر ذلك الطيف الأبيض وكأنه استوعب الأمر أخيرا.. فمن قام بصنعه كسلاح كان أمامه للتو.. لكنه تلاشى..

جرى «ماريمو» بكل ما أوتي من قوة نحو البوابة الضخمة وسط صيحات الجميع له بالتوقف حتى أخفته تلك الظلمة المريعة لذلك الجو الضبابي داخل القلعة

تلقت «ماريمو» حوله فوجد كل الجدران متشابهة، وبأحدها غرفة مظلمة ودرج عريض في المنتصف، وكان المكان ساكنا تماما..

نظر إلى يده حيث شبكة عنكبوت علقت بها في أثناء دخوله، ما يدل على أنه أول من دخل هذا المكان.. فأين اختفى السيد «ون»؟!

دخل البقية من خلفه وهم يتمتمون قائلين:

- لا بد من أنه أحد الأطياف.. وقد فتح لنا الباب لأن واحدا منا هو المختار لتسلم الحجر..

وأجاب آخر:

- لا أظن ذلك.. فإن كان سلاحا فسيأخذ الحجر بكل تأكيد..

نظر «فرانس» إلى ساعته فوجدها تشير إلى العاشرة مساءً.. فقال:
- باقى من الوقت حتى الثانية عشرة ساعتان.. كما أن الشخص المختار لن يتغير.. وسيقدمون له الحجر.. إلا إذا...
ثم نظر إلى «ماريمو» بقلق ودفع بعبارته الأخيرة قائلاً:
- قتلت الحارسة التي ستسلم الحجر..
ذهب فكر «ماريمو» لينحصر بـ«أنجيلا» التي تعد الآن واحدة من الحارسات.. فلن يسمح بأن تُقتل أبداً.. وسيحميها ولو دفع حياته ثمناً..
ضحكت تلك الفتاة السمراء الطويلة ثم مشت نحو الدرج قائلة:
- سأتحقق الطابق العلوي.. فلقد أتيت من مكان بعيد لأبحث عن الحجر..
ولن أسمح لذلك الطيف أن يأخذه بهذه السهولة..
أما الرجال الذين يرتدون البدل الرسمية، وهم خمسة أشخاص، فقد اجتمعوا حول خريطة هندسية للقلعة ثم تفرقوا بإشارة من أحدهم..
وظل صاحب الهالات السوداء يقف خلف «ماريمو» وهو يرمقه بسكون..
فنظر إليه «فرانس» قائلاً بانزعاج:
- اغرب عن وجهي.. أنت تثير اشمئزازي بسكونك المقيت هذا.
عقدت «كريمسون» ساعديها وهي تنهد قائلة:
- لا شأن لك به.. لنتحرك كما فعل البقية.
نظر «فرانس» حوله حيث الظلام الدامس ثم قال بهدوء:
- لو كان «كلاود» هنا.. لقد قال إنه سيأتي متنكراً، لماذا لم يحضر حتى الآن؟
- تلك الظلمة هناك.
قالها «ماريمو» بثقة وهو يشير إلى الأمام..
- هناك.. يوجد مستودع قديم وبه روح غريبة.. ربما تكون إحدى الحارسات..
نظر «ماكس» إلى حيث أشار «ماريمو» فوقع عيناها على باب قديم أكل

عليه الدهر وشرب، فانتفض قائلاً بخوف:

- هل هي روح إنسان أم هي شبح؟!

عدلت «كريسون» الحقيبة على ظهرها ثم قالت باهتمام:

- «ميمي».. لا تخرجي رأسك من الحقيبة ولا تنظري إلى الخارج وحاولي النوم..

مشى الجميع باتجاه ذلك الباب، فيما عدا ذي الهالات السوداء، الذي ظل ينظر إليهم حتى أخفتهم الظلمة عنه..

أشعل «ماكس» عودا من الثقاب بحذر.. فأطفأه «فرانس» ثم قال بامتعاض:

- يجب أن تعتاد على الظلمة أيها الأحمق.. فمن يدري كم يوم سنمكث هنا! كما أن الأرواح تكره النور..

وافقه «ماكس» المحبط على كلماته المخيفة..

- طلب منهما «ماريو» الهدوء، ثم أدار مقبض الباب الصدي برفق حتى فتح إلى الداخل.. فثار بعض الغبار..

كانت هناك رائحة دماء قوية وصوت تأوهات يأتي من ذلك الجسد الملقى في أحد الأركان، وقد ظهر جزء منه على ضوء القمر المتسلل من النافذة المكسورة..

اقترب «ماريو» وهو يدقق النظر ثم قال باهتمام:

- من أنت؟! لماذا تتأوه؟!

صمت ذلك الجسد المتألم ثم رمقهم بعينين أرجوانيتين متوهجتين قائلاً بصوت أشبه بالفحيح:

- لن ترضى حتى تقضي علينا جميعا.. ستخون برج العذراء وتسلم الحجر لغير صاحبه بعد ألف عام من حراسته، ولن أسمح لها بذلك..

حاولت تلك الروح النهوض، لكنها انزلت في دمائها لتسقط وهي تلتقط

أنفاسها المتلاحقة.. اقترب «ماريمو» أكثر فأمسكت يده بقوة حتى كادت تمزقها، ثم اقتربت من أذنه وقالت بهمس:

- اقتلها.. فلقد تلبست بجسد بشر كما فعلت سابقا.. لا أحد يستطيع إيقافها الآن.. إلا الشخص الذي قامت باختياره.

انجلت الغيوم السوداء عن القمر ليتضح وجه تلك الفتاة الذي تهشّم بوحشية وقد اختلطت دماؤها بدموعها وقد نسج العنكبوت خيوطه على جسدها..

نظر «ماريمو» إليها بصمت حمل الكثير ثم قال:

- هل تدعى «أنجيلا»؟! وما نوع تلك الروح التي سيطرت عليها؟! ولماذا حصل الخلاف بشأني؟!

انبتقت الدماء من فمها وكأنها تكتنم حديثها فأومأت برأسها وأشارت بيدها المترجفة إلى الجدار، ولم تلبث حتى انفجرت لتتحول إلى بركة من الدماء من دون أشلاء..

انساب قطرات دماؤها المنتشرة على وجه «ماريمو» الذي كساه الغموض، وكانت تحمل رائحة عطر غريبة..

نظر «فرانس» إلى الجدار حيث أشارت، وخطا نحوه بعد أن استعار الثقاب من «ماكس» الذي أغمض عينيه متفاديا أي مشاهد مرعبة.. فلم يشعر بأي شيء.. وأشعله، ودقق نظره في الجدار، وارتسمت على وجهه علامات الدهشة عندما وجد رسومات غريبة وقديمة بالكاد يمكن رؤيتها..

التفت البقية من حوله ومسحت «كريمسون» بيدها على الجدار، فثار الغبار وسرعان ما تشابكت خيوط العنكبوت عليه مجددا.. فقالت بضيق:

- ما هذا؟! العناكب سريعة جدا هنا، وكأنها لا تريد إعطاءنا أي فرصة للمساس بأماكن شباكها..

انتبه «ماريمو» لما تقوله، وأول ما خطر بذهنه هو شباك العنكبوت التي

أمسكت بيده عندما فتح الباب، فقال في نفسه: السيد «ون» هنا إذاً.
أشار «ماكس» وهو يقول بتعجب:

- انظروا إلى تلك الفتاة الجميلة بالمنتصف، ألا تشبه «أنجيلا»؟!

مسح «ماريو» على الجدار بسرعة، مبعدا شباك العنكبوت عنه، فرأى
رسما لفتاة ترتدي زيا إغريقيا أبيض اللون وإلى جوارها ست فتيات
بردائهن البني الفضفاض، وقد حُفرت حولهن كلمات وأحرف متداخلة.

انحنت «كريمسون» وقرأتها على مهل بصوت منخفض قائلة:

- لا يحق لك اختيار مجرد سلاح للحفاظ على الحجر.. يجب أن يكون
جانبه البشري متغلبا عليه.. قالت ذات الرداء الأبيض: لي الحق في اختيار
من أريد فأنا القائدة هنا.. قالت حارسة أخرى: لكننا لن نغفر لك تقمصك
لشخصيات البشر من دون علمنا.. هل تريدان العيش لفترة أطول؟! ردت
قائلة: أجل، وسأنتقل بين الكثير من أجساد البشر، ولا يمكنكم قتلي حينها؛
لأنني سأحيا كل مرة في جسد جديد..

دب الصراع بين الحارسات الست وقائدتهن فقررن أن يوزعن وجودهن في
أرجاء القلعة حتى لا تعثر القائدة عليهن بسهولة وتقوم بقتلهن جميعا..
واحتفظت كل منهن بجوهرة صغيرة، فإذا قُتلن يقوم السلاح المختار
بالبحث عن الجواهر الست الصغيرة ويجمعها حتى يستطيع قتل القائدة
ويحصل على حجر برج العذراء.

أطبقت «كريمسون» شفيتها ثم نظرت نحو «ماريو» بعينين متسعيتين
وهي تقول في نفسها:

- مستحيل!! مجرد سلاح؟! معنى ذلك أنه ليس «هنري سامون».. وربما
يكون له سيد أيضا.

تجاهل «ماريو» تلك الحقيقة التي تدور في ذهنه واستدار بجسده وجثا
على ركبتيه لبحث عن الجوهرة بين تلك الدماء.. ظهر ضوء من خلفه

فانتبه للمعان الجوهرة والتقطها بسرعة، نظر إليها لوهلة ثم ضمها بين كفيه.. كان «فرانس» منحنيا وهو يمسك بعود الثقاب المشتعل وعلى وجهه نظرة حزينة وهو يقول في نفسه:

- أعلم شعورك جيدا.. أن تكون مجرد سلاح فهذا شيء قاسٍ.. لماذا احتفظت بتلك الحقيقة كل هذا الوقت وأنت لا ترجو مالا أو شهرة، وفوق ذلك تحملت أعباء حياة «هنري سايمون»؟!!

أطفأ عود الثقاب فداعب الدخان ذقنه الذي كان يرتجف كاتما عبراته وهو يتذكر تلك الحادثة.. حينما قُتلت «مادونا» التي كانت هي الأخرى مجرد سلاح..

نهض «ماريمو» وهو يشير إلى الخارج بتركيز قائلاً: أستطيع أن أحدد بعيني أماكن بقية الحارسات بدقة.. فإن كنَّ ما زلن حياتٍ فسوف تمُتن عند موعد تسليم الحجر، لكن قائدتهن التي أخذت «أنجيلا» لن تموت؛ لأنها نصف بشرية؛ لذا لناخذ الجواهر الست أولاً قبل أن يعثر عليها أحد ثم نذهب بعد ذلك للبحث عن القائدة..

شعت عينا «ماريمو» باللون الأصفر الصارخ، وبسرعة خارقه أخذ يشير بالزوايا والأرقام إلى أماكن وجود الحارسات ثم التفت إليهم قائلاً:

- لنفترق حتى يصبح الأمر أسهل وأسرع..

ابتسم «فرانس» وكأنه يصدق «ماريمو» في كل شيء؛ لأنه بشري وليس مجرد سلاح، ونظر إلى ساعته المضيئة فوجدها تشير إلى الحادية عشرة وخمس دقائق.. فنظر إلى «ماريمو» قائلاً:

- سأكون برفقتك.. فأنت لم تتعد على استخدام قدرات سلاحك بعد..

ابتسم «ماريمو» في تلك الظلمة ثم أخذ الحقيقة من على ظهر «كريمسون»، وغادر المكان مع «فرانس» على وجه السرعة..

قالت «كريمسون»:

- «ماكس» سوف يذهب كل منا في طريق الآن.

فرد عليها خائفاً:

- مستحيل.

فتنهدت ومشت خارجا وهي تقول بملل:

- لا خيار لديّ.. فلن نفترق.

جرى وراءها وهو يقول:

- انتظري.. لا تذهبي من دوني..

ركض «ماريمو» بقوة ومن خلفه «فرانس» وقد بدأ الظلام من حولهما ينجلي

شيئا فشيئا.. تناثرت المياه من تحت أرجلهم، فقال «ماريمو» باستغراب:

- ماء!! من أين يأتي هذا الماء?!

توقف «فرانس» وهو يشير إلى الأمام قائلاً بصوت مرتفع:

- انظر، إنه جسر، وهناك صوت شلال.. ظننت أنها قلعة مغلقة من كل

النواحي.. لكنها تبدو كمدينة كاملة..

خطا «ماريمو» خطوات متباعدة حتى خرج من ذلك الظلام وغطاه ضوء

أزرق ضبابي، فوجد جسرا طويلا ممتدا، بدا مهترئا وهو يهتز بفعل الرياح..

وضع «فرانس» يده على جبينه وهو يقيس تلك المسافة الشاسعة، فيبدو

الجسر لعينيه وكأنه لا نهاية له.. فقال متنهدا:

- هل تعتقد حقا أن هناك على هذا الجسر إحدى الحارسات؟

أوما «ماريمو» برأسه، ثم سمع صوت «ميمي» المكتوم من داخل الحقيبة

وهي تقول بقلق:

- هل أستطيع الخروج?!

أنزل «ماريمو» الحقيبة عن ظهره برفق ليُخرجها منها ويحتضنها بحنان

دون أن يتكلم.. ظلت تتطلع إليه بوجهها الصغير الحائر..

نظر إليهما «فرانس» ثم عقد حاجبيه بقلق قائلاً في نفسه:

- إنه لا يريد الاعتراف بحقيقة أنه مجرد سلاح؛ فقلبه الآن أشبه بطفل صغير يفتقد العطف.

ابتعدت «ميمي» عن «ماريو» المندھش ثم مسحت على خده وهي تقول بعتاب:

- عاد أخي «هنري» يلعب بالألوان مجددا ويلوث وجهه.. هذا ليس عملا لطيفا..

نظر «ماريو» إلى يديها التي تلطخت بسائل أزرق.. واتسعت عيناه قائلاً:
- هل تحول دم الحارسة إلى اللون الأزرق؟!

أجابه «فرانس» بهدوء:

- لقد كان أزرق منذ البداية، لكن حجبته الظلمة، وهذا هو اللون المعروف لدماء الأرواح.. أما تلك التي انتحرت أمامك في الزقاق فقد كانت تسكن جسدا بشريا؛ لذلك كانت دماؤها حمراء..

أمسكت «ميمي» وجه «ماريو» بيديها الصغيرتين ليعطيها انتباهه وقالت بقلق:

- «هنري».. أنت بخير، أليس كذلك؟!

أوما «ماريو» برأسه ثم قال بهدوء:

- وهل أنت بخير أيضا؟!

صمتت «ميمي» لوهلة وهي تحديق إلى «ماريو» بعينين تحملان معاني حزينة ثم قالت بهمس:

- أنا بصحة جيدة؛ لأن أخي «كلاود» أعطاني العلاج..

انحنى «فرانس» عليها وسألها مستفهما:

- عن أي علاج تتحدثين؟!

أجابت «ميمي» بحماسة:

- أخي «كلاود» مد إصبعه ثم نقر به على جبين ليتمص المرض ثم ابتلعه

ليختمي.. هكذا أخبرني..

ضحك «فرانس» متنفسا الصعداء ثم قال:

- لا يتقن هذه الطريقة إلا بروفيسور في الطب النفسي.. لديه حقا الكثير من المفاجآت..

نظر «مونتي» إلى ذلك الجسر الطويل المعلق ثم قال بملل:

- هل علينا السير فوق هذا الجسر هذه المسافة كلها؟!

عانقت «ميمي» «ماريمو» وهي تغمض عينيها بقوة قائلة في نفسها:

- أشعر أن شيئا سيئا سيحدث حقا، لكنني لن أجعلك تقلق عليَّ يا أخي الحبيب.

نهض «ماريمو» ونظر إلى الجسر ثم مشى نحوه بخطوات ثابتة وسحب في طريقه «مونتي» الذي قطب حاجبيه بانزعاج.. وأدخله في الحقيبة المفتوحة خلفه.

* * *

اهتز الجسر بعنف فتشبثا بحبال.. نظر «فرانس» إلى الأسفل حيث لا يوجد إلا الضباب، وقال بانفعال:

- اللعنة، لا توجد رياح قوية، فلماذا يهتز بعنف هكذا؟!!

حدّق «ماريمو» بعينيه الصفراوين المتوهجتين باتجاه نهاية الجسر، ثم قال:

- هناك شخص ما في آخر هذا الجسر.. ويبدو أنه هو المسئول عن هذا الاهتزاز الشديد..

رفع «ماريمو» يده فجأة مشيراً بسعادة إلى الشخص الواقف في نهاية الجسر وهو يقول:

- هل تريد قطعة من حلوى العصا؟! إنها لذيذة.

فغر «فرانس» فاه ثم صرخ قائلاً:

- أيها الأحق، وكأنه سيسمع تفاهاتك تلك..

لكن الجسر توقف عن الاهتزاز.. مشى «ماريمو» بسرعة وهو يصيح بسعادة قائلاً:

- لقد توقف عن الاهتزاز.. إنها تلك الروح التي قابلتني من قبل.. إذا.. أنا قادم..

تشبث «فرانس» بالحبال وهو يمشي ببطء محاذراً الأجزاء المكسورة وهو يقول:

- اللعنة.. كيف يسير بهذه السرعة؟ فالجسر يهتز بعنف أشد مما كان عليه ولم أعد أستطيع الاحتمال.. أشعر بالغثيان..

أمسك ببطنه ثم انحنى خارج الجسر ليتقيأ، فرأى وجه فتاة جميلة أمامه تطل من أسفل الجسر وهي تحدق إليه ثم ابتسمت بلطف قائلة:

- لست الشخص المطلوب..

سرعان ما استدار «فرانس» إلى الناحية الأخرى حيث أخرج ما في جوفه..

ثم التقط أنفاسه وعاد مجدداً إلى حيث تلك الفتاة وكاد ينطق لولا أنها

كانت قد اختفت..

اعتدل واقفا ونظر خلفه وهو يمسح شفثيه بظاهر يده قائلاً:

- هل كانت تقصد «ماريمو»؟ ذلك الأحمق إلى أين يذهب الآن؟!

نظر إلى الأمام حيث كان «ماريمو» يمشي بهدوء وببطء.. فتبعه على مهل حتى أدركه وهو يصيح قائلاً:

- «ماريمو».. هناك فتاة ذهبت إلى الجهة الأخرى، يبدو أنها تبحث عنك..
جلس «ماريمو» على أرضية الجسر وقد أمسك بالجوهرة الأرجوانية بين أصابعه وهو شارد تماماً، ثم تحركت شفثاه قائلاً:

- لن أستطيع قتل القائدة إلا بالجواهر الست.. لكن إن قتلتها سوف أؤذي «أنجيلا».. التي ربما تتصرف دون وعي منها لتقتل نفسها أيضاً.. ماذا عليّ أن أفعل؟!

عبث «فرانس» بشعره وهو يقول بضيق:

- لا تفكر بشيء كهذا الآن.. أليس من الأفضل أن تتدارك الوقت؟ فلم يبق سوى نصف ساعة على حلول منتصف الليل، وعندها ستسلم الحارسة الحجر إلى المختار ثم ترحل بجسد «أنجيلا»..

وضع «فرانس» يده أسفل ذقنه وهو يفكر، ثم قال بإحباط:

- الأمر أصعب من ذلك.. فتلك الروح قد مسها الشيطان؛ لذا ربما تلجأ إلى الطرق الملتوية، فمن المعروف أن الشياطين تكره لحظة ما قبل الموت..
اتسعت عينا «ماريمو» من الدهشة ثم نظر إلى «فرانس» وقال بصوت عميق:

- لحظة ما قبل الموت! لقد فتح السيد «ون» الباب قبل أن يختفي.. على الرغم من أنه فعل محظور.. ومع ذلك دخلنا جميعاً ولم يحدث أي سوء..
لقد أراد أن يوضح فكرة ما، هي أن لحظة ما قبل الموت ليس لها حكم ثابت؛ فكل منا يختار أن يكون حاكماً أو محكوماً؛ لهذا فكل شيء متعلق

بتلك اللحظة يختلف من شخص إلى آخر؛ حيث تتضح الحقائق..
صمت «فرانس» لوهلة وكأن «ماريو» أخرسه بتلك الكلمات العميقة ثم
قال في نفسه:
- هل أسمى هذا تحاورا ذهنيا بين السلاح وسيده؟! بدأت حقا تصيبيني
بالجنون.

* * *

كان لهيب الشمس حارقا وقد مشى بخطواته الصغيرة الحافية على ذلك
الرصيف وقد تساقط العرق من جبينه وسقط أرضا ليغطي شعره الأبيض
وجهه.. ثم مد يده المرتجفة نحو ساقه ليتلمسها فغطيت يده وأكمام
ملابسه القطنية بالدماء، والتمعت نظرة الخوف في عينيه وهو يسمع
صراخ الرجال من خلفه:
- أعد ما سرقتة أيها الطفل البغيض واخرج من هنا قبل أن نسرق روحك..
نهض «فرانس» الذي بدا في التاسعة من عمره، لكنه تعثر ولم تعد قدماه
تستطيعان حمله؛ فقد كان يهرب منذ الفجر بتلك الساق المجروحة، وجد
ظل شخص ما يغطيه، فانحنى بسرعة خائفا، لتقع منه زجاجة مشروب
غازي وهو يقول بصوت باك:
- آسف.. كنت عَطِشًا.. لن أسرق مرة أخرى..
ابتسمت تلك الفتاة بدفء ثم انخفضت ليتناثر شعرها الأحمر على وجهها
ومسحت على شعره قائلة:
- ما كان عليك أن تخضع لخصمك أيها الطفل الصغير.. تعالَ معي، سأخذك
إلى منزلي لأضمد جرحك..
- «فرانس».. «فرانس»..
قالها «ماريو» وهو يحدق به باستغراب.. أفاق من شروده قائلاً على

عجل:

- ماذا؟! هل عثرت على إحدى الحارسات؟!

فأجابه «ماريمو» ببرود:

- لا.. لكنك تقف على حافة الجسر.. وقمّل نحو الأسفل..

نظر «فرانس» إلى الأسفل حيث ذلك الضباب الشديد فامتسعت عيناه وصرخ قائلاً:

- هل أتيت لتخبرني الآن بعد أن كدت أسقط؟!

جلس «فرانس» على ذلك الجسر المتهدم وأطلق تنهيدة تعبر عن استيائه.. نظر خلفه حيث الضباب الكثيف، وأمامه كذلك، فلا فائدة والنهاية محتومة.. ثم قال بتردد:

- هل تريد أن أحيي لك قصة؟! لقطع الوقت ليس إلا..

أوماً «ماريمو» برأسه وكذلك تحرك رأس «ميمي» بداخل الحقيبة.. فنهض «فرانس» ليقف أمام «ماريمو» قائلاً بصوت هادئ:

- لم أخبر أحدا بهذه القصة من قبل.. حتى «كريسون» والبقية يعلمون جزءاً منها فقط.. لكنني أريد أن أخبرك بها ولا أعرف لماذا.. ربما ليس من أجلك وإنما من أجلها هي..

سمع صوت «مونتني» المكتوم قائلاً بسخرية:

- أنت تثرثر كثيراً..

ضحك «فرانس» وهو يسير بخطوات ثابتة أمام «ماريمو» ثم قال:

- لست من النوع الذي يخزن الأحزان.. بل أحاول نسيانها بأي طريقة.. لكن...

نظر بعيداً حيث الجبال الرمادية الشاهقة ثم قال بنظرة أمل وصوت عميق:

- ربما يجب أن أتحدث عنها لأبرز شخصيتها النادرة ..

ظهر صوت «مونتي» ثانية قائلاً بامتعاض:
- تجاهله «ماريمو».. إنه يثرثر فحسب!

* * *

اختبأت «كريمسون» وهي تضع يدها على صدر «ماكس» خلف الجدار..
ثم أطلت برأسها قليلاً حيث وجدت اثنين من أولئك الرجال الخمسة وبين
أيديهما شيء يلمع فقالت بهمس:

- الجوهرة الأرجوانية.. كيف حصلنا عليها؟!

همس «ماكس» وهو يسحب ذراعها قائلاً بقلق:

- لندعهما وشأنهما.. هناك أربع جواهر غيرها..

التفتت إليه وهي تقول:

- لن نهزم تلك الروح القائدة إلا بست جواهر؛ لذا لن نتخلى عن أي
واحدة منها مطلقاً..

وضعت يدها على قلبها بحركة سريعة، فمد «ماكس» يديه محذراً، لكنها
كانت قد تحولت إلى شخصية «مايك» فأبعدت خصلات شعره البني عن
عينيهما الزرقاوين الحادثين ثم خرجت..

فوجئ الرجلان ونظرا إليها باستغراب وقال واحد منهما:

- من أنت؟! وماذا تفعل هنا؟! لم تكن من ضمن الضيوف..

مد «مايك» يده ثم قال بحدة:

- أعطيني الجوهرة.. ولا تتصرفا بغباء..

تهامس الاثنان مع بعضهما ثم رمقها واحد منهما بحزم ومد يده بالجوهرة
قائلاً:

- تعالٍ وخذها إذًا..

ارتسمت ابتسامة واثقة على فم «مايك» ثم مد يده لتتحول إلى كتلة

من الجليد تقدمت بسرعة خارقة لتجمد الجوهرة ثم تعود بشكل سريع لتختفي بداخل يده وكأنها لسان ضفدع..

تقدم أحدهما وخلع نظارته السوداء وأدخلها في جيبه وهو يقول:

- يبدو أن لهذه الجوهرة دورا في العثور على الحجر؛ لذا لن أدعك تأخذها..

فجأة هبط «مايك» بين الرجلين وتحول إلى كومة من أشواك جليدية

حولتهما إلى أشلاء تطايرت في كل مكان.. ثم قال بهمس:

- لا أحب أن يقاطعني أحد وأنا أعمل.. ولا أحب أن تلطخي الدماء..

(هذا ما كان يقوله «مايك» دائما).

تنهد «ماكس» وهو يفرك جبينه قائلاً:

- يا رجل.. لا تبالغ كثيرا..

ذاب الجليد عن جسد «مايك» ليتحول إلى ماء انساب ليختلط بدماء

الرجلين ثم سقطت منه الجوهرة لتندحرج إلى الأمام، فمشى نحوها.. لكن

«ماكس» صرخ قائلاً:

- «كريمسون» انتبه.. خلفك..

نظر «مايك» خلفه فصُعق من هول ما رأى..

* * *

أخذ «فرانس» يستعيد ذكرياته قائلاً:

- كان عمري تسع سنوات.. أما هي فثمانية عشر عاماً.. وكان بيتها الذي أخذتني إليه صغيراً وهادئاً، وكانت تقيم فيه بمفردها، تخرج صباحاً للدراسة وليلاً إلى مكان مجهول لا علم لي به..

لم تحدثني منذ اليوم الذي وجدتني فيه وأخذتني إلى منزلها، بل اكتفت برعايتي، ولم تكن تسمح لي بالخروج إلا للذهاب إلى المدرسة.. وكانت تتحمل مسئوليتي من طعام وشراب وثياب ودراسة..

ابتسم «فرانس» بدفء وهو يمرر يده على حبل الجسر قائلاً:

- كانت لطيفة على الرغم من صمتها وشدتها.. وكان لديها قدر كبير من الجمال الروحي الذي أضفى على شكلها الخارجي مزيداً من الجاذبية..

قبل خمس سنوات من الآن، استدارت بثوبها الجميل وهي تنتظر في المرأة لتضع مشبك شعرها وهي ترمق نفسها بعينيها الرماديتين بسعادة ورضا، ثم نظرت إليّ، وكنت قد بلغت من العمر ١٣ عاماً وقالت:

- ما رأيك؟!

قطبت جبيني بضيق وأنا أحشر وجهي أكثر في مجلة «المانجا» التي كنت أقرأها، ثم قلت بصوت مغتاض:

- لا شأن لي.. أسألي الذين سيكونون بالحفلة.. كما أنني رجل ولم أعد طفلاً..

- لكنني لست ذاهبة إلى أي حفلة..

قالتها «مادونا» بشيء من الأسى، ما دفعني للنظر إليها مستغرباً.. فهذه أول مرة تطيل الحديث معي، كما أن صوتها كان ضعيفاً فسألتها قائلاً:

- لماذا تشتري الثياب دوماً وتجربينها دون أن تذهبي بها إلى أي مناسبة؟!

رفعت رأسها وأغمضت عينيها وهي تفكر بعمق ثم استدارت حول نفسها ببطء وهي تقول بصوت هامس:

- ضيوف كثيرون.. البعض يتحدث والبعض يضحك.. ويمتص الطاولات

كعكة كبيرة.. إنه يوم ميلادي.. أطفأت الشموع وصفق لي الجميع بحرارة..
ضحكت «مادونا» ثم نظرت إليّ وأنا أقف مندهشا وقالت:
- هكذا ذهبت إلى الحفلة وعدت بسرعة مجددا..
(لقد كانت وحيدة)..

* * *

حل الليل وارتدت «مادونا» بذلة جلدية وأمسكت بخوذتها لتستعد
للخروج.. قاطعها صوت «فرانس» من خلفها وهو يقول:
- إلى أين تذهبين؟!
نظرت إليه بحدة وصمت مطبق وهو يقف في آخر ممر المنزل المظلم
حائرا.. ثم قال بانفعال:
- إن كنت ستخرجين فسأخرج أنا أيضا.. لا أريد أن أظل سجين منزلك دون
أن تعيريني أي انتباه..
أغمضت عينيها وأشاحت بوجهها متجاهلة «فرانس»، فصرخ بعنف قائلاً:
- اللعنة.. أنا لم أعد أفهم نفسي بسببك.. لقد أصبحت وحيدا والجميع
يتحاشونني..
تلقي صفة قوية جرحته خده وأفقدته توازنه، ليسقط أرضا..
ثم قالت له بحدة:
- اذهب إن أردت ذلك.. فأنت ذليل بأي حال.. ومنذ أن وجدتك.
ثم خرجت..
رفع «فرانس» عينيه إلى الباب المفتوح الذي خرجت منه للتو، وعض على
شفتيه بحق حتى دميت.. وقرر الخروج ليمحو تلك الصفة التي ألصقتها
به.. وهي «ذليل»..

كانت تَطر بغزارة وهو يمشي على أرض الشارع المليئة بالمياه بقدَميه الحافيتين، ثم اقتحم إحدى الحانات التي اجتمع فيها الكثير من الرجال وهم يشربون النبيذ، التفتوا إليه وأخذوا يحدقون به باستنكار..
وقع «فرانس» على ركبتيه متوسلا وهو يقول:
- أريد أن أكون سلاحا قويا..

انطلقت ضحكات الجميع الصاخبة، ما جعله يغمض عينيه بشدة ويتوسل إليهم بشكل أكبر، حتى أدرك أنه ذليل حقا فنهض بقوة وصرخ قائلاً:
- لا يهمني ضحككم.. فسوف أقتلكم الواحد تلو الآخر يوما ما.. بسلاحي الجسدي الخاص..

وعندما همَّ بالخروج أمسك بكتفه شاب ذو شعر أحمر طويل، اختفت ملامح وجهه خلف شال صوفي وقد استقر على كتفه خفاش ضخم وقال له:
- هل تريد حقا أن تكون سلاحا لا يُقهر؟!
اقترب «فرانس» من «ماريو» وقال: كان ذلك الشخص هو «فاري».. وكان هذا هو لقائي الأول والأخير به قبل أن نقاتله معا.

* * *

صرخ «مايك» بأعلى صوته الذي تردد صداه في ذلك الممر الموحش قائلاً:
- «ماكس».. اهرب من هنا..

تراجع «ماكس» خطوتين للخلف وهو يعض على شفته بحلق وقال بانفعال:
- لن أدعك تواجهين هذا الكم من الرجال وحدك..

تنهد «مايك» بألم وهو يحاول تجميد دماء جراحه إثر طعنات السيوف التي انهالت عليه وهو ينظر بحدة إلى الرجلين وقد تحولت أشلاؤهما إلى عشرة رجال..

وضع «مايك» يده خلفه ليتكون حائط ضخم من الجليد القاسي عزل «ماكس» عنه، وامتد الحائط ليصبح غرفة جمعت «مايك» والعشرة رجال فقط، ثم قال:

- لن أخرج من هذا المكان قبل أن أحصل على الجوهرة التي بحوزتكم.
طرق «ماكس» الجدار الحاجز بيديه، وهو يصرخ بصوت لم يصل إلى مسامع «مايك» أبداً، الذي بدأ يخرج من ظهره الكثير من المسننات الثلجية قائلاً في نفسه بحدة:

- لو قطعتهم إلى أشلاء، ربما يزيدون أضعافاً؛ لذلك لا بد من معرفة نقاط ضعفهم.

مشى أحد الرجال إليها وهو يمد يده التي تحولت إلى سيوف مشعة قائلاً بسخرية:

- نحن لسنا بشراً؛ لذا ليس لدينا نقاط ضعف.. لم نأتِ إلى هنا إلا ونحن على أتم الثقة بأن حجر برج العذراء سيكون لنا؛ لذا ستزيل حاجزك الجليدي رغماً عنك.

انحنى «مايك» وهو يفكر بسرعة، ثم أغمض عينيه وشد قبضتيه لتشكلا على هيئة كرة جليدية كبيرة، وابتسم قائلاً:

- شكراً على هذا التلميح.. فليس لديك القدرة لتزيل جليدي..

اندفعت كرات ثلجية متتالية من قبضتيه، التي من سرعتها أدت إلى تمزق عضلات يديه.. غطت تلك الدفعات من الكرات الثلجية أولئك الرجال لتجمدهم في أماكنهم بلا حراك..

قفز «ماكس» وهو يصرخ بفرحة عارمة، بينما تراجع «مايك» للخلف حتى التصق ظهره بجداره الجليدي.. ثم قال بحنق:

- لن أستطيع الرجوع إلى شكلي الطبيعي لمدة خمس ساعات.. ووقتها مفعول الثلج سيبطل وسيخرج هؤلاء الرجال من جديد.. كما أن الجوهره بحوزتهم..

ما فعلته الآن كان حتى يسترد «مايك» أنفاسه.. بقي نصف ساعة حتى موعد تسليم الحجر، يجب أن أبدل شخصيتي بالطريقة المحظورة.. والآن..

* * *

- يبدو الجسر وكأنه لا نهاية له.. هل سنصل حقا إلى طرفه الآخر؟! قالها «موني» بامتعاض وهو يطل مع «ميمي» من حقيبتي «ماريمو».. قال «فرانس» مبتسما:

- هل أكمل الحكاية؟! لأنني سأدخل على أهم جزء فيها الآن.. التفت إليه «ماريمو» وقد بدا جادا وهادئا ثم قال: - إن كان هذا يسبب لك الضيق فلا تقله.. فقد بدأت حقا تضعف جسديا بمجرد تفكيرك به..

نظر إليه «فرانس» باستغراب قائلاً في نفسه: - ذلك الأحقق.. يستطيع معرفة مدى قوة جسدي بشكل دقيق.. لا أشك فعلا بكونه سلاحا لأسطورة مثل السيد «ون».

ثم ضحك متجاهلا الأمر وهو يقول: - لا بأس.. فالطريق ممل على أي حال.. حكيت لك عن لقائي «فاري».. أما

ما حدث بعد ذلك فقد أصبحت من ضمن الحراس العشرة.. وهذا يذكرني بمهمتنا الحالية، إلا أننا وقتها كنا نحرس وحشا أسطوريا.

ثم أغمض «فرانس» عينيه ليعود بذاكرته إلى الماضي؛ حيث ذلك الجو الأحمر وذلك العدد الضخم من الأشخاص الذين يعذبون أنفسهم بشدة ووقوفه مذهولا مما يراه أمامه، قاطع ذهوله صوت «فاري» وهو يقول:
- اسمع أيها الطفل.. هذه غرفة سرية؛ حيث إن جميع هؤلاء الأشخاص يحلمون أن يكونوا أحد الحراس العشرة وسيختار الوحش بنفسه من يقوم بحراسته؛ لذا هم يُخضعون أنفسهم لأقصى أنواع التدريب كبشر، حتى يقبل بهم الوحش ويعطيهم ما عنده من الأسلحة..

كان «فرانس» مرعوبا لمجرد رؤيته تلك المناظر العنيفة.. فقد كانوا يدخلون الأسياخ في أجسادهم ويكونون أنفسهم بالنار، فنظر إلى «فاري» بخوف قائلاً:

- لكن يا سيدي أنا لا أستطيع أن...

ولم يكمل جملته؛ لأن «فاري» كان قد اختفى.. أكمل «فرانس» قصته قائلاً:

- اختفى «فاري».. لكن كلمة «ذليل» ظلت تتردد في ذهني، فعزمت على أن أكون معهم.. صبرت على كل أنواع العذاب لمدة ثلاث سنوات حتى أصبح عمري ستة عشر عاما.. وفوجئت بعدها أنه تم قبولي لأكون حارسا.. في ذلك اليوم شعرت حقا بأنني الأقوى.. فلقد بذلت مجهودا مضاعفا لأجل أن أصبح حارسا..

توجهت بقيادة حارسين إلى مقصورة غريبة تربع فيها ذلك الوحش الذي كان أشبه بالغول.. فخاطبني قائلاً بأنه سيعطيني من قوته ما يمكنني من الحياة حتى إن تقطعت أوصالي إلى أشلاء دون أن أنزف دما مطلقا.. ولم يحدثني عن سلاحي، وقال إنني سوف أكتشفه بنفسه بعد أن قام بزرعه

في جسدي، ما تسبب في دخولي في غيبوبة لمدة أربعة أيام، استيقظت بعدها وأنا في وضعية الوقوف.. وقد خرجت من جسدي سلاسل كثيرة ملتفة بين ذراعي.. فذُعرت، لكنني لم أُلح دما..

وفاجأني صوته وهو يقول: إن هذا سيكون وضعي مدى الحياة.. أي أن أكون مجرد واقف لحراسته، وهذه هي وظيفتي، وذلك كان ثمنًا لتضحيته ببعض قوته لأجلي..

صبرت عاما كاملا.. لكنني لم أستطع الاحتمال أكثر.. فقد أصبحت أقوى لكنني لا أزال ذليلا.. فقررت التمرد، وكان أول من وقف في طريقي هم بقية الحراس الذين لم أكن قد رأيتهم من قبل لأننا نقف في دائرة حول الوحش دون حراك، فقتلت جزءا منهم بصعوبة ولم تؤثر في طعناتهم لأنني لم أكن أتألم أو أنزف..

وأخيرا واجهت ذلك الوحش نفسه.. وقتلته شر قتلة.. بكل ما حوى قلبي من ألم.. لكنه ألقى لعنته عليّ فأصبحت أنزف حتى بمجرد إخراج سلاحي، وأصبحت أشعر بالإرهاق كأى إنسان عادي.. وذلك لم يكن يهمني..

كان أول ما فكرت فيه هو العودة إلى بيتي القديم عند «مادونا»؛ فلقد وددت أن أخبرها بما وصلت إليه، وهو أنني لم أصل إلى شيء.. في تلك الليلة فوجئت حقا بما حلَّ بها، كانت تجلس أمام الباب وقد برزت عظام جسدها من ثيابها وحولها الكثير من زجاجات النبيذ.. جريت إليها بكل ما أوتيت من قوة وحركتها وهزتها بشدة حتى رفعت رأسها لتبتسم قائلة بهمس: - «فرانس» لقد كبرت حقا.. لقد كنت أظن أنك لن تأتي أبدا..

لم يتغير شكل «مادونا» قط، وما زالت تبدو في الثامنة عشرة من عمرها.. لم أتساءل لماذا لم تتقدم في العمر؛ لأنني كنت لا أفكر في ذلك لانشغالي بخوفي وقلقي عليها.

وقد سمعت من الجيران أنها كانت تجلس كل يوم طيلة السنتين الماضيتين،

وهي تلوم نفسها لأنها قامت بطرد أهم شخص في حياتها.. وهذا الشخص كان أنا..

رعيثها كما رعتني وأعطيتها كل ما أملك من وقت وجهد ومال كنت أتقاضاه لقاء المهمات التي كنت أقوم بها، إلا أنها لم تتحسن قط.. رأيت مقر منظمنا القديم صدفة وتعرفت على «كلاود» و«كريسون» و«ماكس» والبقية، فرجوتهم أن أنضم إليهم حتى تكون لي مهمات منتظمة فوافقوا، ولم أشعر بالذل أبدا بعدها، بل إنني شعرت بالسعادة منذ أن قبلوني بينهم..

وضعني «كلاود» في اختبارات صعبة حتى يعزز من ثقته بي وقد تخطيتها بنجاح.. بل وكسبت الكثير من المال استطعت به علاج «مادونا» التي قلت للجميع إنها خطيبي، تحسنت حالتها قليلا وعندئذ أخبرتها بحبي لها وأني أتمنى أن أعيش معها مدى الحياة، وقد كان هذا أصعب اعتراف مررت به، لكنها صعقتني عندما أخبرتني أنها في الحقيقة مجرد سلاح.. ولهذا السبب كانت تخرج في الليل لتقوم بالمهام التي يكلفها بها سيدها؛ لهذا السبب أيضا كانت وحيدة؛ فهي لا تعرف كيف تكوّن صداقات مع البشر. ولهذا السبب افتقدتني بشدة عندما ذهبت..

صمت «فرانس» وهو يحدق إلى «ماريو» بنظرات يائسة ثم قال بهمس: - لهذا السبب قتلها سيدها بعد أن عرف مكانها لتركها أداء المهمات لمدة سنتين كانت تنتظرني فيها.. هَشَّمها وكأنها دمية قديمة.. دفنتها مع البشر حتى تكون بينهم بعد مماتها على الأقل؛ فلقد علمتني معنى عظيمًا لهذه الحياة، هو ألا أخضع لمشاعري.. وألا أخضع لعدوي.. وأن أعيش حياتي دون سيد يملك أحلامي بين يديه.

ارتسمت ابتسامة غامضة على وجه «ماريو» وقال بهدوء:

- ربما لا يتحقق ذلك دوما، إن عانيت ما هو أقوى من إرادتك فالأمر

مصري..

ثم نظر ناحية «فرانس» وابتسم ابتسامة كبيرة حملت كل معاني التفاؤل التي لا مكان لها في قلبه وقال:

- لم أكن أتوقع أنك تملك تلك المشاعر كلها..

عبس «فرانس» وكأنه يقاوم شعوره بالحر، ثم عقد ساعديه قائلاً بامتناع:

- لقد أخبرتك بقصتي حتى تعرف كم أنا مرغوب بين الفتيات.. حتى

«كيومي» اعترفت لي بحبها.. فأنا حقاً أتمتع بجسد قوي وجاذبية شديدة..

أشار «ماريمو» إلى وجهه وهو يقول باستغراب:

- ولماذا هذه الدموع إذاً؟!

ارتبك «فرانس» وهو يتلمس وجهه ويشيح به قائلاً:

- بعض الغبار دخل في عيني..

قال «مونتي» ببرود:

- ولماذا رفضت «كيومي»؟! فهي فتاة جميلة ولطيفة.. ويتبقى سبب واحد هو أنك لا...

رد «فرانس» بانزعاج وهو يحرك يديه قائلاً بكلمات متقطعة:

- إنها ليست من نوعي.. أقصد أنها جميلة وطيبة، لكنها...

ثم تنهد ليضع يده على جبينه قائلاً بخيبة:

- ولماذا أشرح الأمر لقط مثلك؟!

أشاح «مونتي» بوجهه قائلاً بامتناع:

- الأمر واضح على أي حال.. وهذا لا يهمني؛ فالموضوع مجرد قصة لقتل الوقت..

اغتاظ «فرانس» كثيراً وكنم غضبه وهو يقول بهدوء: لا يهمني رأيك أيضاً..

لنذهب فلدينا مهمة لإتمامها..

مشى «فرانس» أمامهما بخطوات متباعدة وظل «ماريهو» يرمقه وهو يقول بأسى:

- لم يستطع نسيان الماضي؛ فهو يعيش فيه حتى الآن وكأنه لا يريد الخروج منه حتى لا يُصدم بالواقع.. هل من الممكن أن يكون لسلاح مثل «مادونا» كل هذا الأثر؟!

* * *

نظر «مايك» إلى ساعته حيث أشارت إلى الحادية عشرة وخمس وأربعين دقيقة فأغمض عينيه وشبك بين أصابعه وقتمم قائلاً:

- أعلم أن هذا الأمر محذور، وقد أفقد من عمري خمس سنوات بسببه، لكنني بحاجة إليك أيها العجوز «روبرت».. وليس لديّ وقت للانتظار..
سال الدم من بين شفثيه، وتناثر شعر «روبرت» الأبيض فوق رأسها ليختفي شعر «مايك» ذو اللون البني.. وفتح عينيه السماويتين الناعستين وسرعان ما ذاب الجليد ليتحول إلى ماء..

اندفع الرجال العشرة بسرعة خارقة نحو العجوز «روبرت» الذي لمس الأرض بإصبعه الوسطى فاندفعت منها أعمدة معدنية صدئة تدور حولها هالة كهربائية اخترقت أجسادهم لترفعها بقوة حتى انهارت الطوابق فوقهم وظهر ضوء القمر الذي كسا نوره الهادئ أجسادهم المتفحمة.. اختفت التجاعيد من يده لتعود يد «كريمسون» إلى طبيعتها.. ألقت بنفسها على الأرض وهي تمسك بالجوهرة بين يديها.. وابتسمت بسعادة.

فجأة تساقطت عليها أربع جواهر من السماء وأخذت تتدحرج على الأرض المبتلة لتتناثر قطرات المياة اللامعة فنظرت إليها فنظرت إليها بعينين متسعيتين وهي تقول:

- كيف حدث هذا؟! هل كانت معهم الجواهر الخمس..

قفز «ماكس» وهو يحاول التقاطها.. وانزلق عدة مرات بشكل مضحك محاولاً جمعها..

فوق أحد الأبراج كان يقف ذلك الرجل صاحب الهالات السوداء ماذا يده التي أوقعت الجواهر الأربع ثم ثناها ببطء واختفى من المكان.. مسحت «كريمسون» ذقنها وهي تضحك قائلة:

- رائع.. يبدو أن الحظ معنا.. اكتملت الجواهر الآن، لنذهب إلى «ماريمو» بأقصى سرعة..

نهضت «كريمسون» إلا أن قدميها لم تقويا على حملها فجثت على ركبتيها وهي تلتقط أنفاسها قائلة بحلق:

- اللعنة، لم يعد هناك متسع من الوقت.. لا بد من أن استخدمي للطريقة المحظورة استهلك طاقتي..

لم تشعر إلا وهي على ظهر «ماكس» الذي ضحك قائلاً:

- لم آتِ إلى هنا إلا لأكون ذا فائدة.. أليس كذلك «كريمسون»؟!

أمسكت بكتفيه وأومات برأسها موافقة ثم قالت بهدوء:

- من الجيد أن جروح «مايك» تختفي معه وإلا كنت في عداد الموتي الآن.. والمهم الآن أن نذهب قبل أن يهاجمنا أحد آخر..

مشى «ماكس» باتجاه صوت الشلال فصُعق من الدماء الموجودة حوله وقال:

- انظري، هل هؤلاء هم الرجال الذين كنتِ تقاتلينهم؟!

نظرت «كريمسون» باستنكار إلى خطوط الدماء العشوائية بشكل غريب، التي ملأت السقف والأرضية والتي لا وجود للأشياء فيها.. وقالت بدهشة:

- ما هذه القوة؟! اثنان منهم استهلك الكثير من قوتي لقتلهم.. وهناك من تغلب على ثلاثة معاً.. لكن من هو؟

ابتسم «ماكس» وهو يقول بصوت مرتفع:

- لا بد من أنه «كلاود»؛ فهو ذكي، ولا بد من أن تكون لديه طريقة لقتلهم قبل أن يقوموا بالانقسام ومضاعفة عددهم..
جاءهما صوت «ماريمو» وهو يقول بسعادة:
- مرحبا.. ماذا تفعلان هنا؟!
فغر «ماكس» فاه، بينما فوجئت «كريمسون» به هو و«فرانس» فقالت على عجل:
- ما الذي أتى بكم إلى هنا؟!
أمسك «فرانس» برأسه وهو يقول بانزعاج:
- لا يمكن.. هل دُرنا حول أنفسنا كل هذه المسافة؟!
قطبت «كريمسون» حاجبيها ثم قالت باهتمام:
- صحيح.. كان لدى أولئك الرجال تقنية ما، لم أفهمها، لكنني شعرت بأنه تم نقلي إلى بُعد آخر.. ربما لإخفاء أماكننا عن بعضنا البعض..
تنهد «فرانس» و«ماكس» معا في وقت واحد براحة، بينما نظر «ماريمو» إلى «كريمسون» بقلق قائلاً:
- هل أنت بخير؟!
ردت قائلة بجدية وهي تضع الجواهر في يده:
- هيا فالوقت يداهمنا.. وهذه هي الجواهر التي أخذناها من أولئك الرجال.. فافعل ما بوسعك لإنقاذ «أنجيلا»..
أوماً «ماريمو» برأسه، ثم ذهب مسرعا وهو يلوح بيده قائلاً بابتسامة:
- شكرا لك..
نظر «فرانس» إلى حيث ذهب «ماريمو»، ثم قال بصوت هادئ وعميق:
- من الأفضل أن يذهب وحده.. فأنا أتوقع منه الكثير..
ثم نظر إلى عيني «ماكس» الممتلئتين بالدموع، ومرت بجسده قشعريرة وصاح قائلاً:

- لماذا تبكي هكذا؟!

زم «ماكس» شففيه الغليظتين وهو يقول بصوت مخنوق:
- أنا سعيد.. فمئذ وقت طويل لم أحظَ بمهمة مع الجميع.. لكنني أيضا قلق بشأن تلك الفتاة السمراء الطويلة.. فالأسطورة تقول إن القلعة ستنهار بعد اختفاء الحارسات..

نقر «فرانس» جبين «ماكس» بإصبعه وقال بجدية:
- لا تقلق، سأنقذها من أجلك.. مع أنني أشك أنها قد سحقت صاحب الهالات السوداء ذاك..

* * *

- توقف.. توقف يا أخي..
قالتها «ميمي» وهي تلهث بشدة.. فانحنى «ماريمو» بسرعة ثم قال بقلق:
- لقد نسيت أمرك.. كان عليّ أن أدعك مع البقية.. هل عادت الحمى مجددا؟!

تصبب العرق من جبينها وألقت بجسدها عليه لتعانقه بشدة.. ثم قالت بصوت منخفض:
- دعني هنا واذهب لإنقاذ «أنجيلا» كما فعل الأمير في القصة التي أهداني إياها أخي «كلاود»..

ظل «مونتني» ينظر إليها وهو يقطب حاجبيه بقلق شديد؛ فهذه ليست أعراض حمى، ثم قال بانفعال:
- لا أظن أنها مجرد حمى.. إنها تحت...

صرخ «ماريمو» من أعماقه صرخة تردد صداها في أرجاء المكان قائلاً:
- ليس كما تقول.. لا تتفوه بتلك الحماقة مرة أخرى.. فأنا.. أنا...
انحنى رأسه ليتأرجح بين كتفيه بيأس تام وهو يضم «ميمي» بين ذراعيه

بقوة ويقول بهمس:

- أنا سلاح.. وأعلم أنها ستموت حتما..

- إنها لحظة ما قبل الموت.. حيث الصدق ووضوح القيم المثلى للإنسان أو القيم الدونية.. لكنك مختلف، فأنت مجرد سلاح فلا تخلق لنفسك عالماً وهمياً..

رفع «ماريمو» رأسه إلى مصدر الصوت فرأى السيد «ون» يقف على بعد أمتار منه وهو هادئ تماماً تحت ضوء القمر الذي تسلل من خلال الأجزاء المحطمة من القلعة..

تشبثت «ميمي» به أكثر وقد خفت أنفاسها تماماً، فنظر إليها «ماريمو» ثم قال بهدوء:

- هل تستطيع إنقاذها؟!

ظل السيد «ون» صامتا لوهلة وكأنه استنكر رد فعل «ماريمو»، ثم مد يده نحوها قائلاً بثقة:

- تعالي إليّ..

احتضنها «ماريمو» بقوة وهو ينظر إلى السيد «ون» بحدة قائلاً:

- وكأنني سأجعلها تذهب إليك.. فأنت...

قاطع السيد «ون» قائلاً بهدوء:

- وما الذي تعرفه عني قبل أن تطلق أي حكم؟!

أرخت «ميمي» يديها عن رقبة «ماريمو» ونظرت إلى وجهه الشاحب وقد انزلت الدموع على وجنتيه فمسحتها بيديها الصغيرتين ثم قالت بهمس:

- عندما يبكي «هنري» تكون «ميمي» حزينة.. لا تقلق سأكون بخير..

ثم مشت باتجاه السيد «ون» بخطوات ضعيفة متعثرة حتى وقفت أمامه، فالتفت «ماريمو» بسرعة ليراقبهما باهتمام كبير وظل «مونتي» ينظر بحدة..

وضع يده ذات القفاز الأبيض على رأسها فأغمضت عينيها بخوف ثم أزال يده ببطء.. فظهر خط دامٍ على رقبتها وسالت الدموع من عينيها بأم وأغمضتهما لتسقط على وجهها وتتحطم كأنها قطعة من الفخار، انتشرت أشلاؤها القاسية في كل مكان.. وسط صمت «ماريمو» غير المستوعب لهذا الحدث..

كانت يدها الصغيرة القاسية تتدحرج حتى استقرت أمام «ماريمو» وقد لمعت عليها دموعه التي مسحها قبل قليل..

مد السيد «ون» يده إلى «ماريمو» داعيا إياه وهو يقول بصوت هادئ:
- احصر تفكيرك بالانتقام وتفريغ غضبك في الشخص المائل أمامك..
طغى السواد القاتم على جسده وبرقت عيناه بنور أصفر مشع، ثم أطلق صرخة اهتزت لها الحصى في أجزاء القلعة المنهارة..

هب ذلك الهواء قارس البرد المثلج بنتف الثلج ليحرك ذلك الحطام المتناثر محيطا به وقد ظل منحنيا وكأنه يستجمع قواه العقلية لإدراك ما حدث.. ثم التفت بقوة نحو ذلك السيد الأبيض الذي وقف ساكنا بلا حراك وهو ينظر إليه ماذا إحدى أصابعه..

صرخ وركض كالمجنون تجاهه معاكسا تلك الرياح الباردة الجافة، و«مونتي» يناديه بأن يتوقف..

حرك السيد «ون» إصبعه السبابة للأعلى بشكل بطيء وهو يقول بهمس:
- اندفاعك لن يفيدك في مواجهة أعدائك..

فجأة تلقى «ماريمو» ضربة عنيفة على وجهه قبل أن يقترب من السيد «ون» بأمطار، أدت إلى إعادته بشدة بعيدا إلى الوراء لينزل بجسده على كتل الصخور المنهارة..

أغمض السيد «ون» عينيهِ وأشاح بوجهه عنه قائلاً بهدوء:
- سأكون رحيما.. وسأستخدم إصبعاً واحدة..

وفي لمح البصر ظهر «ماريمو» أمامه ومد يده المثقلة بالمسننات السوداء باتجاه رأسه، فتطاير شعره الذهبي وحرك إصبعه لتصدر كما هائلا من الضربات الخفية التي هَشَّمت جسد «ماريمو» وألقت به بعيدا.. نظر السيد «ون» إليه قائلاً بحزم:

- هل مجرد لمسي أمر صعب؟!

فرش السيد «ون» ثلاثا من أصابعه ثم رفعها نحو وجهه وقد أغمض عينيه بتأمل.. فصاح «مونتي» قائلاً:

- «ماريمو».. تحرك من مكانك..

لكن «ماريمو» اندفع نحو السيد «ون» مرة أخرى وقد سالت دماؤه الخضراء المشعة من جسده لتختلط بدموعه الغاضبة المناسبة من عينيه المتوهجتين..

فجأة توقف «ماريمو» عن الحراك وبدا وكأنه مصلوب في الهواء.. صُعق «مونتي» لذلك.. فقد حرك السيد «ون» خمس أصابع.. فانهالت تلك الضربات الخفية التي توغلت في جسد «ماريمو» بشكل واضح حتى سمع صوت تهشم عظامه.. وتطايرت خصلات شعره من فوق دماائه المتوهجة التي كانت تلمع في الظلام.

ظل «مونتي» يراقب ما يحدث بذهول.. حتى تركه السيد «ون» ليسقط على وجهه أرضا كخرقة بالية وقد تكسرت عظامه..

ضم السيد «ون» أصابعه الخمس وأرعى يده وهو يقول بهدوء:

- منذ زمن لم أستخدم أصابعي الخمس كاملة.. فلست من النوع الذي يحب القتال..

- لماذا قتلت تلك الطفلة إذًا؟!

قالها «مونتي» بصوت حاد وهو يرمق السيد «ون» بحقد كبير..

ظل «ماريمو» يحاول النهوض عن الأرض التي تشربت بدماائه، مقاوما ألم

جراحه وعظامه المحطمة، وهو يقول بصوت مكسور:
- لماذا قتلتها؟ فهي لم تفعل شيئاً.. لقد كانت تريد العيش مع أخيها فقط..
لماذا؟!!

صمت السيد «ون» للحظة وكأنه أدرك شعور «ماريمو» بالانهزام، ثم قال بثقة:

- لقد انتهت مدتها كتجربة..
شد «ماريمو» قبضته على الأرض لتنال من تلك الرمال التي التصقت بدمه
وصرخ قائلاً:

- أنا هو تجربتك.. ألم يكن من المفترض أن تقتلني أنا؟!
أدار السيد «ون» ظهره ثم أخفض رأسه حيث التقت عيناه حطام «ميمي»
قائلاً بهمس:

- ألم تدرك ذلك بعد؟!
اتسعت عينا «مونتي» وهو يقول بصوت مرتفع:
- هل تقصد أن «ميمي» مجرد سلاح؟! هل كانت أدواتك للوصول إليه؟
ارتجفت شفتا «ماريمو» فعض عليهما بغيظ كبير حتى دميتا.. قاطع غضبه
العارم صوت السيد «ون» قائلاً:

- في مقابر عائلة «ساميون» بنيويورك دفنت «ميمي» منذ سبع سنوات..
وقد قُتلت وهي في السادسة من عمرها على يد والدها السيد «إدوارد»..
وقف «ماريمو» مشدوها، ولم يتمالك نفسه، فصرخ قائلاً:
- أنت كاذب.. فقد كانت تأكل وتنام وتشعر بالمرض.. كما أن والدها مهما
كانت قسوته فلا يمكن أن يقتلها..

رد السيد «ون» بصوته الهادئ المعتاد:
- لقد قتلها أمام عيني، وقد استطعت الاحتفاظ بالقليل من سماتها
البشرية للقيام بتلك التجربة، لكنها تجربة قصيرة المدى، واليوم هو موعد

اختفائها، وقد أردت أن أحقق أمنية «ميمي» تجاه أخيها قبل أن تُقتل؛ لذا كانت تتحدث بمشاعرها لك وكلها ثقة بأنها ميتة منذ سبع سنوات.. ومرضاها المشابه لأعراض الحمى شيء طبيعي؛ فالأيام العشرة التي قضتها معك كانت تموت فيها ببطء كتجربة ناقصة دون أن تجعلك تشعر بذلك حتى تنال كفايتها من حبها لأخيها «هنري» ولكي لا تجعله يقلق عليها.. فلم تتغير «ميمي» قط حتى وهي آلة..

قطب «مونتي» حاجبيه قائلاً في نفسه:

- كيف علم هذا الكم كله من المعلومات عنها وعن والدها؟!

قاطع شروده قيام «ماريمو» وظهره مُنحني من الألم وهو يستجمع قواه ليقول:

- من أنت؟! وما علاقتك بها؟! ولماذا لم تقل هذا منذ البداية؟! ولماذا أتيت إلى هنا لتقول لي شيئاً مؤلماً كهذا الآن؟!

أمسك السيد «ون» بقناعه وسرى الهواء البارد ليحرك شعره الذهبي بتناغم مع ضوء القمر ثم قال:

- أنا مجرد وحش.. وعلاقتي بها لا تستحق الذكر.. ولم أقل هذا منذ البداية لأنني أعلم مدى اندفاعك؛ لذا كان تحطيم جسدك هو الحل الأمثل لتهدأ وتسمعي..

ثم نظر مباشرة إلى عيني «ماريمو» وقال بصوت جاد:

- الغرض من مجيئي إلى هنا هو تأكيد حصولك على حجر برج العذراء.. فأنا من أشعل الخلاف بين الحارسات وقائدتهن لأجل أن تكون أنت المختار بديلاً عني..

صُدم «ماريمو» بما قاله السيد «ون» وكأنه أدرك شيئاً ما كان قد افتقده منذ زمن، فقال بصوت مرتفع:

- ما الذي يجعلك ترغب في أن أحصل على الحجر بدلاً منك؟! وما الذي

تريده مني بالضبط؟!

تدلت سلسلة ساعته الذهبية وهو ينظر إليها؛ حيث أشارت الساعة إلى الثانية عشرة إلا دقيقة فأغلقها ثم رفع عينه من تحت ذلك القناع قائلاً بجدية:

- مهمتك هي إنقاذ «هنري سامون» تحت إمري.. ولا تسألني عن أسبابي الخاصة؛ فلقد قمت حتى الآن ببقاء ما يكفي من الفقاعات.. قطب «ماريمو» حاجبيه بذهول كبير وتطايرت في ذهنه تلك الفقاعات، وصورة «هنري سامون» في تلك المرأة السوداء.. وترددت في ذهنه كلماته في المرأة: «كلما اقتربت مني ستفقد الكثير من الفقاعات»، وكيف أنه إثر هذا الحلم أحاط به الكثير من الأصدقاء الذين أوذوا وتحملوا الآلام لأجله فحسب: «فرانس» و«كريمسون» و«ماكس» و«كلاود» و«أنجيلا» و«ميمي».. هل يفهم من هذا أن عليه العيش وحيدا لكي يعثر على «هنري سامون»؟!

دق جرس الساعة الضخمة محدثا دويا هائلا في أرجاء القلعة، فرفع «ماريمو» رأسه ببطء حيث السيد «ون» الذي كان قد اختفى دون أثر.. جاءه صوت «مونتي» قائلاً بقلق:

- لا تشغل بالك بما قاله.. فقط ركز على إنقاذ «أنجيلا» فقد حان منتصف الليل..

تطايرت الجواهر التي تناثرت منه لترتفع عن الأرض بشكل مشع وتتحول إلى مفتاح أرجواني لامع.. زحف إليه «ماريمو» حتى أمسك به ثم قام ببطء وهو يسحب جسده المنهك..

نظرت «كريمسون» حولها وهي تقول بتعجب:

- ترى أين هما؟ أرجو أن يكونا بخير..

كان «ماكس» جالسا إلى جوارها خارج القلعة وقد اتكأ على سورها

الخارجي قائلاً بشروء:

- لقد ذهب «فرانس» لتفقد الفتاة ولم يأت بعد.. أنا قلق بشأنهما.. أما «ماريو» فهو قوي وتلك الحارسة لن تؤذيه باعتباره المختار لتسلم الحجر وسوف تطلق سراح «أنجيلا».

أطرقت «كريمسون» برأسها محاولة تصديق هذا الأمر..

سمعا صوت خطوات شخص مقبل عليهما من بعيد.. وبعدما دققا النظر صاح «ماكس» قائلاً:

- إنه «كلاود».. لقد تأخرت يا رجل..

غطى ضوء القمر «كلاود» وما زالت هيئته تحمل نصف ملامح ذلك الرجل صاحب الهالات السوداء تحت عينيه، ما أثار دهشتهم.. قال بجدية:

- لم تنته المهمة بعد.. فبالخلاف بين الحارسات سيؤدي بالطبع إلى جنون القائدة.. المشكلة أنه تم تكوين حاجز لا يسمح بدخول أحد غير «ماريو».. أغمض «كلاود» عينيه ليتبعثر شكل صاحب الهالات عن جسده ويظهر في الهواء كالرماد ثم قال بهدوء:

- كان يمتلك تقنية الريح القاتلة، وبالنظر للبقية فهو أقواهم؛ لذا تلبست جسده دون أن يشعر حين دخوله للقلعة..

صرخ «ماكس» برعب وهو يشير إلى «كلاود» قائلاً:

- هل أنت شيخ أم ماذا؟!

أجاب «كلاود» بابتسامة واثقة وهو يرفع شعره عن عينيه الحادثين:

- أنا «ملاك».. وعندما قلت إنني سأتنكر لم أكن أنوي أن أضع قناعاً.. بل الاستيلاء على جسد سلاح ما بالكامل واستخدام تقنياته..

صاحت «كريمسون» بقلق وهي تضرب بكفيها على الأرض قائلة:

- لكن «ماريو» هناك وحيداً.. كيف سيواجه تلك الحارسة إن كانت مجنونة بعظمة السلطة وحب الحياة؟! كما أن «فرانس» هناك.

نظر «كلاود» خلفه حيث أقبل «فرانس» ضجرا برفقة تلك الفتاة السمراء التي كانت تتذمر بعصبية..

اتسعت عينا «كريمسون» بدهشة ثم نظرت إلى «كلاود» الذي قال:
- تم نقل جميع من في القلعة إلى بُعد آخر عدا «ماريمو»؛ لهذا أتينا من الاتجاه المعاكس للقلعة، والأرجح أن ذلك من فعل تلك القائدة.. ثم رفع يده وهو ممسك بـ«مونتي» الذي كان مذهولا وغير مستوعب لما جرى، فقالت «كريمسون» على عجل:

- و«مونتي» أيضا.. أليس هو و«ماريمو» شخصا واحدا؟
ثم حركت عينيها باضطراب وأعادت النظر إلى «كلاود» لتتدارك نفسها قائلة:

- لكن أين «ميمي»؟! ألم تأتِ معكم؟!
أقبل «فرانس» هو يحك رأسه بهلل قائلاً بسخرية:
- لقد عثرت لك على فتاتك قبل أن ننتقل لهذا البعد!
ارتبك «ماكس» وهو يصيح بانزعاج محاولا إخفاء كلمات «فرانس» الصريحة تلك، فقطبت تلك الفتاة السمراء حاجبيها قائلة بضيق:
- ما الذي تقولانه؟! أنا أتميز غيظا لعدم حصولي على الحجر.. وأريد أن أقتل أحدا ما من شدة الغيظ..

- يشرفني فعل ذلك بك.. فلقد حطمت ظهري بسلاحك الثقيل.
اتقدت الشرارة بين «فرانس» وتلك الفتاة ليقاطعهما صراخ «كريمسون» وهي تقول بصوت باكٍ:

- ما الذي تقوله يا «كلاود»؟!
نظر البقية إلى وجه «كلاود» الجاد وهو يقول:
- «ميمي» كانت مجرد آلة ناتجة عن تجربة ناقصة، ولقد علمت ذلك عند فحصي لها، واليوم هو موعد نهاية مهمتها..

ثم نحى وجهه ليغويه شعره الأشقر قائلاً بأسى:
- لم أكن أريد أن أخبر أحدا بالأمر حتى تعيش بقية أيامها سعيدة برفقتكم..
تحقيقاً لأمنيتها الداخلية..
استرخت «كريمسون» وهي تضع يدها على شفتيها المرتجفتين غير مصدقة
لما سمعته..

* * *

وجد «ماريمو» بوابة عليها نقوش غريبة تشع جوانبها بنور أرجواني، نظر
إلى المفتاح الذي معه وقال هامساً:
- هل هو مجرد أداة تعينني على قتلها؟
سحب خطواته الثقيلة وأدخل المفتاح في مقبض الباب الذي فتح مباشرة
محدثاً صريراً مزعجاً، رفع عينيه منزعجاً إلى ذلك الشيء الأبيض المضيء
الساحب في الغرفة..
كان هذا الشيء هو «أنجيلا» التي كانت تبتسم بسعادة قائلة:
- أخيراً.. سأسلمك الحجر.. وأعيش حياتي حرة طليقة..
ظل «ماريمو» يتأمل ملامحها التي كستها البراءة ثم قال بهدوء:
- لا أريده.. لا أريد إلا إنقاذ «أنجيلا»..
صرخت قائلة:

- لماذا تريد إفساد حياتي؟ إن لم تأخذ الحجر سوف أموت وتموت أنت
الآخر معي.. وإن قبلته مني سوف تصبح أقوى وتسترد جزءاً من تلك
الفتاة البشرية..

كانت ملامح «ماريمو» جامدة تماماً وكأنه اكتفى من هذه الحياة، فمسح
بيده على ذراعه المجروحة وهو يقول ببرود:
- هل ستعود «أنجيلا» إذا مت أنا وأنت؟

أومأت الحارسة برأسها وبدأت عليها ملامح الضيق، ثم صرخت قائلة:
- لكن هذا لن يحدث.. ستأخذ الحجر رغما عنك.. فأنا أريد أن أعيش
حياة طويلة.

انهار بجسده ليجلس على الأرض وتأرجح رأسه بين كتفيه وتقاطر الدم من
بين عينيه وهو يقول:

- أنا لا أريد أن أعيش، ما يجعل أهدافنا مختلفة.. أنا أريد أن أنقذ «أنجيلا»
ثم أموت بسلام دون أن أتسبب بمزيد من الألم لأحد..
سقطت دمعة دافئة من عيني الحارسة، التي دهشت من تلك الدموع
التي كانت في الحقيقة دموع «أنجيلا» وليست دموعها.. تحدثت «أنجيلا»
قائلة:

- ستأخذ الحجر.. وسأقبل العيش بجزء مني.. ولن أسمح بموتك أبدا..
زم «ماريمو» شفثيه بياس فظيع وهو يقول:
- لماذا تضحكن من أجلي؟ ولماذا تموتين؟! فأنا لست «هنري سايمون».. أنا
مجرد سلاح سوف يحين أوان تحطيمه في يوم قريب..
- أعلم..

قالتها «أنجيلا» بثقة وابتسامة صافية، وهي تقول بصوت عميق:
- لكنك الشخص الذي لن أسمح بموته.. لأنني...
صرخت تلك الفتاة وهي تمسك برأسها قائلة بصوت كالضحك:
- اخرسي.. لا يمكنني العيش بنصف بشرية، أريدك كاملة..
مدت يدها ليشع فوقها ذلك الحجر النحاسي الذي كان على شكل هرم
مقلوب، ثم قالت بتلذذ:

- ما دمت جريحا فلن تستطيع المقاومة؛ لذا فقد غيرت رأيي.. سأعطيك
الحجر وأرحل عن عالم البشر.. وسأحتفظ بهذه الفتاة إلى الأبد..
سبحت في الهواء بسرعة وتطاير من خلفها رداؤها الأبيض المضيء..

ورسمت على الحائط من خلفهم بشكل سريع صورة ملاك يغرس الحجر في جسد شيطان.

انغرس الحجر في عنق «ماريمو» وسرعان ما تحول إلى سائل نحاسي اختلط بدمائه المتدفقة ليدخل بقوة إلى أحشائه..

همت القائدة بالنهوض وعلى وجهها علامات النصر، لكن «ماريمو» تشبث بردائها وهو يقول بصوت خافت:

- لن أتركك حتى أموت.. وسأظل بانتظار خروجك من جسد «أنجيلا»..
تساقطت دموع «أنجيلا» الدافئة على قبضة «ماريمو» التي برزت عروقها لشدة تشبثه برداء الحارسة..

قالت الحارسة بصوتها الحقيقي الذي يشبه الفحيح بحدة:
- ألا تفهم؟! إن تركتها سأخذ إحدى حواسها.. لكنني لن أتركها.. فدعني وشأني.. إن أشرقت الشمس سأموت أنا وتلك البشرية..

لكن «ماريمو» شدد قبضته أكثر على الرداء، وسحبها بقوة ليمسكها بكلتا يديه حتى انطبعت دماؤه الخضراء على ثوبها الحريري الأبيض وهو لا يفكر بشيء سوى إنقاذ «أنجيلا»..

صرخت الحارسة بغضب عارم قائلة:
- لا بأس.. لقد حانت لحظة موتك إذًا..

مدت يدها التي غلفتها هالة أرجواني وهوت بها بقوة على قلب «ماريمو».. ولكن..

توقفت يدها عن الحركة.. واستنكرت رؤية يد أخرى تمسك بيدها؛ فقد كانت يد «أنجيلا» الحقيقية التي كان صوتها باكيا وهي تقول بجدية:

- لا يهمني إن فقدت إحدى حواسي.. لن أدع «ماريمو» يموت..
كانت لإرادتها القوية أكبر الأثر في زعزعة تلك الروح من مكانها، التي أخذت تصرخ بجنون وهي تخرج من جسد «أنجيلا» وتتركها لتسقط بين

يدي «ماريمو»..
أشرقت الشمس مختزقة تلك الأبراج التي انهارت ببطاء فصرخت الحارسة،
حتى اختفت وتلاشت من الوجود..
فتح «ماريمو» عينيه الخضراوين ليجد «أنجيلا» أمامه وهي قلقة وتتحدث
بكلمات لم تصل إلى مسامعه.. حتى أظلمت الدنيا أمامه وفقد وعيه تماما..
انهارت تلك القلعة بفقدانها أرواح الحارسات الست، اللواتي كن دعامات
لها طيلة ألف عام مضت.. وأخيرا سلمت الحارسة السابعة القائدة حجر
برج العذراء إلى المختار.. مختتمة بذلك أسطورة ما كان لها أن تنتهي إلا
هكذا.

إلى اللقاء في الجزء الثاني من

«ماريمو».